

لَمَوْكِد

١٢٩

# مَجَلَّةُ تُرَاثِيَّةِ فَصْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ

منها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

WWW.ATTAWHEEL.COM

أسرة المكية محبة

[WWW.ATTAWHEEL.COM](http://WWW.ATTAWHEEL.COM)

# الموقف

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد الثالث والثلاثون

العدد الأول ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

رئيس مجلس الإدارة

**فاروق خضر الدليمي**

رئيس التحرير

**د. محمد حسين الأعرجي**

هيئة التحرير

نائب رئيس التحرير

**أحمد عبد زيدان**

سكرتير التحرير

**محمود الظاهر**

الهيئة الاستشارية

**أ. د. خديجة الحديشي**

**أ. د. كمال مظهر**

**أ. د. فائز طه عسر**

**أ. د. داود بيلوم**

**أ. د. هادي جلال**

**الأستاذة حسن خريتي**

التصحيح اللغوي

**سليم سلمان**

**نجلة محمد**

**أهل عبد الله**

الإشراف الفني والتصميم

**جنان عدنان لطيف**

**تصميم الغلاف**

**عمار صباح**

## عنوان المراسلة

دار الشؤون الثقافية العامة  
الأنظمة

ص. ب. ٤٠٣٢ بغداد

جمهورية العراق

هاتف: ٤٢٦٠٤٤

فاكس: ٤٤٨٧٦٠١

## الأسعار

العراق: ٥٠٠ دينار، الأردن: ديناران.

الامارات: ٢٠ درهما، اليمن: ٣٠ ريالاً.

مصر: ٢ جنيهات، ليبيا: ٢ دينار.

الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران.

المغرب: ٢٠ درهما.

## المشاركة السنوية

٨٠ دولاراً في الاقطار العربية.

٢٥ في دول العالم الاخرى

دولاراً.

..... د. محمد حسين الأرجي ٣ - ٤

..... د. منصور حنين بن يقطاد

..... د. فائزة عمر ٥ - ١٥  
..... د. طارق نافذ الدعياني ١٦ - ٢٥

..... د. طارق نافذ الدعياني ١٦ - ٢٥

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

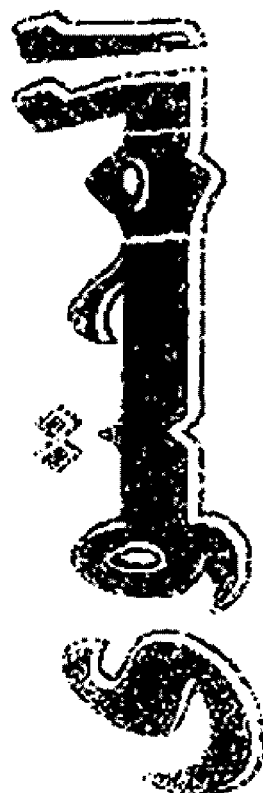
..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢

..... د. علي رحيم هادي الدلاوي ٢١ - ٤٢





# الثعالبي: التلميذ العاق

الثعالبي هو أبو محمد بن محمد الثعالبي.

وهو — وهذا معروف — من أهل نيسابور، ولد سنة ٣٥٠ للهجرة،

وتوفي سنة ٤٢٩، أو ٤٣٠ للهجرة.

وتاريخ وفاته ليس بمتهم؛ إذ إن الأئمة منذ أنه ترك وراءه أكثر من ثمانين كتاباً

وصفها بعض المصادر بأنها من ((الآداب الرطبة)).

ولكن هذه الرطوبة في كتبه تجعلها — ونسأ ريب — من الكتب الممتعة التي تصحبها إلى

سريرك لتؤنسك دون أن تكذّ ذهنك، أو تتعبه.

على أن في رطوبة كتبه خطراً، وأريد أن أفصل الأمر فأقول:

إن الثعالبي تلميذ الخوارزمي أبي بكر المتوفى سنة ٣٨٢ للهجرة، وأنه ذكر في طائفة من مواد

كتابه ((فقه اللغة)) مصدر من مصادر، وهذا حسن.

ولكن الذي يعرف أبا بكر الخوارزمي، ويفتي تلاميذه حياته يجد أنه قد دبريت له مكيدة هي

مناظرة بديع الزمان الهمداني بإياه، هذه المناظرة التي كان من قصولها — كما يقول الثعالبي نفسه في

اليقظة — أن انخزل أبو بكر منها ((انخزل الأعداء، وتكسب بسأله، وانخفض طرفه، ولم يدخل عليه

الخول حتى خائنه عمره، ونفذ قضاء الله فيه)).

وهذه لغة أقرب إلى السماتة منها إلى وفاء التلميذ لأستاذه.

أقول هذا؛ لأنه يوم دارت المناظرة في نفسه، كان الثعالبي في خفاء، ولأنه سجد له

المناظرة حكم بعض الناس لأبي بكر وحكم بعض الهمداني، فمن أين جاء للثعالبي أنه — يعني أبسا

بكر — ((انخزل انخز الأعداء... حتى خائنه عمره))؟

ولو كان هذا وحده ليان، ولكنه أودعه بأمرين لا يترقبه أي منهما:

فأما الأول فهو ترجمته لقاتل أستاذه — فيما يزعمه — الخوارزمي في كتابه: ((يقظة الدهر...))

فيقول عن البديع الهمداني: ((هو أحمد بن الحسين، بديع الزمان، ومعجزة همدان، وفائدة الفلك،

وبكر عصاره، وفرد الدهر، وحرّة العصر، ومن لم يلق غير في ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر،

وشرف السمع وقوة النفس)).

وهذه أرمسانه، كانت، لأنفسه أن يخطبها على  
 أستاذة، ولكنه أطلقها على عدوة؛ وأستاذة أبو بكر رمة من  
 الرَّمح، فهل رأيت ناهراً في العصور القديمة كالشعالي؟  
 و((ذكاء القريحة، وسرعة الخاطر)) شجرة واضحة من قناة أستاذة الخوارزمي،  
 ولكن بعد وفاته، وهكذا تكون التلمذة وأدبها والأفلا، ولا سيما في زمن الشعالي.  
 لقد كان التلميذ يختار أستاذة بنفسه فلماذا يعقده، ولماذا يسرق تراثه؟  
 نعم لو كان الشعالي بيننا لكان من حقّه أن يجعل هذا الأستاذ، وأن يستخف بذلك؛ لأن الأستاذين  
 كليهما مفروض عليه.

أما أن يختار تلميذ أستاذة — كما هو شأن الشعالي — ثم يعقده فذلك، مالا يستطيع تفسيره.  
 فأما الأمر الآخر فهو أنني لا أستطيع أن أتصور أن يعتمد في كتابه ((التمثّل، والمحساسة))،  
 ونسخة منه في هولندة مضبوطة بهذا العنوان، لا أستطيع أن أتصور أنه سطا على طائفة من أمثال  
 كتاب أستاذة الخوارزمي ((الأمثال المولدة)) دونما خجل أو ذكر.

وإن عجبت فأعجب من قول الشعالي في كتابه ((بريد الأبناء في الأعداد)) حين يقول:  
 إنه لم يسبق إلى مادة الكتاب وتبويبه؛  
 والناظر في كتاب أستاذة الخوارزمي ((الأمثال المولدة)) يجد قد عقد باباً فيه اسمه ((باب آخر  
 في الأعداد...))، فأين السبق إذا؟

ورحم الله أبا عبيدة يوم ألف كتابه ((الحققة والبررة)) على أن عقوق أجدادنا التلاميذ نشيخهم  
 أشد من عقوق الأبناء لأبائهم لسبب يسير هو أنه لم يختار أحدنا أبويه، ورحم الله الشاعر القائل:

أعلمه الرماية كل يوم  
 فلما استندت ساعده رماي  
 وكم علمته نظم القوافي  
 فلما قال قافية مجاني

## شخصية حي بن يقظان

### في التراث الفلسفي القصصي عند العرب<sup>(\*)</sup>

أ.د. فائز طه عمر

كلية الآداب . جامعة بغداد

الأول، وهو النص الأصلي الذي سنعتمده في هذا البحث، ورد في رسائل ابن سينا، والثاني قائم على النص الأول، بيد أنه جاء شرحاً له، وفكاً لرموزه، لذا جاء وصفه بأنه على بيان آخر<sup>(١)</sup>، وسنفيد منه في الإشارة إلى دلالات الرموز. أما الثالث فهو (رسالة القدر) التي وردت في رسائل ابن سينا، وهي تتضمن حكاية شديدة الشبه بـ (حي بن يقظان) حتى لتبدو فصلاً ثانياً منها<sup>(٢)</sup>، مما يدل على أنها أنشئت بعد (حي بن يقظان) وليس كما ذهب بعض الباحثين<sup>(٣)</sup>.

وظهرت شخصية (حي بن يقظان) في القصة الرمزية الشهيرة التي أنشأها الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل (٥٨١هـ) ووسمها بـ (حي ابن يقظان) أيضاً، مستعيراً من ابن سينا هذا الاسم، ليضعه في إطار قصصي آخر، قصد منه شرح ما قصده ابن سينا في حكايته (حي بن يقظان) في ما يسمى بالحكمة المشرقية كما سنرى.

وثمة حكاية رمزية أخرى أنشأها السهروردي المقتول (٥٨٧هـ) وسمت بحي بن يقظان أيضاً، لدى بعض الباحثين<sup>(٤)</sup>، على أن مؤلفها السهروردي وسمها باسم آخر ذي صلة بمضمونها، وهو (الغربة الغربية)<sup>(٥)</sup>، ولم تظهر فيها شخصية حي، وربما كان

كان انتقال فكر الأمم وثقافتها، ولا سيما اليونانية، إلى اللغة العربية، عبر حركة الترجمة، امتحاناً كبيراً، خرجت منه لغتنا بنجاح، بل إنها أثبتت تفوقها على مثيلاتها، من خلال مرونتها، واستيعابها ما طرأ على عقول أبنائها من فكر وافد جديد، ولعل وراء ذلك أسباباً قد يكون من أهمها أن اللغة العربية واستعمالاتها الفنية المؤثرة كانت من أبرز مظاهر الإبداع العربي، منذ العصر الجاهلي، وعلى نحو متصاعد.

وقد كان من مظاهر هذا الإبداع ما ابتكره بعض الفلاسفة الإسلاميين من شخصيات قصصية، لا ندعي أنهم انفردوا بها، بيد أنهم تمكنوا من مجازاة غيرهم، ولا سيما فلاسفة اليونان، بل ربما تفوقوا عليهم، ولعل فيما أبدعه ابن سينا (٤٢٨هـ)، في ابتكاره شخصية (حي ابن يقظان) دليلاً ساطعاً على مقدرة لغتنا على تلبية متطلبات العصر، وتطور الحضارة، وتحدي الفكر، مما ينبغي إدراكه على نحو صائب وعلمي، اليوم، لتجد هذه اللغة نفسها من جديد، على يد أبنائها الذين لا يبد من أن يحسنوا قراءتها.

و (حي بن يقظان) شخصية رمزية جاء بها ابن سينا في سياق ثلاثة نصوص قصصية، اثنان منها وسمّا بـ (حي بن يقظان)؛

\* بحث ألقى في مؤتمر اللغة العربية الأول، في جامعة الشارقة، في ٢٨/١/٢٠٠٥م.

السبب في سُمها بـ (حي بن يقظان) لدى بعضهم هو أنها دارت حول ما أنارته شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن سينا من أفكار، كما ذكر السهروردي<sup>(١)</sup>.

إن دراستنا شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن سينا، وابن طفيل، ستنتقل من نصوصهما الحكائية أو القصصية، محاولين رسم هذه الشخصية المثيرة وبيان سماتها، من دون أحكام مسبقة، ومن دون التقيد بمنهج محدد يملي، على البحث، آليات ووسائل ربما لا تفيد كثيراً، على أننا، إن كان لابد من رسم طريقتنا في دراسة هذه الشخصية، نؤكد أن النصوص هي التي سترسم ملامح منهج هذا البحث في ما يرمي إليه، لذا ستحاول دراسة شخصية (حي بن يقظان)، من خلال بيان دلالة هذا الاسم لدى مبتكره ابن سينا، وابن طفيل، من خلال مباحث مركزة تدور حول:

\* شخصية حي والسرد

\* شخصية حي والشخصيات الأخرى.

\* شخصية حي والحوار.

إن هذه المباحث ستعين البحث على تحقيق هدفه، باستثمار ما في محاور هذه المباحث من وسائل وإشارات إلى الشخصية المزمع دراستها،

على أننا قبل ذلك كله، نشير، بإيجاز، إلى دوافع ابن سينا إلى ابتكاره شخصية (حي بن يقظان) التي وظفها لقول فكرة، فنظن أن ثمة عوامل متداخلة، ومتضافرة، كانت وراء ذلك، منها ثقافته اللغوية والأدبية، معرفة، وإنتاجاً، فقد ذكر له تلميذه أبو عبيد الجوزجاني (٤٥٨هـ) آثاراً أدبية ولغوية<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن ديوان شعره الذي ضم قصيدته العينية الرمزية الرائعة.

وكان تأثره باليونان وقرائنهم الفلسفي عاملاً مهماً في ذلك، ولا سيما أن بعض فلاسفتهم قد عنوا بنقل أفكارهم بطريقة أدبية رمزية، كما هو معروف عن أفلاطون الذي تأثر به ابن سينا في رسائله في النفس، ورسائله القصصية خاصة<sup>(٣)</sup>، وربما كان وجود نماذج قصصية فكرية ورمزية سابقة<sup>(٤)</sup> قد أغرى ابن سينا لاختيار الحكاية وسيلة تعبير عن بعض أفكاره، التي يبدو

أنها ذات أثر في ما اختاره ابن سينا من شكل قصصي لها، فحي بن يقظان ورسالة القدر تضمان أفكاراً ذات طابع ميتافيزيقي، تنأى عن التحديد الدقيق والتعبير العلمي، فهي تعبر عن المنحس الصوفي لابن سينا<sup>(٥)</sup>، أو بتعبير آخر إن موضوعات هاتين الحكايتين، وغيرهما من حكاياته الرمزية<sup>(٦)</sup>، ذات مسحة صوفية<sup>(٧)</sup>، فهي تحمل فكره الفلسفي متمزجاً بالتصوف<sup>(٨)</sup>. وكان لبيئته الاجتماعية أثرها في اتخاذ الرمز وسيلة لقول أفكاره، فقد صرح ابن سينا، في سيرته الذاتية<sup>(٩)</sup>، أن أباه وأخاه كانا يتبعان المذهب الإسماعيلي ذا النزعة الباطنية التأويلية المعروفة، فقد كانا يغريانه به، إلا أنه أبى، ومع ذلك لابد من آثار تظهر لديه فيها شيء من سمات هذا المذهب.

وكان الرمز وسيلة ابن سينا في تحقيق رغبته في إخفاء بعض أفكاره وسترها عن العامة<sup>(١٠)</sup>، على أن ذلك أصبح، لدى غيره، حافزاً وإغراء إلى معرفة ما يختفي وراء رموزه من رموزات<sup>(١١)</sup>.

إن عنايتنا بابن سينا، في هذا البحث، مبعثها أنه مبتكر الشخصية التي نرمي إلى دراستها، على أن ذلك لا يعني تقليل أهمية ابن طفيل وإبداعه الكبير في قصته الشهيرة، ولا سيما أنه قد وضع الشخصية التي أخذها عن ابن سينا في إطار قصصي أكثر نضجاً، كما سنرى، فضلاً عن أنه كان يتمتع بالكثير مما تمتع به ابن سينا، ولا سيما في ثقافته اللغوية والأدبية<sup>(١٢)</sup>، ونزعة الفنية وغير ذلك على أن كليهما اتخذ الفن وسيلة لقول فكرة، وليس لغاية جمالية.

## دلالة اسم حي بن يقظان

يبدو أن اختيار ابن سينا اسم حي بن يقظان، لبطل حكايته الرمزية مقصود لإفضاء ما يريد إفضاءه من أفكار، فقد تجلت براعة ابن سينا في اختيار هذا الاسم، على نحو دقيق، وهو أمر يشير إلى ما يظهر قوة المفردة العربية، ومقدرتها على استيعاب المعاني والدلالات الغزيرة والعميقة المقصودة، ولعل ما أظهر هذا هو وضع ابن سينا هذا الاسم في سياق رمزي قصصي فخر ما في لفظتي (حي) و (يقظان) من طاقة تعبيرية هائلة، إذ يقول شارح رسائل ابن سينا إن قوله (حي أراد به ما خيل عليه



من العقلية المجردة وصدور ما بعدد عنه، إذ كان معنى الحي يتعلق بالحسن والحركة فجعل الحسن مشاراً به الى العقلية، وجعل الحركة مشاراً بها الى وجود ما بعدها، وقوله ابن يقظان أراد به أن وجوده ليس بذاته بل عن غيره، إذ كان وجود الابن بوجه ما عن الأب، وإن ذلك الغير هو أجل حالاً منه، إذ الحي يحتمل أن يكون يقظان، وحالة اليقظة منه أجل من حالة النوم، إن النوم أشبه بالقوة واليقظة أشبه بالفعل...<sup>(١٣)</sup>، على هذا فحي بن يقظان هو العقل الفعال، وهو ما أكلته الرموز الأخرى، والسمات التي أتى بها ابن سينا، سواء في (حي بن يقظان) أو في (القدر)، كما سيظهر لنا في أجزاء البحث الأخرى، فابن سينا، وإن كان لم يصرح بدلالة اسم حي بن يقظان، أراد أن يوحي بدلالته، من خلال السياق الذي أورد به هذا الاسم، وسرده الأحداث، على أنه أفصح عن دلالة هذا الاسم في البيان الآخر لحي بن يقظان، فقال عنه إنه: ((كان عقلاً صرفاً، وصفاء محضاً...))<sup>(١٤)</sup>.

### شخصية حي والسرد:

اسهم السرد في إظهار سمات شخصية حي ابن يقظان وتعميق دلالة الاسم لدى ابن سينا، وفي رسم الصورة الكاملة لها، لدى ابن طفيل. وفي وضع الفكرة في إطارها الفني القصصي لدى كليهما، فقد أظهر الحي ملامح جسدية، وأخرى فكرية، على نحو يعمق دلالاته، لدى كل منهما، إذ بدا حي بن يقظان لدى ابن سينا، في حكايته (حي ابن يقظان) شيخاً، شاب رأسه، مع أنه لا يزال قوياً، ووجهه دال على عمره، وعلى حيويته، يقول ابن سينا (أنه قد تيسرت، لي، حين مقامي ببلادي، برزة برفقتاني إلى بعض المتنزهات المكتنفة لتلك البقع، فبينما نحن نتطاوفاً إذ عن لنا شيخ بهي، قد أوغل في السن، وأخنت عليه السنون، وهو في طراوة العز، لم يهن منه عظم، ولا تضعضع له ركن، وما عليه من المشيب إلا زواء من يشيب...<sup>(١٥)</sup>)).

فهذه السمات الحسية تؤكد ما يمتلكه العقل من تقادم الخبرة وحيوية التفكير، وقوة التأثير، فضلاً عن عافية بدنه التي تمنح صاحبها النشاط، والحركة، والقدرة على اتخاذ القرار، والقول الفصل، ولم يجد ابن سينا نفسه مضطراً إلى إعادة ذكر صفات

حي بن يقظان في (القدر) عندما تحدث، عن ظهوره في هذه الحكاية في وقت شعر فيه السارد بحاجة إليه لما يعرف عنه سمات، فبعد أن احتدم الجدل بين سارد الحكاية ورفيقه حي (أمر القدر) شعر هذا السارد بحاجة قوية إلى شخص حي بن يقظان، ليحسم النزاع بينهما: ((وتأذت محاورتنا به!! صخب، وبني إلى مداراة رخيمة، رجاء أن أرفق ببدائه وأحط مرغلوائه، فتبين شيخ من بعيد اجتهرته وقلت لله من شيخ شبيه بحي بن يقظان ولا أبعد أن يكونه، ولعل الذي بيده ملكوت كل شيء أن يمتعني بقاء ثني يعود جذعا، بعد ثناء طال طوله وتمادت مدته...)) حتى تبين أنه هو ((فإذا هو هو...)).

إن السرد، في نصي ابن سينا، يظهر شخصية حي شخصياً ناضجة، وصلت إلى أرفع مستوى قبل زمن السرد، أي قبل وقوع الحدث المسرود، وهي في إطارها الفني، شخصية ثابتة، يصطلح عليها بالشخصية المسطحة<sup>(١٦)</sup> التي أمعن ابن سينا في إظهار سماته مرة واحدة، ابتداء من اختياره لها اسم (حي بن يقظان) وهو أمر يلجأ إليه كتاب القصة والرواية في العصر الحديث أيضاً، فأنتم ترى (بعض المؤلفين حاول أن يوحي إلينا بالصفة التي تتصف بها شخصيته من الاسم الذي يطلقه عليها...<sup>(١٧)</sup>)، ولم يتحدث ابن سينا عن الظروف التي أحاطت بحي، أو الأحداث التي مرت به والتي أكسبته هذا النضج والتمكن، والخبرة والفاعلية، والمعرفة. ويمكن لنا إضافة سمات أخرى تعيننا على إكمال صورة حي فشخصية حي شخصية جذابة أيضاً، مما يبدو من قول ابن سينا: ((فنزعت إلى مخاطبته، وانبعثت من ذات نفسي متفاض لي بمداخلته ومجاورته...))<sup>(١٨)</sup>، وهي شخصية متواضعة، مقبلة، مقبولة اللهجة: ((فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام، وافتر عن لهجة مقبولة...<sup>(١٩)</sup>))، وهي تنتصر للحق<sup>(٢٠)</sup>، بارعة في الكلام، قوية البيان، جريئة<sup>(٢١)</sup>، عارفة<sup>(٢٢)</sup>.

ومن المناسب ذكر أن السرد في (حي بن يقظان) و (القدر) كان سرداً ذاتياً، أي أن يتولى السارد سرد أحداث، أو حدث، حدث له، الأمر الذي يضفي على الحكاية طابعاً واقعياً، فهو (يشهد بصحة الحكاية)<sup>(٢٣)</sup>، وقد أمعن ابن سينا في إضفاء واقعية على أحداث هاتين الحكایتين بذكره أسماء مدن حقيقية<sup>(٢٤)</sup> حدثت فيها

الأحداث، فضلاً عن أن ابن سينا بعد فراغه من سرد أحداث (رسالة القدر) قال: ((وهذا ما جرى وأنا شاهد، والله على ما نقول وكيل))<sup>(١)</sup> والسرد في هاتين الحكايتين هو سرد ابتدائي، أو سرد من الدرجة الأولى<sup>(٢)</sup>، وهو قصص الأحداث على نحو مباشر، وإن جاء ذاتياً، ولم يكن السرد متزامناً مع الأحداث، بل كان سرد أحداث حدثت قبل زمانه.

على أن ابن طفيل، عند سرده أحداث قصته، يتخذ وسيلة أخرى في رسم شخصية (حي بن يقظان) لديه، ويتبع طريقة سردية مختلفة عن طريقة ابن سينا، ويتحدث عن أحداث أخرى، على نحو يظهر لنا ابن طفيل حياً غير لذي ابن سينا، مع أن منطلق (حي بن يقظان) لدى ابن طفيل هو فكرة ابن سينا في ما أسماه بأسرار الحكمة الشرقية، إذ يقول ابن طفيل في مقدمة قصته: ((سألت أيها الأخ الكريم، الصفي الحميم، منحك الله البقاء الأبدي، وأنسعدك السعد السرمدي أن أثبت إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة الشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا))<sup>(٣)</sup>، هذا يعني أن قصة ابن طفيل تشترك مع حكايتي ابن سينا في قضية فلسفية واحدة، ليس من شأننا التفصيل فيها، لنألا يبتعد البحث هذا عن طابعه الأدبي، وإن كنا سنذكر شيئاً منها عندما تقتضي ضرورة الإشارة إلى دلالات الرموز، والشخص، والأحداث، على نحو موجز، كما جاء في دلالة الاسم.

ويسرد ابن طفيل أحداثاً بطلها حي بن يقظان، في إطار سرد أولي تولاه بنفسه، متابعاً، به، تطور شخصية حي من ولادته إلى أن أتاه اليقين، إذ ينقل ما سرده السلف عن الظروف التي أحاطت بولادة حي، والتي كانت أحد احتمالين أحدهما أن حياً ولد من امتزاج الطين بالماء في ظروف طبيعية<sup>(٤)</sup>، أما الثاني فيبدو أكثر واقعية، يسرد فيه ابن طفيل أحداثاً أخرى سبقت ولادته، بقوله: ((انه كان بإزاء تلك الجزيرة، جزيرة عظيمة، متسعة الأكفاف، كثيرة الفوائد، عامرة بالناس، يملكها رجل منهم شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر، فعصلها، ومنعها الأزواج إذ لم يجد لها كفواً. وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سرا على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمانهم. ثم

انها حملت منه ووضعت طفلاً، فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها، وضعت في تابوت أحكمت زمنه بعد أن أروته من الرضاع، وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها إلى ساحل البحر... ثم قنفت به في اليم. فصادف ذلك جري الماء بقوة المد، فاحتمله من ليلته إلى ساحل الجزيرة الأخرى المتقدم ذكرها...))<sup>(٥)</sup>، ولا شك في أن هذا الحدث قد أخذ الشيء الكثير من قصة النبي موسى عليه السلام مما روي في القرآن الكريم في قوله تعالى ((إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى: أن اقذفيه في التابوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم في الساحل...))<sup>(٦)</sup>.

ويستمر السارد بسرد ما مزيجي من أحداث منذ أن قذفه الموج إلى الشاطئ، ثم حنو ظبية عليه وتوليها رعايته وتغذيته على نحو غريزي، حتى نما، وأخذ يكبر شيئاً فشيئاً، فنمت معه شخصيته، واتضحت سماتها على نحو متدرج، مرتبط بتقدم سنوات عمره وتتابليها، فقد كان ابن طفيل يذكر السنة التي بلغها عمره، في أعقاب ذكره إحدى المراحل المهمة في نمو شخصيته، نحو قوله: ((ثم تحركت في نفسه الشهوة للبحث عن سائر أعضاء الحيوان وترتيبها وأوضاعها وكمياتها وكيفية ارتباط بعضها ببعض، وكيف تستمد من هذا البخار الحار حتى تستمر لها الحياة به، وكيف بقاء هذا البخار المدة التي يبقى، ومن أين يستمد، وكيف لا تنفذ حرارته؟ فتتبع ذلك كله بتشريح الحيوانات والاموات، ولم يرزل ينعم النظر فيها ويجيد الفكرة، حتى بلغ في ذلك كله مبلغ الطبيعيين، فتبين له أن كل شخص من اشخاص الحيوان، وإن كان كثيراً بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته، فإنه واحد بذلك الروح الذي مبدؤه من قرار واحد، وانقسامه في سائر الأعضاء منبعث منه...))<sup>(٧)</sup>.

ثم يقول: ((فانتهى به هذا النحو من النظر إلى هذا الحد من النظر على رأس ثلاثة أسابيع من منشئه، وذلك واحد وعشرون عاماً))<sup>(٨)</sup> فابن طفيل لا يكتفي بذكر سنوات عمره في كل مرحلة من مراحل نمو حي الشخص المعرفي، بل يذكر مدة استغراق كل مرحلة أيضاً<sup>(٩)</sup>، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن اهتمام حي إلى التشريح للوصول إلى الحقائق المرتبطة بالجسد كان بدافع من انفعاله لموت الظبية، كما سنرى.

ويسرد ابن طفيل الأحداث التي جرت على حي ليظهره شخصا يحب المعرفة حبا فطريا، راغبا في إدراك الأشياء وفهمها تأملا ثم إجراء، لذا جاء نضجه المعرفي متدرجا، مذبذبا بين التأمل والإجراء وهذا يشمل مراحل نموه المعرفي والشخصي كلها، حتى وصول حي إلى حدث مفصلي مهم وكبير، وهو لقاءه شخصية (أسال)، هذا اللقاء الذي أقر لحي ما توصل إليه من حقائق، وما اتخذه من منهج، وسنبين هذا عند تناولنا علاقة حي بن يقظان بالشخصيات الأخرى وأثرها فيه.

إن شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن طفيل، في إطارها الفني، شخصية نامية تتميز بـ (قدرتها الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة...) (١٠٠). فقد أظهر سرد هذه القصة شخصية حي بملامح جسمية تمتع بها حي الذي بدا قوي البنية، مفتول العضلات، سريع العدو، فالظروف التي احاطت به، ومخالطته الحيوانات، وطبيعة طعامه كانت عوامل جعلته على هذا النحو (١٠١)، وربما هي كانت وراء اتصافه بالتعجب والاستفزاز مما حوله، من ذلك، مثلا، ما أثاره منظر النار من رغبة في اكتشافها ومعرفة سرها، إذ يقول: ((واتفق، في بعض الأحيان، أن أنقذت النار... فلما بصر بها رأى منظرا هاله، وخلقنا لم يعهده قبل، فوقف يتعجب منها مليا، وما زال يدنو منها شيئا فشيئا، فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل الغالب حتى لا تعلق بشيء إلا أتت عليه وأحالتها إلى نفسها، فجملة العجب بها، وبما ركب الله تعالى في طباعه من الجراءة والقوة، على أن يمد يده إليها، وأراد أن يأخذ شيئا منها...) (١٠٢)، إن هذا الحدث ينبهنا على أن شخصية حي شخصية جريئة، محتملة للمخاطر والأذى من أجل الوصول إلى حقيقة ما يراود، ثم إنه يشير إلى أن مدركات حي كانت، في أول أمرها، مرتبطة بالظواهر الحسية المحدودة التي كانت من حوله، فهو بعد أن اطمأن إلى النار وعرف مزاياها وما تثيره من دفة، وإنضاج للطعام وغير ذلك، اعتقد بانها أفضل الأشياء، يقول السارد: ((فعظم بها ولوعه، واعتقد انها أفضل الأشياء لديه...)) (١٠٣)، على أن شخصيته المتعجبة من الأشياء المستفزة بها لا تجعله مستقرا عند شيء إلا غادره إلى آخر.

وقد ارتقت شخصية حي، بعد سلسلة من التجارب العلمية،

من المرحلة العملية، وهو ابن واحد وعشرين عاما (١٠٤)، إلى مرحلة التأمل والتفكير النظري، يقول السارد: (ثم إنه، بعد ذلك، أخذ في مأخذ آخر من النظر... (١٠٥))، وهذا يظهر سمة أخرى لحي بن يقظان وهي سمة التأمل، من ذلك: ((فظهر له، بهذا التأمل أن الروح الحيواني الذي لجميع جنس الحيوان واحد بالحقبة... (١٠٦))، ((فظهر له، بهذا التأمل، أن النبات والحيوان شيء واحد... (١٠٧))، حتى اهتدى إلى حقيقة الروح (١٠٨)، وإلى الحركة وأثرها (١٠٩)، وغير ذلك،

ثم إن تأمل حي بن يقظان تحول، بعد ذلك، من الأشياء الحسية والظواهر الخارجية، إلى الداخل أي إلى ذاته، مما يشير إلى بدء مرحلة جديدة وحاسمة في نظره وتأمله (١١٠)، فاهتدى على نحو متدرج، إلى أشياء وحقائق كثيرة وكبيرة قادت إلى إدراك الفاعل الحقيقي (١١١) لهذه الأشياء والظواهر، وأزخ السارد حدوث ذلك بعمر حي الذي بلغ ثمانية وعشرين عاما (١١٢) وهذا الأمر قاده إلى تأمل الكواكب التي حدس أن ما فيها ما يوصله إلى معرفة الله تعالى واجب الوجود، يقول السارد: ((ثم إنه بعد ذلك نظر إلى الكواكب، فرأى منتظمة الحركات، جارية على نسق، ورأى شفاة ومضيئة بعيدة عن قبول التغير والفساد، فحدس حدسا قويا أن لها ذوات سوى أجسامها، تعرف ذلك الموجود الواجب الوجود...)) (١١٣)، فهذا النص يضيف سمة أخرى لحي هي سمة الحدس الذي يدفعه أيضا إلى معرفة الأشياء، وهو يؤكد أن حيا توصل إلى الموجود واجب الوجود أي الله تعالى، بعد سلسلة من التأملات التي قادتته إلى الإيمان بضرورة الاستغراق في الذات الإلهية بالتأمل، والانقطاع عن الحياة وتكاليفها التي سنمها، يقول السارد: ((لما عاد إلى العالم المحسوس، وذلك بعد جولات، حيث جال، سئم تكاليف الحياة الدنيا، واشتد شوقه إلى الحياة القصوى...)) (١١٤) وهكذا يستمر السرد ذاكرا الأحداث حتى يلتقي (أسال)، وتعلمه اللغة والدين منه، واستمرار حي على رغبته في المعرفة، حتى بعد وصوله إلى ما وصل إليه، فهو لم يتردد في السؤال عن وجه الحكمة في ما يراه (١١٥). والسرد يظهر حيا، أيضا، حسن النية بالناس (١١٦) لا يكابر، ولا يصر على المستحيل، ويفصح عن الصواب والحق وإن كان غير ما يراه (١١٧)، فهي شخصية ذات لفق

علمي مكتمل. إن السرد قد رسم صورة حي بن يقظان، لدى ابن طفيل، كاملة السمات والمشاهد واللامح، وسوف نرى أن علاقة حي بالشخصيات الأخرى تؤكد ما ذكرناه، وربما تضيف أشياء أخرى.

إن السرد، في حكايتي ابن سينا، وقصة ابن الطفيل، أظهر شخصية حي شخصية محورية مهيمنة، على أنها جاءت ثابتة ناضجة لدى ابن سينا، ونامية متطورة لدى ابن طفيل، كما ذكرنا.

### حي والشخصيات الأخرى:

ظهرت شخصيات عدة في حكايتي ابن سينا، وقصة ابن الطفيل، سنحاول وصفها على نحو يفيد في إظهار سمات حي بن يقظان الأخرى، وتأكيد ما ذكرناه منها. فقد ظهرت، في حكاية (حي بن يقظان) لابن سينا شخصية سارد الحكاية الذي كان ذا أثر في تبلور شخصية حي، ورفقاء السارد الثلاثة، وهم يرمزون إلى قوى الإنسان ((التي هي له في البدن))<sup>(١٣١)</sup> وهي القوة التخيلية، والقوة الغضبية، والقوة الشهوانية<sup>(١٣٢)</sup>، يقول ابن سينا: ((أنه قد تيسرت لي، حين مقامي ببلادي، برزة برفقائي إلى بعض المنزهات المكتنفة لتلك البقعة...))<sup>(١٣٣)</sup>، ويبدو أن شخصية السارد ترمز إلى الكيان الإنساني الواحد الذي تتجاذبه القوى النفسية المذكورة فمكان الحدث كان الإنسان بكل نوازعه وتناقضاته، وهو ما يشير إلى النزاع القائم بين غرائز الإنسان وشهواته، وضميره وعقله<sup>(١٣٤)</sup>، على أن الغلبة كانت للعقل (حي) الذي بدا ذا موقف سلبي من الرفقاء الثلاثة أي القوى الثلاث، فهو يخاطب السارد محذرا إياه منهم، بقوله: ((... وحولك هؤلاء الذين لا يبرحون عنك، إنهم لرفقة سوء، ولن تكاد تسلم منهم، وسيفتنونك أو تكتنقك عصمة وافرة...))<sup>(١٣٥)</sup>، ثم يأخذ حي بوصف هؤلاء الرفقاء بأوصاف ذميمة، مؤكدا أن النفس الإنسانية لا تنال السعادة إلا بإعراضها عن الدنيا، فسعادتها في اتباع الفضيلة<sup>(١٣٦)</sup>، وهذا موضوع استغرق نصوصه القصصية كلها<sup>(١٣٧)</sup>.

إن هذه الشخصيات قد أسهمت في إظهار قوة أثر حي بن

يقظان وفاعليته، وهو امر ظهر في حكاية (القدر) أيضا من خلال شخصيتي السارد، ورفيقه ((الذي شغفه الجدل حبا، ونشأ فيه اللداد طبعاً...))<sup>(١٣٨)</sup>.

أما في قصة (حي بن يقظان) لابن طفيل فقد ظهرت شخصيات حيوانية، وشخصية إنسانية واحدة، كان لها أثر واضح في نمو شخصية حي ونضجها، فالشخصيات الحيوانية التي أثرت في نمو شخصية حي ومعرفته هي الغلبية، وحيوان الجزيرة عامة، والغرابان اللذان اقتتلا.

أما الغلبية فهي التي حنت عليه، بدافع غريزي أخجه فقدها طلاها، وصوت (حي) الطفل الذي راح يستغيث ويصرخ جوعا، يقول السارد: ((فلما اشتد الجوع بذلك الطفل، بكى واستغاث وعالج الحركة، فوقع صوته في اذن غلبية فقدت طلاها، خرج من كناسه فحملة العقاب، فلما سمعت الصوت ظننته ولدها...))<sup>(١٣٩)</sup>، فقد اطعمته ورعته: ((فتربى الطفل ونما وتغذى بلبن تلك الغلبية إلى أن تم له حولان، وتدرج في المشي، وأثغر، فكان يتبع الغلبية، وكانت هي ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر، فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضجة، وما كان منها صلب القشر كسرت له بظواحنها، ومتى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمئ إلى الماء أوردته، ومتى ضحجا ظللته، ومتى خصر أفضأته، وإذا جن الليل صرفته إلى مكانه الأول...))<sup>(١٤٠)</sup>.

وهكذا تعلم حي، وهو في كنف الغلبية، أشياء كثيرة، من أبرزها محاكاته صوت الغلبية واصوات الحيوانات الأخرى: ((في الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع. إذ للحيوانات في هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة فألفته الوحوش وألفها، ولم تنكره ولا أنكرها...))<sup>(١٤١)</sup>، وعند بلوغه السابعة من عمره، أخذت الغلبية تضعف بعد أن كبرت سننها، فراح حي دؤوبا في تهيئة طعامها، وإطعامها ((فكان يرتاد بها المراعي الخصبة ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها...))<sup>(١٤٢)</sup>، حتى ماتت فجزع ((جزعا شديدا، وكادت نفسه تفيض أسفا عليها، فكان يناديها بالصوت الذي كانت عاداتها أن تجيبه عند سماعه، ويصيح بأشد ما يقدر عليه، فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغييرا))<sup>(١٤٣)</sup>، لقد كان حزن حي الشديد، وانفعاله العظيم على هذه الغلبية الأم



إيذانا بدخول حي عالم المعرفة، وتدرجه فيه، فقد استفزد موت  
الظبية ونفزه، وجعله أسير رغبة عارمة في معرفة سبب هذا  
التحول في جسمها، من الحركة إلى السكون، ومن حرارة الحياة إلى  
برودة الموت.. حتى راح يقلب جسمها القاني، فلم يهتد إلى شيء،  
حتى توصل بفطرته إلى تشريح صدرها لتوصله إلى ((أن العضو  
الذي نزلت به الآفة إنما هو في صدرها...))<sup>(١)</sup>، ((فعزم على شق  
صدرها وتفتيش ما فيه، فاتخذ من كسور الأحجار الصلدة  
وشقوق القصب اليابسة، أشباه السكاكين، وشق بها بين  
اضلاعها...))<sup>(٢)</sup>، وهكذا فقد كان لهذه الظبية عظيم الأثر في نمو  
شخصية حي، ثم إن جسد الظبية الميت قد تغيرت رائحته،  
ونتن، مما نفرد، وجعله لا يدري ما يفعل به، حسنى ظهور  
شخصية الغرابين اللذين اقتتلا، فاهتدى إلى دفن الجسد. ((وفي  
خلال ذلك نتن ذلك الجسد، وقامت منه روائح كريهة، فزادت  
نفرتة منه، وودان لا يراه، ثم إنه صنع لنظرة غرابان يقتتلان،  
حتى صرع أحدهما الآخر ميتا. ثم جعل الحي يبحث في الأرض  
حتى حفر حفرة، فوارى فيها ذلك الميت بالتراب. فقال في نفسه:  
(ما أحسن ما صنع هذا الغراب في مواراة جيفة صاحبه، وإن كان  
قد أساء في قتله إياه، وأنا كنت أحق بالاهتداء إلى هذا الفعل  
بأمر!) فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه، وحنا عليها  
التراب...))<sup>(٣)</sup> إن هذا المشهد المهم في تطور شخصية حي وارتقائه  
مستمد من القرآن الكريم الذي روى قصة الأخوين ابني آدم  
اللذين قتل أحدهما الآخر، حتى دفن القاتل المقتول بإيحاء من  
غرابين اقتتلا، يقول تعالى: (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض  
ليريه كيف يوارى سوء أخيه قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل  
هذا الغراب فأواري سوء أخى فأصبح من النادمين...))<sup>(٤)</sup>

ومع أننا رأينا أن حيا قد ألف حيوان الجزيرة والفتة، وجد  
نفسه مختلفا عنها في أشياء كثيرة جعلته يكتشف إنسانيته، وهذا  
أثر كبير حققته الشخصيات الحيوانية، عامة، في شخصية حي  
ونمو مدرقاتها المعرفية: ((وكان في ذلك كله ينظر إلى جميع  
الحيوانات فيراها كاسية بالأوبار والأشعار وأنواع الريش، وكان  
يرى ما لها من العدو وقوة البطش، وما لها من الأسلحة المعدة  
للدفاع من ينازعها، مثل القرون والأنياب والحوافر والصياصي

والخالب. ثم يرجع إلى نفسه، فيرى ما به من العري وعدم  
السلاح، وضعف العدو، وقلة البطش، عندما كانت تنازعه  
الوحوش أكل الثمرات، وتستبد بها دونه، وتغلبه عليها، فلا  
يستطيع المدافعة عن نفسه، ولا الفرار عن شيء منها...))<sup>(٥)</sup>  
وهكذا وجد حي نفسه غير تلك الحيوانات، فلم يستسلم بل أصر  
على مجاراتها بل التفوق عليها، فهو حين يجرب هذه المحاولة،  
ويجد أنها لا تجدي يجرب غيرها الأكثر نفعا: ((فلما طال همه في  
ذلك كله، وهو قد قارب سبعة أعوام، ويئس من أن يكمل له ما  
قد اضرب به نقصه، اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئا جعل  
بعضه خلفه وبعضه قدامه، وعمل من الخوص والحلفاء شبه  
حزام على وسطه، علق به تلك الأوراق، فلم يلبث إلا يسيرا حتى  
ذوى ذلك الورق وجف وتساقت...))<sup>(٦)</sup> بيد أنه لم يستسلم حتى  
((صافى في بعض الأيام نسرا ميتا فهدى إلى نيل أمله منه،  
واغتتم الفرصة فيه،... وقطع جناحيه وذنبه صحاحا كما هي،  
وفتح ريشها وسواها، وسلخ عنه سائر جلده، وفصله على  
قطعتين: ربط إحداهما على ظهره، والأخرى على سرتة وما  
تحتها، وعلق الذنب من خلفه، وعلق الجناحين على عضديه،  
فأكسبه ذلك سترًا ودفئا ومهابة في نفوس جميع الوحوش، حتى  
لا تنازعه ولا تعارضه...))<sup>(٧)</sup> وهكذا كان دأبه في تلافي النقص في  
قوته بإزاء قوة بعض الحيوان، وهذا يشير إلى أهمية الشخصيات  
الحيوانية في جلاء شخصية حي وإخراج ما فيها من قوى  
وإمكانات.

وقد بلغ عمر حي الخمسين عاما ((حينئذ اتفقت له صحبة  
آسال...))<sup>(٨)</sup> الذي كان ذا اثر كبير في نمو شخصية حي بن يقظان،  
فقد تعلم منه اللغة، وتجاوز معه فوجد أنهما متفقان، فكل  
المراحل التي قطعها حي، في طريق المعرفة وارتقائه فيها، حتى  
وصوله إلى حقيقة الله تعالى، وإدراكه أن السعادة إنما هي في  
الاستغراق في ذاته حيا ومعرفة، كانت قد تحققت، وهو لا يعرف  
اللغة الإنسانية.

وآسال شخص مؤمن برسالة أحد الأنبياء المتقدمين، يعيش في  
جزيرة قريبة من جزيرة حي، وهو أحد اثنين ((من أهل  
الفضل والرغبة في الخير، يسمى أحدهما آسالا، والآخر سلامان...

فأما أسال فكان أشد غوصا على الباطن، وأكثر عثورا على المعاني الروحانية وأطلع في التأويل. وأما سلامان صاحبه فكان أكثر احتفاظا بالظاهر، وأشد بعدا عن التأويل، وأوقف عن التصرف والتأمل، وكلاهما مجد في الأعمال الظاهرة ومحاسبة النفس، ومجاهدة الهوى. وكان في تلك الشريعة اقوال تحمل على العزلة والانفراد، وتدل على أن الفوز والنجاة فيهما، واقوال آخر تحمل على المعاشرة وملازمة الجماعة. فتعلق أسال بطلب العزلة...<sup>(١٢)</sup> ولكي يضمن أسال لنفسه فرصة التعبّد على مايراد، أثار الانتقال إلى الجزيرة التي يعيش فيها حي الذي كان، في تلك المدة ((شديد الاستغراق في مقاماته الكريمة، فكان لا يرح مغارته إلا مرة في الأسبوع لتناول ما سنع من الغذاء، فلذلك لم يعثر عليه أسال لأول وهلة...))<sup>(١٣)</sup>، ثم يروي ابن طفيل ظروف لقاء حي وآسال وكان لقاء مثيرا، جمع شخصين غير اعتيادين، على أن إثارة حي أشد، فهو لم ير إنسيا من قبل: ((إلى أن اتفق في بعض تلك الاوقات أن خرج حي بن يقظان لالتماس غذائه وآسال قد ألم بتلك الجهة، فوقع بصر كل واحد منهما على الآخر، فأما أسال فلم يشك أنه من العباد المنقطعين... وأما حي بن يقظان فلم يدر ما هو، لأنه لم يره على صورة شيء، من الحيوانات التي كان قد عاينها قبل ذلك..... وولى أسال هاربا منه خيفة أن يشغله عن حاله، فافتنى حي بن يقظان أثره لما كان في طباعه من البحث عن حقائق الأشياء...))<sup>(١٤)</sup> ثم يقول: ((..فزاد في الدنو منه حتى أحس به آسال، فاشتد في العدو، واشتد حي بن يقظان في أثره حتى التحق به. لما كان أعطاه الله من القوة والبسطة في العلم والجسم. فالتزمه وقبض عليه، ولم يمكنه من البراح، فلما نظر إليه آسال وهو مكتس بجلود الحيوانات ذوات الاوبار، وشعره قد طال حتى جلل كثيرا منه، ورأى ما عنده من سرعة العدو وقوة البطش، فرق منه فرقا شديدا...))<sup>(١٥)</sup>، ولا يزال حي بن يقظان، على الرغم من تجاوزه الخمسين عاما، ووصوله إلى ما وصل إليه من معارف واسعة وعميقة، متطلعا إلى المعرفة، تستقره الاشياء فيرنو إلى معرفة حقيقتها، لذا تراه يتبع خطى أسال دون كلل حتى لحق به، يساعده على ذلك ما اعطاه الله من قوة وبسطة في العلم والجسم،

وهذا وصف مستمد من القرآن الكريم<sup>(١٦)</sup>. ونتمس، من هذا الحدث الذي شهد لقاء حي وآسال، بعض صفات حي الجسمية، ومظاهره الخارجية، فقد كان يكتسي بجلود الحيوانات ذوات الاوبار، أما شعره فقد طال حتى غطى كثيرا من جسمه، وهو ذو قوة ساعدته على أن يكون سريع العدو، ذا بطش، على أن مظهره بدا مخيفا. وعندما اطمأن احدهما للآخر اكتشف آسال أن حيا لا يستطيع الكلام ولا يعرف لغة، فأخذ في تعليمه بالنطق والاشارة ((حتى علمه الأسماء كلها، ودرجه قليلا قليلا حتى تكلم في اقرب مدة...))<sup>(١٧)</sup>. ثم إن حيا حدث آسالا بحاله وبما وصل إليه من العلم والمنزلة، وإن آسالا حدث حيا عن شأن جزيرته، ((ووصف له جميع ما ورد في الشريعة من وصف العالم الإلهي، والجنة والنار، والبعث والنشور، والحشر والحساب، والميزان والصراط. ففهم حي بن يقظان ذلك كله، ولم ير فيه شيئا على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم...))<sup>(١٨)</sup>، أن لقاء حي، وآسال هو رمز للقاء بين (متصوف متطور ذاتيا، من جهة حي، ومتصوف بالطريقة المنهجية من جهة أسال...)<sup>(١٩)</sup>، إذ وجدنا نفسيهما متفقين. إن إقرار آسال ما وصل اليه حي حفز حيا إلى الذهاب إلى جزيرة آسال لهداية اهله أو إقناعهم بصواب منهجهما في العبادة، على الرغم من أن آسالا قد حاول إقناعه بعدم جدوى ما عزم عليه، فهو قد حاول قبله ولم يفلح، فأبى حي إلا ما أراد، فرافقه آسال، ووصلا إلى الجزيرة وأخذ حي يعظ سكانها الذين يتبعون منهج سلامان في العبادة على حدود الشرع والأعمال الظاهرة، وملازمة الجماعة وعدم العزلة، فلم يجد آذانا مصغية، فوجد أن الصواب هو إقرار ما هم عليه، لما فيه من أصل في الشريعة ((فانصرف إلى سلامان واصحابه، فاعتذر عما تكلم به معهم وتبرأ إليهم منه وأعلمهم أنه قد رأى مثل رأيهم واهتدى بمثل هديهم، وأوصاهم بملازمة ما هم عليه من التزام حدود الشرع والأعمال الظاهرة...))<sup>(٢٠)</sup>، إن هذا لا يعني أن حيا قد تخلى عن منهجه الأول، بل إنه يعني أنه أقرب بأن الوصول إلى الله تعالى وعبادته يمكن أن يكونا بأكثر من منهج، فهو بعد عودته، مع آسال إلى الجزيرة: ((طلب... مقامه الكريم بالنحو الذي طلبه أولا حتى

عاد إليه...) (١٣٠).

إن شخصية (سلامان) التي ظهرت أخيراً لم تستطع أن تؤثر في حي تأثير شخصية آسال، على أنها تمكنت من جعل حي يؤمن بصواب المنهج الذي اتبعته في عبادة الله تعالى.

ولا بد من الإشارة إلى أن اسمي سلامان وآسال ليسا من ابتكار ابن طفيل بل استعملهما ابن سينا عنواناً لإحدى حكاياته الرمزية الرائعة التي لم تصل إلينا بسننصها الأصلي (١٣١)، على أنه ليس مبتكرهما، إذ اقتبسهما من حكاية يونانية ترجمها حنين بن إسحاق (٢٦٠هـ) إلى العربية (١٣٢)، وهذا الاقتباس مقتصر على لفظي الاسمين دون دلاليتهما (١٣٣)، وقد ذكر أن اسمي سلامان وآسال وردا في إحدى قصص العرب، ولكن بدلالة مختلفة (١٣٤)؛ على أن الملاحظ أن ابن طفيل أورد آسال من دون باء (آسال) كما رأينا.

إن شخصية (حي بن يقظان) لدى ابن طفيل، في نموها العرفي الكبير، تفيد فكرة كبيرة ذات طابع عرفاني، أراد ابن طفيل قولها، وهي (إن في وسع الإنسان أن يرتقي بنفسه من الحسوس إلى المعقول بحيث يستطيع بعقله أن يصل إلى معرفة العالم ومعرفة الله) (١٣٥)، من غير لغة

## شخصية حي والحوار:

بدا الحوار فاعلاً في جلاء سمات شخصية حي ابن يقظان على نحو يساعدنا على إتمام رسم صورة هذه الشخصية، فالحوار من أكثر أدوات الكاتب القصصي في إظهار معالم الشخص من القصصية، وطبيعتها، وثقافتها، إذ إن الحوار (من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات) (١٣٦).

وسوف يقتصر عرضنا للحوار على حكايتي ابن سينا، فقد ترك السارد الذاتي فيهما فسحة للشخصيات لتتجاوز، وتبين عن نفسها وأفكارها، على أن الحوار لم يظهر لدى ابن طفيل، فقد تولى السارد العليم إدماج الحوار في سرده، فأصبح الحوار، في (حي بن يقظان) لابن طفيل، مادة سردية فرغنا منها، وشمل ذلك حوار حي مع آسال، وسلامان وقومه، وحواره الداخلي أيضاً.

وفي حكاية (حي بن يقظان) لابن سينا أتاح السارد لحي أن

يتحدث عن أصله ومهنته وما يراه بصيغة المتكلم، بعد أن سألته عن هذه الأشياء، يقول: ((.. وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مساءلته عن كنه أحواله، واستعلامه سنته وصناعته، بل اسمه ونسبه وبلده. فقال: أما اسمي ونسبي فحي بن يقظان، وأما بلدي فمدينة بيت المقدس، وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العوالم حتى أخطت بها خيراً، ووجهي إلى أبي وهو حي، وقد عطوت منه مفاتيح العلوم كلها، فهداني الطريق السالكة إلى نواحي العالم حتى زويت بسياحتي آفاق الأقاليم)) (١٣٧).

إن جواب حي ذو دلالة رمزية أبان عنها ابن سينا سابقاً بيانه الآخر عن حي بن يقظان، فضلاً عن شارح رسائله، فدلالة الاسم قد عرفناها سابقاً، مما اقتضاه هذا البحث، فقوله: (وأما بلدي فمدينة بيت المقدس) أي أنه ينتمي إلى (العالم المقدس عن التدنس بالحسيات والبصريات) (١٣٨) فهذه المدينة ترمز كما لاحظنا إلى (العالم العقلي المقدس من الدنس بأحوال الحسيات) (١٣٩) ومعنى المقدس هو المظهر فعالة عقلي خالص لا تعلق فيه بأي شيء حسي عند دنسنا.

أما قوله (وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العوالم حتى أخطت بها خيراً) أي أنه يرمي إلى اتباع التعقل بحقيقته وماهيته، أي بمعرفة (جنس التعقل من البدا الأول الذي ملكني مفاتيح العلوم بسحابة الموجودات دفعة واحدة...) (١٤٠)، أي من الله تعالى.

ويبدو جواب حي عن سؤال السارد الذي قرأناه جواباً ذا طابع رمزي فلسفي يؤكد دلالة اسم حي بن يقظان التي عرفناها سابقاً، ولا نريد الذهاب ببحثنا إلى آفاق فلسفية تبعد عن طابعه الأدبي، فسؤال السارد عن الاسم والأصل والبلد والحرفة، وجواب حي بن يقظان عنها حقق حواراً في شروطه الأدبية الأولية (١٤١) التي تقتضي القول وجوابه في الأقل، مما ظهر أيضاً في سؤال السارد حياً عن الفراسة (١٤٢)، وعن سبيل السياحة (١٤٣)، وأجوبة حي عنهما، التي تكون أحياناً حديثاً طويلاً يتسبب الطابع القصصي لحي ابن يقظان، فضلاً عن حكاية (القدر) التي حملت طابعاً حوارياً مشابهاً، وإن بدا فيه شيء من الاختلاف الذي جعل الحوار في (القدر) أكثر بروزاً وحرارة، فطبيعة الحوار في حي بن

يقظان لم تكن طبيعة فنية، فكما قلنا، يقوم هذا الحوار على إثارة سؤال ثم يأتي الجواب إفاضة في حديث ذي طابع فلسفي أو عرفاني يظهر ملكات حي وثقافته وقدراته، التي هي، في حقيقتها، ابن سينا وثقافته وقدراته، لذا لم يتمكن الحوار الذي اعتمده ابن سينا في (حي بن يقظان) من إضفاء أو تعميق الطابع الحكائي الأدبي، أو من إضفاء حرارة و حيوية على هذا النص، وإن كان قد أفادنا في معرفة أشياء مهمة عن شخصية حي.

بيد أننا نجد حواراً حيويًا، بعض الشيء، في حكاية (القدر) كان له أثر في قوة المستوى الفني لهذه الحكاية، ذلك أن هذا الحوار جاء أثر لقاء السارد حياً الذي عرفه من قبل، وكان بدء الحوار هنا لحي الذي يبادر السارد بسؤاله عن سبب تغير أحواله: ((فأقبل عليّ يقول: مالي أراك غير العهد الذي عهدته، وغير الألف الذي عرفتته، أراك زمر النشاط ذابل الورق ممصوص النقي، معقول الأسئلة، رائب النفس، واجم السحنة، بعد عهد بك ضربة تلهب، ونبعاً تموج وإعصاراً تعصف، وشفرة هذاذة الغرب، وجواداً غير مكبوح الجماح... فقلت: كذلك للدهر ضربات واخفاف، والمرء في تحاريفه، فإنه ليكسو ثم ينضو، ويخلع ثم يخلع، التغير ديدنه، والتبديل هجيراه..... وهذا رفيقي لقد

أطاع نزغات الشيطان في جحد القدر، وهو زلوق عن القبضة لا تملكه الحجة..... فقال لي: هون عليك فإن الملك لغيرك، ولقد علم قبل أن خلق ما خلق، وخلق ما فلق.....))<sup>(١١)</sup>.

إن طول فقرات هذا الحوار قد أثر في حيويته وقوته الفنية، فشكوى السارد من رفيقه مثلاً، استغرقت نحو صفحتين، أما جواب حي الأخير فاستغرق ما بقي من صفحات الحكاية إلى آخرها، على أنه يؤكد، أيضاً، ما عرفنا من سعة معرفة حي، وعمقها، وقوة شخصيته.

\*\*\*

إننا في هذا البحث الموجز حاولنا رسم ملامح شخصية حي بن يقظان لدى مبتكرها ابن سينا، وابن طفيل، وإظهار سماتها التي ظهرت من خلال السرد، والشخصيات الأخرى، والحوار، التي لها دلالات رمزية مقصودة، ذات بعد فلسفي.

ورأينا أن لغتنا قسادة على استيعاب الفكرة مهما دقت أو عمقت، وأن قراءة نصوص تراثنا الإبداعية هو ما نحتاج إليه اليوم الذي تشهد فيه شخصيتنا محاولات طمس أو إلغاء، وتواجه بذلك لغتنا تحدياً هي متمكنة منه لو أحسن أبنائها استعمالها، بعد العناية بقراءة مخزونها الكبير والعريق.

## الهوامش

- ١- حي بن يقظان (أحمد أمين): ١٢٥.
- ٢- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ٣- الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام. د. ناجي التكريتي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ١٩٨٨م: ٢١٩.
- ٤- حي بن يقظان. ابن طفيل. قدم له وحققه: فاروق سعد. دار الآفاق الجديدة. بيروت ط ٢ / ١٩٧٤م. (مقدمة المحقق: ٢٢. فكرة التوحيد عند فلاسفة الإسلام. (بحث) د. عبد القادر موسى حمادي مجلة الفلسفة. قسم الفلسفة، كلية الآداب. الجامعة المستنصرية. عدد ٢. حزيران ٢٠٠٢م: ٦٩.
- ٥- حي بن يقظان (أحمد أمين): ١٢٥.
- ٦- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ٧- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ٨- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ٩- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ١٠- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.
- ١١- ابن سينا. محمد المهدي السعودي. دار سراس للنشر. تونس. ١٩٨١م: ١٦٩.

- ١- التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا. د. حسن عاصي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. د.ت: ٢٢١.
- ٢- الفن القصصي عند ابن سينا. (بحث) د. فائز طه عمر. مجلة كلية المعلمين. الجامعة المستنصرية. بغداد. العدد الثامن. نيسان. ١٩٩٧م: ٢.
- ٣- دائرة المعارف. بإدارة فؤاد أفرام البستاني. بيروت. ١٩٦٠. ٢/ ٢٠٤.
- ٤- حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهرووردي. تحقيق وتعليق: أحمد أمين. مؤسسة الخانجي بمصر. ١٩٥٨م: ١٢٥. عطار نامة أو كتاب فريد الدين العطار وكتابه منخلق الطير. أحمد ناجي القيسي. مطبعة الإرشاد بغداد ط ١ / ١٩٧٨م: ٥٤٢.
- ٥- شخصيات قلقة في الإسلام، عبد الرحمن بدوي. دار النهضة العربية القاهرة/ ط ٢ / ١٩٦٤، ١١٨، ١٢٥، ١٢٦. حي بن يقظان (أحمد أمين): ١٢٥.



١٢. الكتاب الذهبي للمهر جان الألفي لذكرى ابن سينا. بغداد ٢٠٠٢. ٢٨ مارس.
- إصدار جامعة الدول العربية. مطبعة مصر. القاهرة. ١٩٥٢م: ٤٠٢.
١٣. تاريخ الأدب العربي. د. عصر الدول والإمارات: د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر. ١٩٨٠م: ٥٢٩.
١٤. فيلسوف عالم (دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي) د. جعفر آل ياسين. دار الأندلس. بيروت. د. ت: ٢٩٥.
١٥. ابن سينا ومذهبه في النفس. دراسة في القصيدة العينية د. فتح الله خليف. دار الاحد. بيروت. ١٩٧٤م: ٨، ٢٦، ٢٩. التفسير القرآني: ٢٥.
١٦. أثر الفلسفة في التخصص الرمزي في التراث العربي الإسلامي (بحث) د. فائز طه عمر. مجلة الثقافة. وزارة الثقافة والسياحة في الجمهورية اليمنية. صنعاء. السنة الثالثة. العدد الثامن عشر. يونيو - يوليو. ١٩٩٥م: ٢٧.
١٧. ابن طفيل، قضايا ومواقف: مني صالح. دار الرشيد للنشر بغداد. ١٩٨٠م: ٨٥.
١٨. رسائل الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا في أسرار الحكمة الشرقية. اعتنى بتصحيحه: ميكائيل بن يحيى المهرني. مطبعة بريل. ليدن ١٨٨٩م.
- ج/ رسالة حي بن يقظان: ٢.
١٩. التفسير القرآني: ٢٢٢.
٢٠. حي بن يقظان (ابن سينا): ٢١.
٢١. م. ن. ٢.
٢٢. فن القصة. د. محمد يوسف نجم. دار الثقافة. بيروت/ ط ٥/ ١٩٦٦م: ١٠٢.
- تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠ - ١٩٢٨) د. عبد الحسن طه بدر. دار المعارف بمصر/ ط ١/ ١٩٦٨م: ١٩٧.
٢٢. تطور الرواية العربية: ١٦١.
٢٤. حي بن يقظان (ابن سينا): ٢٠ (٢٥) م. ن. (٢٦) م. ن. ٢.
٢٧. رسائل الشيخ الرئيس: ١/ رسالة القدر: ٢١.
٢٨. م. ن. ٥.
٢٩. نظرية السرد من وجهة النظر إلى التيسير: جبرار حبيذيت وآخرون ترجمة ناجي مصطفى. دار الخطاب للطباعة والنشر. البيضاء. ١٩٨٩م: ٤٠٢.
٢٠. رسالة القدر: ١ (٢٦) م. ن. ٢٥.
- (٢٢) مدخل إلى نظرية القصة. سمير الرزوقي وجميل شاكر. آفاق عربية (بغداد)، والدار التونسية للنشر. مشروع النشر المشترك. بغداد. ١٩٨٦م: ١٠٠.
٢٣. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٢ - ١٢٤.
٢٤. م. ن. ١١٧ - ١٢٠. ٢٥ م. ن. ١٢١ - ١٢٢. ٢٦ طه: ٢٨ - ٢٩.
٢٧. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٢ - ١٢٤. ٢٨ م. ن. ١٢٥.
٢٩. م. ن. ١٢٢، ١٦٥، ١٧٧. ١٠ فن القصة: ١٠٤.

١. حي بن يقظان (ابن طفيل): ١٢٠ - ١٢١.
- ٢٢ م. ن. ١٢٠. ٢٢ م. ن. ١٢٢. ٢٤ م. ن. ١٢٤. ٢٥ م. ن. ١٢٨.
- ٢٦ م. ن. ١٢٠. ٢٧ م. ن. ١٢١. ٢٨ م. ن. ١٢٢. ٢٩ م. ن. ١٢٣.
- ٣٠ م. ن. ١٢٨. ٣١ م. ن. ١٢٩. ٣٢ م. ن. ١٣٠.
- ٣٣ م. ن. ١٣٤. ٣٤ م. ن. ١٣٥. ٣٥ م. ن. ١٣٦.
- ٣٦ م. ن. ١٣٧. ٣٧ م. ن. ١٣٨. ٣٨ م. ن. ١٣٩.
- ٣٩ م. ن. ١٤٠. ٤٠ م. ن. ١٤١. ٤١ م. ن. ١٤٢.
- ٤٢ م. ن. ١٤٣. ٤٣ م. ن. ١٤٤. ٤٤ م. ن. ١٤٥.
- ٤٥ م. ن. ١٤٦. ٤٦ م. ن. ١٤٧. ٤٧ م. ن. ١٤٨.
- ٤٨ م. ن. ١٤٩. ٤٩ م. ن. ١٥٠. ٥٠ م. ن. ١٥١.
- ٥١ م. ن. ١٥٢. ٥٢ م. ن. ١٥٣. ٥٣ م. ن. ١٥٤.
- ٥٤ م. ن. ١٥٥. ٥٥ م. ن. ١٥٦. ٥٦ م. ن. ١٥٧.
- ٥٧ م. ن. ١٥٨. ٥٨ م. ن. ١٥٩. ٥٩ م. ن. ١٦٠.
- ٦٠ م. ن. ١٦١. ٦١ م. ن. ١٦٢. ٦٢ م. ن. ١٦٣.
- ٦٣ م. ن. ١٦٤. ٦٤ م. ن. ١٦٥. ٦٥ م. ن. ١٦٦.
- ٦٦ م. ن. ١٦٧. ٦٧ م. ن. ١٦٨. ٦٨ م. ن. ١٦٩.
- ٦٩ م. ن. ١٧٠. ٧٠ م. ن. ١٧١. ٧١ م. ن. ١٧٢.
- ٧٢ م. ن. ١٧٣. ٧٣ م. ن. ١٧٤. ٧٤ م. ن. ١٧٥.
- ٧٥ م. ن. ١٧٦. ٧٦ م. ن. ١٧٧. ٧٧ م. ن. ١٧٨.
- ٧٨ م. ن. ١٧٩. ٧٩ م. ن. ١٨٠. ٨٠ م. ن. ١٨١.
- ٨١ م. ن. ١٨٢. ٨٢ م. ن. ١٨٣. ٨٣ م. ن. ١٨٤.
- ٨٤ م. ن. ١٨٥. ٨٥ م. ن. ١٨٦. ٨٦ م. ن. ١٨٧.
- ٨٧ م. ن. ١٨٨. ٨٨ م. ن. ١٨٩. ٨٩ م. ن. ١٩٠.
- ٩٠ م. ن. ١٩١. ٩١ م. ن. ١٩٢. ٩٢ م. ن. ١٩٣.
- ٩٣ م. ن. ١٩٤. ٩٤ م. ن. ١٩٥. ٩٥ م. ن. ١٩٦.
- ٩٦ م. ن. ١٩٧. ٩٧ م. ن. ١٩٨. ٩٨ م. ن. ١٩٩.
- ٩٩ م. ن. ٢٠٠. ١٠٠ م. ن. ٢٠١. ١٠١ م. ن. ٢٠٢.
- ١٠٢ م. ن. ٢٠٣. ١٠٣ م. ن. ٢٠٤. ١٠٤ م. ن. ٢٠٥.



# الكمارك والمكوس في العراق

٦٥٦ . ١٣٣٣ هـ / ١٢٥٨ . ١٩١٤ م

أ.د. طارق نافع الحمادي

جامعة بغداد / كلية التربية (البن رشد)

## لوطنة:

عرفت الأمم والشعوب الضرائب الكمركية منذ أقدم العصور، ويرجع تاريخها الى العصور التي سبقت تطور المدنية، واقرن وجودها بظهور التنظيم الاجتماعي، وقيام التجارة وتوسعها في المجتمعات القديمة، واتخذت اشكالا وصيغا واهدافا مختلفة.

ومع ان معظم الدراسات التي تناولت التطور التاريخي لهذه الضرائب لم تتطرق الى الصيغة التي اتخذتها في العصور القديمة الا انه يمكن القول بأنها كانت توفر على التجارة الخارجية (الواردات فقط) بسبب تزايد الحاجة الى الايرادات لسد النفقات الكبيرة. ولهذا فان استخدام الدولة لسلطاتها في فرض الضرائب، لم يكن بهدف حل او معالجة مشكلة اقتصادية معينة، بقدر ما هو تحقيق اهداف الاشخاص الذين تمثلهم او تخدم مصالحهم الا ان هذا لا ينفي بروز بعض الآثار الاقتصادية، بيد ان هذه الآثار لم تكن تقصد لذاتها<sup>(١)</sup> ويؤكد مير بصري اهنية الرسوم الكمركية مصدراً من مصادر دخل الدولة حتى العصور الحديثة والمعاصرة اذ يقول:

"تؤلف الرسوم الكمركية مصدراً من أهم مصادر الدخل في الدولة، فهي ضريبة غير مباشرة تجمع سهولة الاستيفاء وعدالة التوزيع، ولا عجب اذا ما اصبحت من الضرائب التي تعتمد عليها

الدول على اختلافها ملء خزانتها والاتيان بجزء كبير من وارداتها وفي وسعنا القول بان النظام الكمركي العراقي لم يكن الى ما قبل بضعة عشر عاماً سوى وسيلة لتأمين إيراد ثابت للدولة"<sup>(٢)</sup>

وخضعت التجارة في العراق بعد فتح العرب المسلمين له لضريبة العشر، واستمر العمل بها طوال ايام الامويين والعباسيين الا انها شهدت بعض التغيرات في نهاية حكم الاخيرين، وتمثل ذلك في زيادة نسبتها، وانحرافها عن الاساس القيمي، وتغيير طرق جبايتها من التحصيل المباشر الى الالتزام<sup>(٣)</sup>.

وقبل ان ننهي هذه التوطئة، لابد من الاشارة الى لفظتي (كمرك) ومكوس. فكمرك كوميرو جيو commerico كلمة ايطالية تعني محل الجباية. وقد اخذ العثمانيون الكلمة واصلها لاتيني commericum كوميرو جيو، ودخلت اللغة التركية بعامل القرب والتجارة واصبح من مدلولاتها المبادلة والتجارة<sup>(٤)</sup>.

واما المكس - التي تعني في اللغة الجباية او الضريبة التي يأخذها الماكس أو العاشر أو العشار - فهو قديم وله ذكر في العصور التي سبقت مجيء الاسلام، واصبح المكس ضريبة غير مستحبة في الاسلام لما فيها من ظلم وحيف لذا عمل المسلمون

على ازالة معالم الجور منها، وجعلها متفقة مع واقع العرب المسلمين وقدراتهم.

ولم تكن ضريبة (المكس) مقصورة على الاموال التجارية التي تمر بالعاشر من بلد الى اخر بل شملت الاموال التجارية التي تباع في الاسواق، اذ كان يؤخذ عليها المكس دراهم معدودة.<sup>(١٠)</sup>

٢. نظرة تاريخية في الكمارك والمكوس.

أ. الكمارك والمكوس بعد الغزو المغولي للعراق.

كانت الضرائب التي فرضها المغول الايلخانيون استمراراً للضرائب الموجودة في اواخر ايام العباسيين، حتى اننا لا نجد ضريبة ايلخانية الا ولها سابقة في عهد ما من العهود العباسية. ولكن المغول الايلخانيين لم يميزوا بين الضرائب الشرعية وغير الشرعية، طالما انها تحقق لهم الاموال، ولهذا كانت الضرائب الايلخانية اكثر ثقلًا مما كانت عليه في السابق.<sup>(١١)</sup>

اما ضرائب العهد الجلائري، فهي الاخرى كانت استمراراً للضرائب السابقة إلا أن انقسام سلطة الجلائريين، والمنافسات الشديدة بين امرائهم، قد أدى الى تنوع الضرائب وزيادة مقدارها.<sup>(١٢)</sup> ولم ير العراق تبديلاً واضحاً في الضرائب المفروضة على التجارة (او المكوس) في عهود القراقوينلو والاق قوينلو والصفويين، بل استمرت الاحوال كما كانت عليه حتى دخول العثمانيين بغداد عام ١٥٢٤.

كانت ضريبة التمغا أو الطمغا أو الدمغة من اكثر ضرائب المكوس التي شاعت في العراق في عهود السبيطرة المغولية والتركمانية وكان يعنى بها السمة أو الشارة التي توضع على الاموال التجارية للدلالة على اخذ الضريبة عنها، وصارت اسماً لتلك الضريبة.<sup>(١٣)</sup>

اما اساليب جباية الضرائب في هذه العهود، ففسد كانت متعددة كالضمان والجباية المباشرة، وفي كلتا الحالتين فان مقدار الضريبة كان عالياً لدرجة ان الضماناء انفسهم كانوا يعجزون عن دفعها احياناً. ودفع هذا الامر السلطان محمود غازان عام ٧٠٤هـ/١٣٠٢م الى وضع ديباجة قانون لاصلاح احوال الضرائب التي كان يفرضها الايلخانيون، لان جباية الضرائب كانوا يأخذون اضعاف ما هو مطلوب منها من الناس، وذلك باسماء مختلفة للضرائب وحجج شتى.<sup>(١٤)</sup>

زادت ضريبة التمغا في عهود المغول والتركماني، فحسب رواية نصير الدين الطوسي - مستشار هولاكو - ان نسبة التمغا على التجارة كانت ديناراً واحداً في كل مائتين واربعين ديناراً، وبلغت بعد ثلاثين سنة من ذلك نسبة ٤,٥% ووصلت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي نسبة ١٠% واراد حاكم الاق قوينلو اوزون حسن ان يلغي هذه الضريبة بالكامل ولكن مستشاريه اقنعوه بأن يحددها بمقدار ٥%.<sup>(١٥)</sup> ومما يؤكد الامر ما كتبه المؤرخ العراقي المعاصر عبد اله بن فتح الله البغدادي، اذ قال:

"وكان (اوزون حسن) عادلاً فاراد ان يبطل التمغوات في جميع بلادها فلم يتركها الامراء، فجعل التمغا من كل عشرين درهما درهماً على النصف، وقل مما كانوا يأخذونه السلاطين الماضية **﴿كنا﴾** وكتب قانوناً في الشكاوى والتخاصم الذي يقع بين الناس وارسلها الى جميع بلادها بأن يعملوا بموجبها، ولم يغادر من امور العدل شيئاً يقدر عليه الا فعله".<sup>(١٦)</sup>

على أن القانون الذي وضعه اوزون حسن لضبط جباية الضرائب وغيرها، ظل معمولاً به في العراق وفارس واذربيجان حتى زمن الصفويين، كما طبق - مع تعديل طفيف - من قبل العثمانيين.

وبرغم تلك الاجراءات فقد تدهورت تجارة العراق (في بغداد والمدن الاخرى) ونمت التجارة في تبريز، ذلك لأن الطرق الرئيسية لم تعد تمر بهذه المناطق وانما بتبريز - التي اصبحت عاصمة للمغول الايلخانيين وغيرهم - وهذا ما قـلـل من (تجارة الترانزيت) التي كانت تجنيها المدن العراقية<sup>(١٧)</sup>

ب. الرسوم الكمركية في العهد العثماني ١٥٢٤. ١٩١٤.

لم يستحدث العثمانيون عند استيلائهم على العراق أي قواعد مالية تغيّر تلك التي كانت موجودة في الأزمان السابقة للاحتلال، وانما طبقوا القوانين والرسوم على البضائع المصدرة والمستوردة التي كانت موجودة زمن اسلافهم.<sup>(١٨)</sup>

إلا أنه بمرور الزمن، بدأ العثمانيون باصدار القوانين أو (الفرامين) التي تنظم الضرائب والرسوم والكمارك، وهذا ما ظهر في قانونامة عام ١٥٥١ و ١٥٧٤. والملاحظ ان العثمانيين

فرضوا ضرائب على كل ما يخص التجارة ابتداءً بعملية نقل السلعة ومروراً بعملية البيع والشراء والوزن وغير ذلك. وقد فرضت على جميع السلع والمنتجات التي تجلب الى الاسواق، بحيث بلغ عددها اكثر من عشرين نوعاً من الضرائب والرسوم والكمارك في ولاية البصرة.<sup>(٤)</sup> وكانت هذه الضرائب تستحصل تحت تسميات مختلفة مثل ضريبة الباج، التي تعني في ولاية الموصل ما يفرض على السلع والبضائع المارة دون ان تباع في اسواقها (أي ترانزيت)، ولم تكن هناك أسس ثابتة لتقدير هذه الضريبة ولا الى ضريبة التمغلا في ولاية الموصل ولا في الولايات العراقية الاخرى<sup>(٥)</sup>

وهناك ضرائب على السلع الواردة إذ نجد الإشارة اليها في قانونامة البصرة لعامي ١٥٥١ و١٥٧٤ باسم (رسومات)، وهي الكلمة العربية رسم على المستوردات والصادرات. ويظهر من القوائين الاخرى بسان هذا المصطلح قد استخدم بالتبادل مع كلمة (كمرك)، وهو المصطلح التركي لهذا النوع من الضرائب.<sup>(٦)</sup>

أما الضرائب المفروضة على السلع الاجنبية فقد حددتها (الامتيازات) التي عقدها العثمانيون مع الدول الاوربية، وبموجبها تقرر تحديد الضرائب المفروضة على سلع هذه الدول بـ ٢٪، في حين ان الضرائب المفروضة على السلع المحلية بلغت حداً أدنى وهو ٦٪، وكان من أهم تلك الامتيازات ما تم عقده مع الفرنسيين في القرن السادس عشر، ومع الانكليز في نهاية القرن المذكور وبداية القرن السابع عشر<sup>(٧)</sup> وإلى جانب ذلك فقد عقد العثمانيون والانكليز معاهدة عام ١٦٦١، ثبتت التعرفة الكمركية على الرعايا الانكليز بحيث لا تتجاوز نسبة ٢٪ من قيمة السلع، الا انه لم يتم التصديق على هذه المعاهدة الا في عام ١٦٧٥.<sup>(٨)</sup>

على الرغم من ان الحد الأقصى للضرائب الكمركية كان ٢٪ طبقاً لما جاء في نظام الامتيازات الا ان الولاة العثمانيين في المدن العراقية لم يلتزموا بهذه الاتفاقيات، وفرضوا ضرائب على السلع الاجنبية وصلت نسبتها في مطلع القرن الثامن عشر ٨٪<sup>(٩)</sup> ومع ذلك فان الالتزام بهذه الضريبة او بـ ٢٪ كان عرضة للتغيير طوال القرن الثامن عشر، وحتى هذه النسبة لم تكن متساوية بالنسبة لكل التجار الاجانب، فبينما جرى الالتزام بها

بالنسبة للتجار الانكليز والفرنسيين، الا أنها لم تكن كذلك بالنسبة للتجار الاخرين، وفي هذا يحدثننا كارستن نيبور بقوله: "ويضع الاوربيون الذين يتعاطون التجارة مع البصرة ٢ بالمائة رسوماً كمركية عن كل بضاعة يجلبونها من الهند، في حين يجب على كافة الاقوام الشرقية دفع ٧ بالمائة رسوماً كمركية؛ وحيث ان بضائع اولئك الاخيرين يجب ان يخمنها موظفو الكمارك، فهي ترتفع في اغلب الاوقات الى اكثر من ذلك".<sup>(١٠)</sup>

ولما كان التجار العراقيون يدفعون ضريبة استيراد وتصدير قدرها ٨,٥٪ من قيمة السلع، فقد شجع هذا الامر (تجارة التهريب)، اذ لجأ التجار المحليون الى انزال بضائعهم القادمة من مسقط مثلاً في الكويت، ونقلها الى الزبير، وتوزيعها الى داخل العراق، لو ارسالتها عبر الطريق الصحراوي الى حلب، تجنباً لمراكز الكمارك العثمانية في البصرة.<sup>(١١)</sup>

على ان الامتيازات التي كان يمنحها السلاطين العثمانيون للاجانب تدل على القوة ومكانة السلطان، وهي تقرر حقوقاً وواجبات متبادلة بين اطرافها. الا ان ضعف الدولة العثمانية وتدهورها، جعل الامتيازات تأخذ شكل الاتفاقيات التي تفرض على السلطان، وكان على كل حاكم عثماني جديد ان يعترف بها ويجدها فور ارتقائه العرش، وهذا ما ينطبق على معاهدة ١٨٢٨ والمعاهدات الاخرى التي تلتها.<sup>(١٢)</sup>

جرى في عام ١٨٢٨ عقد معاهدة (بلطة ليما) مع بريطانيا وفرنسا والنمسا تقرر بموجبها فرض ضريبة كمركية موحدة على البضائع المستوردة قدرها ٥٪ من قيمة البضاعة تفرض ٢٪ منها عند تفريغ البضاعة المتسوردة و ٢٪ عند بيعها في ميناء التفريغ او عند نقلها الى الداخل. أما رسوم التصدير فقد كانت ١٢٪ من قيمة البضاعة. تؤخذ ٩٪ ضريبة محلية خاصة و ٢٪ في حالة الشحن الى الخارج.<sup>(١٣)</sup> الا ان هذا النظام - على حد قول غنيم - لم يطبق في العراق الا في مرحلة تالية.<sup>(١٤)</sup>

عادت الدولة العثمانية في عام ١٨٦١ الى عقد معاهدات جديدة مع الدول الاوربية فرفع رسم الاستيراد من ٥٪ من قيمة البضاعة الى ٨٪ وخفض رسم التصدير من ١٢٪ الى ٨٪ مع خفضه سنوياً بمعدل ٦٪ حتى يبلغ ١٪ وقد بلغ هذا الحد فعلاً عام





والواردات البريطانية وجعلها ١١٪ وهي اعلى من الضريبة المفروضة على التجارة الوطنية. وعندما اراد كلوديوس ريج - الوكيل السياسي البريطاني - أن يذكره بما للبريطانيين من حقوق معينة اخرجتها الامتيازات المعقودة مع الدولة العثمانية اجابه بخشونة "وقال بأنه لا يقبل اي حق اوروبي خاص ببغداد".<sup>(١١)</sup>

٢. المراكز الكمركية العراقية وادارتها.

كانت مدن بغداد والبصرة والموصل اهم المراكز التجارية في العراق. وهي مراكز لتجارة الترانزيت، وفيها كانت تجري جباية الضرائب وادارتها، فضلا عن وجود مراكز متفرعة للقيام بمثل هذه الاعمال المماثلة بتوجيه من الحكومة واحسياناً دون علمها وموافقتها.

ومما يذكر ان الاشارات الواردة من نهاية القرن السادس عشر تشير الى وجود (دار للمكوس) في بغداد والبصرة والموصل، وكانت هذه الدور تقوم بجباية المكوس، عن طريق مسؤول عثماني فيها. اذ يشير الدكتور ليونهارت راوولف الذي زار بغداد عام ١٥٧٤ الى وجود دار للكمارك فيها.<sup>(١٢)</sup> واكد الرحالة الانكليزي جون الدرد Eldred الذي زار العراق عام ١٥٨٢ عن وجود (دار للمكوس) في بغداد، يتم بواسطتها جباية الضرائب من القوافل التجارية، ويتعهد أحد التجار بجمع المبلغ وتسليمه الى المسؤول العثماني في الدار.<sup>(١٣)</sup> كما ذكر وجود (دار مكس) للعثمانيين في القرنه حيث يدفع التجار ضريبة على سلعهم هناك.<sup>(١٤)</sup>

وبسبب تدفع ضرائب الكمارك التجارية في مدينة بغداد والموصل نفسها، فإنها تسجل في القرنه وتدفع في كمرك البصرة، وكذا هو الشأن بالنسبة للقوافل التجارية القادمة من حلب الى البصرة عن طريق بادية الشام أو البضائع التي تجلبها السفن عن طريق شط العرب الى البصرة.<sup>(١٥)</sup>

اصبحت ادارة الكمارك في العراق اكثر انتظاما في القرن السابع عشر، وربما يعود ذلك لكون العثمانيين عينوا موظفا لهذه المهمة يدعى (امين كمرك بغداد).<sup>(١٦)</sup> ويمكن ملاحظة ذلك ايضا مما ذكره تافرنيه عام ١٦٥٢ من ان رجال الكمارك في بغداد يدنون ثبوتا بالسلع والبضائع التي يحملها التجار الى المدينة وينقلونها الى (دار الكمرك) حيث يستلمها التجار بعد ثلاثة ايام

بعد دفع ما عليها من رسوم الكمرك وهذا كله يتم بنظام تام، دون ما جلبه ولا ضوضاء.<sup>(١٧)</sup>

واتخذت الادارة الكمركية في البصرة، على عهد ال افراسياب (١٥٩٦-١٦٦٨) اجراءات طيبة في التعامل مع التجار الاجانب، ولا سيما أن افراد هذه الاسرة قد فتحوا ابواب البصرة للتجارة الخارجية، مما دز عليهم موارد كبيرة من الرسوم الكمركية لكن هذه الرسوم لم تكن الوحيدة، بل كان على التجار ان يدفعوا اضعافها في المراكز الكمركية الفرعية التي كانوا يمرون بها ما بين البصرة وبغداد، وهذا ما نجده في وصف الرحالة الايطالي سبستيان، الذي زار العراق ثلاث مرات في القرن السابع عشر.<sup>(١٨)</sup>

وفي القرن الثامن عشر، اصبح للكمركجي (موظف الكمرك) مكانة خاصة، اذ كان يعد من اعيان المدينة بحيث ان متسلم البصرة كان يستلعيه مع القبودان (قائد البحرية) والفتردار والقاضي حيث تستوجب الحاجة ذلك، لمذكرة الشؤون المهمة.<sup>(١٩)</sup> وفي بغداد اصبح للكمارك مركز عرف ب (دار الكمرك) فاحتل بناية المدرسة المستنصرية، الواقعة على نهر دجلة، وهذا ما اشار اليه نيبور عام ١٧٦٢، بل إن القسم الاعظم من هذه البناية قد تحول الى خان ينزل فيه اصحاب القوافل التجارية.<sup>(٢٠)</sup> وظلت هذه البناية منذ ان اشار اليها نيبور عام ١٧٦٢ وطوال القرن التاسع عشر<sup>(٢١)</sup> وبداية القرن العشرين (داراً للكمرك) إذ ترسو عندها البواخر، لأن المبنى يقع على ضفة نهر دجلة قسرب الجسر، وفيها تنفض البواخر بضائعها، الى ان يتسنى لاصحابها ان يرسلوها بالقوافل الى البلاد المجاورة، وفيها تجمع ايضا السلع والبضائع العراقية والفارسية ريثما يتم شحنها بالبواخر الى اماكن تصديرها.<sup>(٢٢)</sup>

وكما هو الحال في القرن السابع عشر، عرفت عدة مراكز كمركية فرعية ما بين بغداد والبصرة، بل ان العثمانيين كانوا يعينون بعض القوات الانكشارية لتحصيل الرسم الكمركي من البضائع التجارية التي تمر بالمراكز الرئيسية. أما المراكز الفرعية، وخاصة التي تقع على نهر الفرات صعوداً الى بغداد، فقد كانت تفرض عليها رسوم كمركية سبع مرات، وكان موظفو الكمارك، أو شيوخ القبائل المتنقلون، كقبائل المنتفق والخزاعل،

هم الذي يقومون بجبايتها لصالحهم على ان البضائع الاوربية التي تصعد نهر دجلة عند ارتفاع مناسبه كانت تتجنب مثل هذه الرسوم العديدة اذ لا يدفع عنها سوى ضريبة واحدة في البصرة، واخرى في القرنة، حتى تصل الى بغداد.<sup>(١٣٠)</sup>

وكانت هناك دار للكمرك في الموصل، اشار اليها نيبور عام ١٧٦٦، اذ نقلت بضائعه اليها وتم اخراجها لقاء دفع مبلغ قليل من النقود لاحد المستخدمين في تلك الدار، اطلق عليه اسم (اجور اخراج كمركي).<sup>(١٣١)</sup>

ظلت مراكز بغداد والبصرة والموصل تمارس جباية الضرائب الكمركية على البضائع التي تدخل العراق وتخرج منه، حتى بدء الاسلاح الكمركي في هذه البلاد عام ١٨٦٤، وفيه تم تعيين موظف للكمرك يعرف بـ (الناظر) او المدير العام ومقره في بغداد، ويتصل مباشرة بالادارة المركزية العثمانية في اسطنبول وتحت امرته مديرا مقر احدهما بغداد ومقر الثاني البصرة، ويسمى الموظفون الاقل مرتبة بالمأمورين ويعينون في المراكز الحدودية مثل خانقين وقرزل رباط (السعدية) ومنديلي وبدرة، وفي منطقة شط العرب في النشوة والقرنة، وعلى نهر الفرات في سوق الشيوخ، وعلى نهر دجلة في قسلة علي صالح والعمارة وكوت العمارة والصويرة والكاظمية.<sup>(١٣٢)</sup>

ومما يذكر ان المراكز الكمركية لم تكن مهياة تماما لحفظ البضائع والسلع في مستودعاتها. فكمرك البصرة قبل الحرب العالمية الاولى لم يكن محفوظا من الامطار فكانت مياهها تضر بالسلع والبضائع المتراكمة المعدة للشحن الى بغداد، ولم تتمكن السفن القليلة من نقلها، وقد بلغت الشكوى ذروتها، ولا سيما ان شركات الضمان كانت مسؤولة عن ذلك الضرر ودفع ثمن البضاعة المعطوبة.<sup>(١٣٣)</sup>

في طرق جباية الكمرك ووارداتها.

يرجح ان يكون نظام الالتزام قسدا وافق ضعف الولاة العثمانيين في العراق نهاية القرن السادس عشر فعندما عجز هؤلاء الولاة عن جمع الاموال بانفسهم، منحوا آخرين حق جمعها بطريقة الالتزام.<sup>(١٣٤)</sup>

وان اول وثيقة عثمانية تشير الى منح الرسوم الكمركية

اشخاصا معينين بطريقة الالتزام قد وردت اليها عام ١٦٢٩ وفيها منح كمرك بغداد بالالتزام شخصا ارمنيا يدعى (سفر) ثلاث سنوات على ان يدفع في السنة الاولى ٢٥٠٠٠ قرشا، وفي السنة الثانية ٤٠٠٠٠ قرشا وفي السنة الثالثة ٤٥٠٠٠٠ قرشا، وكان التزامه يشمل القصابية وميزان الحرير والصبغة والمذبغة والاحتساب ودار الضرب والتمغ وغيرها من الضرائب. واصبح (سفر) يتصرف بهذه الامور بالطريقة ذاتها التي يتصرف بها امراء الكمرك العثمانيون.<sup>(١٣٥)</sup>

الا انه بعد سنوات من ضبط (سفر) لالتزام كمرك بغداد وتوابعه، رفع عنه العقد واحيل الى شخص اخر، وجاء في الامر: "بما ان حسابات المدعو (سفر) الذي في عهده مقاطعات كمرك بغداد وتوابعه لم ينظر فيها منذ ابتداء الفتح. أي سنة ١٦٢٩. فقد رفع عنها واحيلت تلك المقاطعات على اسكندر ابن سانس من سكة حلب، وذلك لمدة ثلاث سنوات بتحويل واحد ببديل سنوي قدره ستون الف قرش وذلك ابتداء من غرة ربيع الآخر سنة الف وخمس وخمسين، ما جعلوا رجاله القادمين كذا اليكم يضبطون المقاطعات ويأخذون ويقبضون محصولات التي تنتج خلال مدة تحويله على ان تخرج بعد هذا براءته ولا تجعلوا (سفرا) المرفوع (عن المقاطعات) او أحدا غيره يتدخل في الامر ويتعرض له)). حرر في اليوم التاسع والعشرين في صفر سنة خمس وخمسين والف (١٦٤٥) بمقام القسطنطينية.<sup>(١٣٦)</sup>

واللافت للنظر أن واردات هذا الالتزام قد احييت لسد جانب من نفقات الدولة العسكرية، فقد ورد فرمان للسلطان موجه الى محافظ بغداد (واليها) درويش محمد باشا وقاضيه ودفتر دارها بتاريخ ١٦٤١/١٠٥٠ بأمر منه بأن يؤخذ من بدل (التزام الكمرك) المحال مقطوعا بستين الف قرش سنويا ما هو ثمن الف ومائة وخمسين اوقية لحما التي تعطى يوميا للانكشارية والطوبجية والجبجية (هم صنوف من الجنود)، وذلك بحساب ثمن الاوقية تسع اقجات.<sup>(١٣٧)</sup>

وتدل الحوادث التاريخية على ان كمرك بغداد ظل يحال بطريقة الالتزام في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وان

موارده قد احتفظت بمستواها. فقد ورد في احدى الوثائق بان مقدار التزام كمرك بغداد بلغ في سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧٢م ٤,٤٠٠,٠٠٠ اقجة<sup>(٢٠)</sup>

استمر الالتزام طريقة لجباية الرسوم الكمركية في القرن الثامن عشر. فقد اشار الرحالة البريطاني جاكسون الذي مرّ بالعراق عام ١٧٩٧ الى انه التقى (( بأحد رجال الكمارك بعد خروجه من سوق الشيوخ وهو من سكنة اسطنبول، وقد اشترى هذه الجباية بقيمة غير ضئيلة)).<sup>(٢١)</sup>

كانت الرسوم على التجارة في بغداد والولايات العراقية الاخرى مصدرا مهما لخزانة هذه الولايات، فقد قدرت واردات ولاية بغداد في عهد المالك (١٨٢١-١٧٥٠) بحوالي مليون قرش، وواردات البصرة بمليون ونصف المليون، وكان الالتزام هو الطريقة لجبايتها.<sup>(٢٢)</sup>

على ان هذه الواردات قد تناقص كثيرا بسبب اجراءات بعض الولاة فقد حدث ان خفض والي بغداد، سعيد باشا (١٨١٢-١٨١٦) رسوم الكمارك، بحيث ان والي اصبغ غير قادر على دفع رواتب جنوده، فاضطر الى اخذ قرض من التجار.<sup>(٢٣)</sup>

وهكذا اتبع العثمانيون وكذلك المالك نظام الالتزام اسلوبا لجباية الضرائب المحلية وفي الرسوم الكمركية على حد سواء حتى عام ١٨٢٨ حيث عهد العثمانيون الى الغاء هذا النظام واستبداله بأخر جديد يعطي مهمة جمع الضرائب الى موظف عثماني يعرف باسم (( جامع ضرائب عام)). ومع ذلك فقد كان العثمانيون مضطرين أحيانا الى العودة الى اسلوب الالتزام القديم، بسبب ان جمع واردات الكمارك لم تكن كفوءة ولا نزيهة.<sup>(٢٤)</sup>

ولدينا امثلة كثيرة عن موظفين صغار سرعان ما أثروا على حساب الناس.<sup>(٢٥)</sup> فقد نقلت لنا السيدة ديولافوا، أن أحد المصارف في الموصل قد افلس عام ١٨٨٠، وعند مراجعة دفاتره وجد ان احد موظفي الكمرك الصغار قد استطاع براتبه الصغير ان يدخر أو يجمع في هذا البنك، مبلغ ستمائة الف فرنك، وهذا ما كان يتقاضاه من رشوة خلال اداء اعماله الرسمية.<sup>(٢٦)</sup>

وجاءت الخطوة التالية لتنظيم جباية الرسوم الكمركية

عام ١٨٦١، حيث ربطت الدولة العثمانية الدوائر الكمركية بالعاصمة اسطنبول مباشرة، وعينت أمينا عاما للرسومات وكان هذا الاجراء كما يقول د. محمد سامان حسن، (( خطوة الى الامام بالنسبة لنظام الالتزام، ولكنه كان قد اتخذ فقط فيما يختص بالرسوم المفروضة على التجارة الخارجية، اما بقية الضرائب فقد استمرت على طريقة الالتزام التي تحيل الجباية الى المزايد الأعلى)).<sup>(٢٧)</sup>

وعلى اثر هذه التغييرات نظم كمرك بغداد والبصرة، وارتفعت الضريبة المفروضة على البضائع الاجنبية المستوردة من ٥٪ الى ٨٪ من قيمة البضاعة، والتزم مقابل ذلك بالغاء جميع الحواجز والضرائب الكمركية الداخلية وهي ضرائب كانت تؤدي الى فرض تكاليف اضافية على البضاعة المستوردة قد تتراوح ما بين ١٥٪ - ٥٠٪ من قيمتها. وعد هذا الاجراء مفيدا، لأنه جنب التجارة الخارجية كثيرا من المضايقات التي كانت تتعرض لها عند مرورها بمناطق التجمعات القبلية.<sup>(٢٨)</sup>

وفي ضوء متابعة تطور الواردات المالية للعراق، يمكننا ان نتلمس بعض الارقام عن موارد الرسوم الكمركية في الولايات العراقية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ففي عام ١٨٩٢ بلغت إيرادات نظارة كمرك بغداد ١٤٤١٧٠٠٦ قرشاً، وازدادت في السنوات التالية زيادات بسيطة<sup>(٢٩)</sup>، ولكنها حققت ارتفاعاً ملحوظاً عام ١٩٠٧، لتصل الى ٢١٩٢٧٤٢٥ قرشاً<sup>(٣٠)</sup>، وذلك بسبب رفع نسبة الضريبة الكمركية على الواردات الى ١١٪.<sup>(٣١)</sup>

على ان نظرة عامة على المدة التي تم تناولها، فان بالامكان اعطاء بعض السمات للنظم والسياسات الكمركية العثمانية في العراق ونتائجها:

١. لم تكن هناك نظم كمركية محددة وثابتة في العراق، انما تغيرت بتغير ظروف الدولة العثمانية، وقد تحددت الرسوم الكمركية بطبيعة الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الاوربية، واصبحت الدولة العثمانية بمرور الزمن ملزمة بتنفيذها.<sup>(٣٢)</sup>

٢. كانت الرسوم الكمركية تهدف الى تحقيق هدف واحد،

وهو جمع اكبر قدر ممكن من الإيرادات المالية للحكومة، دون استخدامها للتأثير في الواقع الاقتصادي للبلاد وتغييره.<sup>(١)</sup>

٢. لم تكن الرسوم الكمركية عادلة ما بين التجارة الخارجية والتجارة المحلية، فقد كانت بالنسبة للاولى أقل بكثير مما هي بالنسبة للثانية، وهذا ما أدى الى تدهور الأخيرة وتقلص حجم التبادل بين الولايات، وبالتالي انخفاض الانتاج المحلي وحفز الاستيراد من الخارج.<sup>(٢)</sup>

٣. فرضت الرسوم الكمركية بشكل واحد على السلع والبضائع المستوردة والمصدرة ولم يجز تفريق واضح بين انواع

البضائع الثمينة وغير الثمينة، وهذا ما أدى الى استفادة سلع معينة وتضرر أخرى.

٥. لم تكن هناك اساليب جباية ضريبية واضحة، وكان نظام الالتزام مثلاً سيئاً للنظم التي قامت على اساس غير منظمة وغير عادلة، وبرغم محاولات العثمانيين إصلاحه إلا أنهم كانوا مضطرين الى إعادته بالنسبة للتجارة المحلية.

٦. لم تكن هناك ادارة منظمة للكمارك ولم يجز ذلك الا في منتصف القرن التاسع عشر، وظل موظفو الكمارك العثمانيون غير كفونيين ويستخدمون اساليب بشعة للاثراء السريع.

## هوامش البحث ومصادره

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عيلة (دار فتيمة، دمشق، ١٩٨٥) ص ٢٥٤.

(٨) العزاوي، تاريخ الضرائب، ص ١٤٦٢٥.

(٩) خصبك، المصدر السابق، ص ١٤٦٦.

(١٠) اشتور، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(١١) التاريخ الفياثي، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني (مطبوعة أسد، بغداد، ١٩٧٥) ص ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤

(١٥) علي شاكِر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الموصل (تشرين الاول ١٩٩٢) ص ١٩٦.

(١٦) ابو الحاج، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(١٧) جميل، المصدر السابق، ص ١٢، انظر ايضا، خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٢٨-١٧٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الاداب ١٩٧٦ ص ٤٢٧. ومما يذكر ان فرض ضرائب عالية على التجارة المحلية كان له ردود فعل عكسية كثيرة على السلع المحلية اذ اتبع التجار واصحاب السوق وسائل مختلفة للتخلص من وطأة هذه الضرائب.

(١٨) د. يقظان سعدون العامر، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة، جامعة البصرة، دار الحكمة، ١٩٩٠ ص ١٦٥.

(١٩) مراد، المصدر السابق، ص ٤٢٧.

(٢٠) مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥، ترجمه عن الالمانية سعاد هادي العمري (مطبوعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٥). ص ٤٥. ويؤكد اوليفيد هذه الناحية ايضا، انظر، رحلة اوليفيه الى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦، ترجمه الدكتور يوسف حبي (مطبوعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨)، ص ١٦٤.

(٢١) لمزيد من التفاصيل عن تجارة التهريب انظر: حسين علي عبيد القطراني الزبيبي في العهد العثماني ٩٧٩-١٢٢٢ هـ / ١٥٧١-١٦٩٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٨٨ ص ٨٥٨.

(٢٢) ز. ي. هرشلاغ. مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، نقله الى العربية مصطفى الحسيني (دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢)، ص ٦٢-٦١.

(٢٣) د. حكمت عبد الكريم الحارس، السياسة الضريبية وتطور النظام الضريبي في العراق (القاهرة ١٩٧٢) ص ٢٠٠.

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢٥) سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في العراق (المطبوعة الاميركانية في بيروت ١٩٢٨)، ص ٤٦٤.

(٢٦) التطور الاقتصادي في العراق: التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤-١٩٥٨ (سيداء، بيروت، ١٩٦٥) ج ١، ص ٢٤٢.

(٢٧) حمادة، المصدر السابق ص ٥٤٤، الحارس، المصدر السابق، ص ٢٠٢، لمحة في احوال بغداد التجارية قبل الحرب (مقالة مترجمة)، مجلة دار السلام، العدد ٥، المجلد ٢، السنة ٣ (١٨)، آذار ١٩٢٠، ص ٧٢.

(٢٨) التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة د. نوري عبد الباقية، مجلة الخليج العربي، العدد (٩)،

(١٩٧٨)، ص ١١٥.

(٢٩) النظام الاقتصادي في العراق، ص ٤٠٢.

(٣٠) جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦-١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد (آذار ١٩٧٥)، ص ٣١٦-٣١٥. ومما يذكر ان المصادر الكمركية العثمانية في العراق قد قدرت قيمة تجارة الترانزيت بين العراق ويران في سنة ١٨٨٩ بـ (٥٤٠,٠٠٠ باون)، في حين قدرت المصادر الكمركية الفارسية في السنة ذاتها بـ ٢٢٧,٧٩٦ باونا انظر:

G.N. Curzon, persia and the persian qestion (london, 1871) vo. 11 p. ٥٧٧-٨.  
N.B.Harris, from Batum to Baghdad (1) (Edinburgh and London 1876), p. 28.

(٣٢) الزوراء العدد ١٤٠٢ بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ نقلًا عن حسين محمد القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩-١٩١٤ (مطبوعة الارشاد، بغداد، ١٩٨٠)، ص ٩١.

(٣٣) شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ترجمة رؤوف عباس حامد (بيروت ١٩٩٠)، ص ١٧٨.

(٣٤) ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل (مطبوعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧) ج ٢ ص ١٢٧. وحدير بالذكر بأن هذه الخلوة جاءت بسبب نقص في موارد ولاية بغداد، حيث اظهر سعيد باشا، سلف حامد باشا، تساهلاً كبيراً مع البريطانيين.

(٣٥) رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨) ص ١٧٨.

(٣٦) نقلًا عن حسين محمد القهواتي، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ١٥٢٤-١٦٢٨. رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد ١٩٧٥، ص ٤٢٢.

(٣٧) غنيمه، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٣٨) جان باتيست تاڤرنيه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تاڤرنيه، نقله الى العربية وعلق على حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٤٢) ص ٤٩٢. انظر ايضا، مراد، المصدر السابق، ص ٤٢٨.

(٣٩) سركيس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٢٨.

(٤٠) العراق في القرن السابع عشر، ص ٧٢.

(٤١) رحلات سبستيان الى العراق في القرن السابع عشر، ترجمها عن الالهطالية وعلق عليها الاب الدكتور بطرس خداد، المجلد التاسع، العدد الثالث، المورد، (١٩٨٠) ص ١٨٠-٢٠١.

(٤٢) نيبور، مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة، ص ١٤.

- (٤٣) رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الالمانية د. محمود حسين الامين (دار الجمهورية للنشر، بغداد، ١٩٦٥)، ص ٢٢.
- (٤٤) عندما زار الرحالة الهولندي تنكو مارتينوس ليكلاما انيهولت ببغداد عام ١٨٦٩، شاهد اول ما شاهد المدرسة المستنصرية التي كانت آنذاك (دائرة للكمارك)، ترسو عندها البواخر وتنقل على ارضيتها الاحمال والاموال انظر، مير بيسري، رحلة هولندي في العراق، مجلة الاقلام الجزء ٦ السنة ٦ (آذار ١٩٧٠)، ص ٩٢. وهناك وصف مماثل لدائرة الكمارك ببغداد في القرن التاسع عشر عند نايليون مارديتي، تنزه العباد في مدينة بغداد (المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٩٨٧) ص ٥٥.
- (٤٥) لمحة في احوال بغداد التجارية قبل الحرب، ص ٧٢.
- (٤٦) نيبور، مشاهدات نيبور ص ٣٨٦٥ وذكر عيساوي، بأنه يدفع خمسة قروش عن البضاعة عند مغادرتها البصرة، ويدفع ثلاثة قروش عند الحلة، وما بينهما لا يدفع الا القليل، المصدر السابق، ص ٢٨٠.
- (٤٧) اوليفيه، المصدر السابق، ص ١٦٤.
- (٤٨) نيبور، رحلة نيبور الى العراق ص ٢٨١٠، انظر ايضا: عيساوي، المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٤٩) ج. ج. لوريير، دليل الخليج، القسم الجغرافي (مطابع علي بن علي، الدوحة، قطر، د.ت) ج ٢ ص ١٠٥٢، انظر ايضا: المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، نقله الى العربية وكتب حواشيه جعفر الخياط (مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١)، ص ٢٧.
- (٥٠) غنيمه، المورد السابق، ص ١١٢، انظر عن هذا الجانب ايضا، اداموف، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢١١.
- (٥١) عيساوي، المصدر السابق، ص ١٨٠.
- (٥٢) حول هذه الوثيقة انظر: سرگيس، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٢-٢٦٢.
- (٥٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٤٠.
- (٥٤) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٣٩.
- (٥٥) مراد، المصدر السابق، ص ٤٢٧. ومن الجدير بالذكر ان البصرة التي

- كانت خلال معظم النصف الثاني من القرن السابع عشر تحت حكم أسرة آل افراسياب قد جنت موارد كثيرة من الضرائب الكمركية. انظر: السكندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمه عن اللغة الروسية الدكتور هاشم صالح الفكرتي (مطابع التعليم العالي بجامعة البصرة ١٩٨٩) ج ٢ ص ٧٥.
- (٥٦) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧، تعريب سليم طه الفكرتي (مطبعة الاسواق التجارية، بغداد، د.ت) ص ٤٩.
- (٥٧) عيساوي، المصدر السابق، ص ١٨٠.
- (٥٨) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السياح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة (مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤) ص ٥٦.
- (٥٩) اداموف، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٧٧-٨.
- (٦٠) بيردي فوسيل، الحياة في العراق منذ القرن ١٨١٤. ١٩١٤، ترجمة الدكتور اكرم فاضل (دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٨) ص ٧٩.
- (٦١) رحلة الى العراق عام ١٨٨١، ترجمة علي البصري (مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٥٨) ص ٨٢.
- (٦٢) المصدر السابق، ص ٢٤٢.
- (٦٣) اداموف، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٨٧.
- (٦٤) عن مقدار هذه الزهادات ينظر سرگيس، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٩٧-٢٠٢، وقد استقى ارقامه من سالتامت ولاية بغداد.
- (٦٥) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٠٢، انظر ايضا: غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق ١٢٥٥-١٣٣٢ هـ / ١٨٢٩-١٩١٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الموصل، (شباط ١٩٨٩) ص ١١٦.
- (٦٦) غنيمه، المصدر السابق، ص ١١٢.
- (٦٧) كداوي، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٦٨) حسن، المصدر السابق ص ٢٢٨.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٤٠، حمادة، المصدر السابق ص ٤٦٥.







# موازنة بين آراء ابن مضاء القرطبي وآراء من سبقوه

الدكتور علي رحيم هادي الحلوة

## مقدمة

في العاشر من تموز سنة أربع بعد الألفين للميلاد اطلعت على عنوان كتاب: (لتحيا اللغة العربية.. ويسقط سيبويه)، فدعاني ذلك إلى التفكير بدواعي تأليف مثل هذا الكتاب، وسواء من الحملات الباطلة على لغة القرآن الكريم، فوجبت من أوائلها وأهمها دعوة (ابن مضاء)، تلك الدعوة التي قيل فيها الكثير. وقد وجدت من المناسب الوقوف عندها أولاً ثم النظر في سواها. والذي نعلمه أن علماء النحو أرادوا في تصحيحهم لقواعد اللغة العربية أن يقرأ الناس القرآن الكريم القراءة الصحيحة، وأن يصلوا. هم وكل دارس. إلى فهم دقيق لآية هالحكيم، وبيان الأحكام الشرعية، وكل ما يتصل بالعبادات والمعاملات التي شرعها الإسلام، وجاءت في كتاب الله المعجز الخالد، وتتمتها السنة النبوية، فضلاً عن جوانب لغوية وأدبية أخرى قصد بها ضبط النطق العربي، وكانت العناية بها وتحري صحة لفظها وتراكيبها لا تسعد عن خدمة الهدف الأول؛ لأن تعدد التصانيف اللغوية والأدبية يصب في الغاية الأولى، والسعي الأهم الا وهو البحث القرآني.

إن الدراسات اللغوية تشعبت.. على الرغم من وحدة الهدف؛ لأن الأصل في معاني النحو الإعراب<sup>(١)</sup>، وقد ذهبت مذاهب شتى، وصارت مدارس، وتبع كل مدرسة أجيال من العلماء أبدوا ما ذهب إليه سلفهم، وزادوا بما يقوي حججهم، ويبين صحة

أفكارهم وتقنيدهم حجج مغالفيهم. وقد جمعت تلك الآراء من لدن العلماء الذين نافحوا عنها فتكونت المذاهب النحوية. المدارس النحوية. التي وقفت على رأسها مدرسة البصرة أولاً، ثم اعقبها مدرسة الكوفة. ولم يمض وقت طويل حتى صار لبغداد مدرسة، ولأندلس والمغرب كذلك. وقد خدمت. وما زالت. تلك المدارس اللغة أي خدمة، ونهت على الشاذ، وبيان المقبول من اللغة بالسماع والقياس.. فقلّبوا أوجه المفردات وزادوا في التراكيب والأساليب وقدموا، وأخروا، وحذفوا.. غير أن قسماً من تلك الدراسات أغرق قسماً من كتب النحو. بخاصة. بجمل أبعده. أحياناً. عن الذوق العربي، حتى قال بعضهم: هذا لم يقل به عربي ولكنه قياس<sup>(٢)</sup>، أو تمرين. فدفع قسماً من العلماء إلى التفكير بتيسير ما عسر فهمه من تلكم القواعد. وبسبب ما اعتور قواعدها من زيادات أثقلتها، وأخرجتها عن طبعها المتصف بالبسر، وبلوغ المعنى المراد مباشرة. يدل على ذلك ما نقل عن الصحابة (رض) أنهم فهموا لغة القرآن الكريم، من دون ما عناء، إلا قليلاً مما كان يخص بعض الأحكام؛ لكونها تشريعات وأحكاماً جديدة عليهم.

## تمهيد:

لقد بذل العلماء جهداً علمياً خدم اللغة العربية، لا يستطيع بعض المعاصرين تصوره ولا إدراك مداه. فأتحفوننا بأرائهم التي وصلت إلينا في مؤلفاتهم/ أو في مؤلفات آخر نقلت تلكم الآراء

إليها؛ لكون تلك المؤلفات نفسها لم تصل إلينا. وهذه الآراء ومناقشاتها قومت اللسان العربي على الرغم مما يُعاب على امتثلتها. أحياناً، مما قد يوحي بأنها مصنوعة، مثلاً استشهدهم بمجىء جملة الطلب (الاستفهام) صفة، وذلك بتقدير قول قباها كي تجري القاعدة:

حتى إذا جن الخلام واختلط

جاءوا بمذقي هل رأيت الذئب قحطاً

وكذا قول النحاة بجواز النصب والجر في نعت المضاف إلى المصدر إذا كان في المعنى مفعولاً به نحو: إكرام الضيف الطيب واجب. ف: (إكرام): مصدر مبتدأ مرفوع، ومضاف إلى (الضيف) من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، و (الطيب) نعت لـ (الضيف) مجرور، لكن النحاة أجازوا فيه وفي مثله أن يكون منصوباً نعتاً لـ (الضيف) بحسب معناه، إذ هو في المعنى مفعول به، وهو إعراب بعيد لا ضرورة له، بل لا يتبادر إلى ذهن القارئ.

ومثل ذلك ما قيل في متعلق الجار والمجرور والظرف، إذ يرى النحاة في نحو: زيد في الدار، وزيد عندك، أن الجار والمجرور والظرف ليسا هما الخبر لـ (زيد)، وإنما هما متعلقان بمحذوف تقديره: استقر أو مستقر، ويكون هذا التقدير جملة فعلية: (استقر)، في محل رفع خبر، أو مفرداً (مستقر) هو الخبر. وكذلك الأمر حين يقعان: نعتاً أو حالاً. وفي هذا شيء من التكلف، ولا سيما على الدارسين، ويمهد هذا لأن يهاجم النحاة فيه فيقال: إن المعنى قد تم لدى السامع أو القارئ بذكر الظرف، أو الجار والمجرور، وهما أنفسهما اللذان يقعان خبراً أو نعتاً أو حالاً<sup>١</sup> وكذا مصطلح (الأفعال السماعية)، أو ما يُعرف بـ (أسماء الأفعال)، فهي في حقيقة وضعها اللغوي أفعال سماعية، لا تجري على قياس الأفعال المعروفة، لأنها تدل على الحدث والزمان بصيغتها لا بمادتها، ولا يقدح في هذا ورود بعضها على حرفين، ولا عدم اتصال الضمائر البارزة بقسمها الأكبر<sup>٢</sup> ولخالف بعضها لأوزان الأفعال، ولا عدم لحوق نون التوكيد للطلبي منها ولا لحوق التنوين بآخرها، لأنها أفعال سماعية لا تجري على قياس الأفعال المشهورة<sup>٣</sup>. هذه أمثلة على شوائب وزوائد رافقت عرض موضوعات النحو، ورافقت تعليلها، بما فيها من تمحل وإطالة،

أذنت بالسماح للرأي المناقض أن يولد ويتزعزع، بل أن يصرخ عالياً، بدءاً بظهور المدارس، وبروز المخالفين لقسم من الآراء، حتى توجت. بما سني. بثورة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٤٦هـ) في الأندلس.

ولكن هذه الهنات وغيرها. قلت أو كثرت. لا تقدح أبداً في جهد أولئك العلماء الأفاضل الذين أحكموا صناعة النحو، وفقدوا لأسسه الأولى، وقوانينه، وبرعوا في ذلك، وما قول القائل إن جهد كتاب سيبويه لا ينسب إليه وحده، بل إلى أربعين عالماً إلا رأي صراح يؤكد دقة تلك القواعد، على الرغم من أننا نجهل الحلقة التي سبقت هذا النضج النحوي، وهذا لا يقلل من حجم الجهد الذي بذل لإخراج قواعد اللغة العربية بثوبها المتكامل الذي وصل إلينا، وهذا الأمر ليس حصراً على النحو العربي، فلقد وصل إلينا قبله الشعر العربي متكاملاً شكلاً ووزناً وترابطاً، من دون أن نعرف البدايات الأولى التي سبقت هذا العمل الأدبي الإبداعي الفني الكبير.

## المبحث الأول

### ابن مضاء، وعصره، وأراؤه

#### القسم الأول: ابن مضاء القرطبي

١. عصره: في أواخر القرن السادس الهجري ثار الموحدون في الأندلس على أصحاب المذاهب الأربعة في المشرق (مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل). قال المقرئ: (تولى يعقوب<sup>١</sup> بنفسه قيادة الثورة فأمر بعدم التقليد لأحد من أئمة المشرق، وأن يعود العلماء إلى الأصول. القرآن والسنة. وقد بالغ في ذلك حتى لنجده يأمر بحرق كتب المذاهب).<sup>٢</sup>

إن ثورة الأندلس النحوية. إن صحت التسمية. في أصولها كانت ثورة على الفقه وفروعه، هذا في أول الأمر، إلا أن ذلك تعداه فيما بعد إلى النحو العربي، (فقد تبع ابن مضاء القرطبي قاضي القضاة في دولته فألف: كتاب الرد على النحاة، يريد أن يرد به نحو المشرق على المشرق، أو بعبارة أدق: أن يرد بعض أصول هذا النحو، وأن يخلصه من كثرة الفروع فيه وكثرة

التأويل مستنأ في ذلك بسنة أميره يعقوب، إذ كان يعجب مثله .  
على ما يظهر - بمذهب الظاهرية<sup>(١٢)</sup>، فذهب يحاول تطبيقه في  
النحو<sup>(١٣)</sup> .

٢. حياته: ابن مضاء (هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن  
محمد بن مضاء اللخمي، أصله من قرطبة، وإليه ينسب. ترك  
قرطبة إلى أشبيلية حيث لقي ابن الرماك، فدرس عليه سيبويه،  
وأخذ عنه الحديث الشريف. وواصل الرواية وطلب الحديث  
والفقه، حتى عُدَّ من أكبر محدثي المغرب، وفقهائه في عصره)<sup>(١٤)</sup>  
يقول ابن فرحون: (إنه كان واسع الرواية عاليها ضابطا لما  
يحدث به .. وقد عده من أساتذته في العربية ابن بشكوال وابن  
سحنون)<sup>(١٥)</sup> . ولما عرف به ابن مضاء من علم وإيمان بأراء  
الظاهرية (أسندوا إليه منصب القضاء فجعله يوسف بن عبد  
المؤمن قاضي الجماعة في الدولة كلها)<sup>(١٦)</sup> ... (وما نشك في أن ابن  
مضاء كان يشارك مولاه في هذا التعصب، إذ الناس على دين  
ملوكهم، وقد استمر في هذا المنصب. الذي قلده إياه يوسف . حتى  
توفي، وقد بقي فيه كذلك في عهد ابنه يعقوب)<sup>(١٧)</sup> .

يقول شوقي ضيف: (والغريب أنه لم يُغن بتأليف كتاب ضد  
فقه المشرق، وإنما عني بالتأليف ضد النحو المشرقي، فقد صب  
عنايته كلها على النحو، إذ ألف فيه ثلاثة كتب، أما أولها فسماه  
(المشرق في النحو)، وينقل أبو حيان (ت ٧٢٥هـ) نقلا عنه في  
كتابه (الارتشاف). وأكبر الخلق أن هذا الكتاب ألف ضد المشرق. أما  
الكتاب الثاني فاسمه (تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان)، وليس  
في اسم هذا الكتاب ما يدل على أنه ألف خصومة للمشرق ونعائته،  
غير أن صاحب البغية يقول: إن ابن خروف ناقضه في هذا  
التأليف بكتاب سماه (تنزيه أئمة النحو مما نسب إليهم من الخطأ  
والسهو)، ومعنى ذلك أن هذا الكتاب ألف أيضا معارضة لنحاة  
المشرق وأرائهم في النحو. وهذان الكتابان لم يصلإ إلينا، وإنما  
وصل إلينا كتابه الثالث: الذي سماه: كتاب الرد على النحاة)<sup>(١٨)</sup> .  
توفي ابن مضاء القرطبي سنة ٥٩٢هـ.

٣. موضوع ثورة ابن مضاء (محتواها):

الذي يلاحظه الباحث أن ابن مضاء عالم، أحاط بعلم الفقه  
الإسلامي، وعلوم العربية، فهو راوية محدث، وفقهه عصره،

وكذلك قد قرأ كتاب سيبويه على ابن الرماك، وشرح السراي  
على الكتاب، ونقل منه نصوصا، ولا بد أن يكون مطلعاً بدقة  
على مؤلفات نحوية أخرى، فقد نقل عن كتب ابن جني، ولا  
سيما الخصائص، كما له نقول عن ابن ولاد - شيخ نحاة مصر - من  
كتابه (الانتصار)<sup>(١٩)</sup> . وهذا القول نتيجة منطوقية لمن يتعرض  
لمثل ما بغاه ابن مضاء.

يقول شوقي ضيف: (غير أننا نلاحظ أنه لم يعن بالنحو  
الكوفي، أو على الأقل لم يظهر في كتابه عنايته بهذا النحس،  
ومرجع ذلك - في رأينا - أنه لم يكن حريصا على التوفيق بين  
مذاهب النحاة، وإنما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة، وقد  
اختار المذهب البصري الذي كان شائعاً إلى عصرنا الحاضر،  
فاتخذ مسرعا لمعاركه مع النحاة)<sup>(٢٠)</sup> .

والذي أذهب إليه أن ابن مضاء إنما تعرض للنحو البصري  
حسب؛ لأن أكثر ما ذهب إليه هو نقول من آراء الكوفيين، ادعاها  
لنفسه، كما سيأتي في المباحث اللاحقة. وني لأزعم أن جل ما  
ذهب إليه ابن مضاء هو تجميع لما قال به علماء سبقوه إلى ذلك،  
لكن آراءهم لم تكن بهذه القوة من الطرح، ولا بهذا الهجوم  
الصريح، ولم تكن لعالم واحد، بل تجد رأياً في قضية ما لعالم،  
 وآخر لغيره وهكذا، مبثوثة في كتب النحو واللغة.

## القسم الثاني

### مصادر آراء ابن مضاء، ونسبة الآراء إلى أصحابها:

من الضروري الالتفات إلى أن ما يسمى بالثورة على قواعد  
النحو وحذف قسم منها، أي من أبواب النحو، ولا سيما ما يخص  
العامل النحوي، كل ذلك قد تعامل معه كثير من العلماء الأوائل  
الذين عاصروا سيبويه، أو جاءوا بعده. ويتحتم على الباحث  
المنصف أن يقف متأملاً فيما يطرحه المتأخرون، وما ينسب  
إليهم، وهو في الحق تجميع لآراء متفرقة، قال بها علماء سبقوا  
المتأخرين الذي أوصلوها إلى الثورة على النحو. ولنا وقفة مع ما  
طرحه ابن مضاء القرطبي - وهو مدار هذا البحث - الذي عثت  
دعوته أول ثورة صريحة وواسعة، في النحو العربي؛ لأنها شملت  
أغلب الأبواب النحوية، ولنتبين رأيه في كيفية عرضها، ومن أين

تأنت له تلكم الآراء؟ والى أي مدى كان متأثراً بالدعوة الظاهرية التي أصبحت قانون عصره؟

الذي أزعجه: أن الرجل استفاد من أمور رئيسة فيما ادعاه، منها: الاطلاع الواسع على آراء النحاة المختلفة، وإفادته من الآراء المتناقضة، لبعض من العلماء مع بعضهم الآخر، أي إنه مثلاً حين يدعي أن لا ضرورة لتعليق شبه الجملة بمحذوف، خبراً كانت أو صفة أو حالاً، فهو قد أخذ ذلك من الكوفيين. فقد ذهب إلى ذلك الفراء (ت ٢٠٧هـ) وتابعه ابن السراج (ت ٢١٦هـ) في ذلك. يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري: (إن أبا زكريا الفراء كان الملهم الأول لابن مضاء في دعوته إلى إصلاح النحو، أو على الأقل كان له في الإلهام نصيب وفير)<sup>(١٣)</sup>.

لقد شكّا ابن مضاء مما وجدته في النحو من آراء ووسائل تعليمية تثقل على الدارس، وفيه علل لأمسوخ لها، فجعله ذلك على بيان ما رآه من الغلط في تلك الآراء، ووضع البديل كما يرى. الذي يتبينه الدارس أن الشكوى من مطولات النحو والتفكير بإيجازها، أو بوضع خلاصات لها ليست جديدة فقد قام خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ) بوضع مختصر سماه (المقدمة) معللاً عمله بقوله: (لما رأيت النحويين وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم في النحو من المختصر، والطرق العربية، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه، ويعمل فيه عقله، ويحيط به فهمه، فأعنت النظر والفكر في كتاب أولفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين، ليستغني به المتعلم عن التطويل فعملت هذه الأوراق)<sup>(١٤)</sup>.

وكذا الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كان قد عاب على الأخفش الغموض في طرح موضوعات النحو، وأنها غير منسجمة الترتيب، فقال له: (أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالناس نفهم بعضها، ولا نفهم أكثرها؟ وما لك تقدم بعض العويص، وتأخر بعض المفهوم؟)<sup>(١٥)</sup>.

ومن هذا ما يروى عن (دماذ) صاحب أبي عبيدة، من أنه قرأ من النحو باب نصب المضارع بعد (الواو) و (الفاء)، فوجدهم يقولون: إن ما بعدهما ينتصب بـ (أن) مضرة وجوباً، فنبأ

فهمه عن ذلك، وكتب إلى أبي عثمان المازني (ت ٢٢٥هـ). شيخ نحاة البصرة في عصره. يشكو إليه ما لقيه من عنت في ذلك، بهذه الأبيات:

فكرت في النحو حتى مللت

وأتعبت نفسي له والبا

وأتعبت بـ (كراً) وأصحابه

بـ (طول) المسائل في كل فن

فكنت بظاهره عالماً

وكنت بباطنه ذا فطن

خلا أن باباً عليه العفا

للفاء يا ليتني لم يكن

وللواو سبب إلى جتبه

من المقت أحسن منه قد لعن

إذا قلت هاتوا: لماذا ينحوا

لن لست بـ (أتيك) أو تأتين

أجيبوا لما قيل هذا كذا

على النصيب؟ قالوا: لإضمار (أن)

فقد كنت يابكز من طول ما

أفكر في بـ (أب) أن أجبن<sup>(١٦)</sup>

وكنا ورد عن كثير من العلماء جنوحهم للبحوث القصيرة اليسرة. يقول الدكتور نعمة العزاوي: (فنجد أن بعض المؤلفين مالوا في كتبهم إلى أن تكون واضحة جلية، يستطيع المتعلم فهمها، ومعرفة ما فيها من حقائق علمية، وممن عرف عنهم وضوح الأسلوب، وسهولة العرض الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الذي غضب عليه النحاة، فقالوا متذمرين: (إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان)<sup>(١٧)</sup>. وزاد فنذكر آخرين عرفت مؤلفاتهم باليسر والوضوح، فقال: (وقد ظهر عدد من الكتب قصد مؤلفوها أن تكون تعليمية يسيرة، يتجلى ذلك في عناواناتها منها (الموضح)، لابن الأنباري (ت ٢٢٢هـ) و (الإيضاح) لأبي علي الفارسي (ت ٢٢٧هـ)، و (الواضح) لأبي بكر الزبيدي (ت ٢٢٩هـ)، و (الموضح) للحوفي (ت ٤٢٠هـ)<sup>(١٨)</sup>.



## البحث الثاني

### أقوال العلماء في آراء ابن مضاء وما أراؤه؟

#### القسم الأول

#### آراء العلماء فيما يسمى بـ: ثورة ابن مضاء النحوية

لم يتفق الدارسون على تقويمهم دعوة ابن مضاء في النحو العربي، التي عرضها في كتابه (الرد على النحاة)، بل تباينت آراؤهم. فقد ذهب الدكتور طه حسين إلى أنه فكر في هدم النحو العربي، ولم يفكر في إصلاحه<sup>(١)</sup>. وذكر الدكتور أحمد مكي الأنصاري أن آراء ابن مضاء كانت في معظمها للفراء؛ لأنه ملهمه، فقال: (إن أبا زكريا الفراء كان الملهم الأول لابن مضاء في دعوته إلى إصلاح النحو، أو على الأقل كان له في الإلهام نصيب وفير)<sup>(٢)</sup>. ويصرح الدكتور الأنصاري بسرقة ابن مضاء آراء الفراء (في الخلاف ونسبتها إلى نفسه، دون أن يضيف إليها جديداً، ودون أن يشير إلى صاحب الفضل، أو على الأقل مصدر الإلهام)<sup>(٣)</sup>.

وتقول الدكتورة خديجة الحديثي: (دعا ابن مضاء في (الرد على النحاة) إلى هدم كثير من الأسس التي استقر عليها النحو الشرقي، وكان رده موجهاً إلى البصري بخاصة، وإن كانت دعوته تعم مذاهب المشاركة في النحو)<sup>(٤)</sup>.

ونبهت الدكتورة الحديثي على أن ما آل إليه النحو عامة كان من لدن النحاة المتأخرين - أندلسيين وغيرهم - وحملتهم ما أصابه من فساد، وتشعبات البحث النحوي: (وذلك لأن النحو الشرقي هو الأساس الذي دخل الأندلس، وبنى عليه نحاة هذا البلد دراساتهم النحوية، وهم وغيرهم من المتأخرين أوصلوا النحو إلى ما وصل إليه، وفرعوا بحوثه وشعبوا موضوعاته حتى فسدوا وأخلوا به)<sup>(٥)</sup>.

وقد ناصر ابن مضاء علماء معاصرون، وتابعوا منهجه، ففي سنة ١٩٢٧م، نشر الأستاذ إبراهيم مصطفى كتابه (أحياء النحو)، وهو يلتقي فيه بثورة ابن مضاء في التخلص من نظرية العامل في النحو، والدعوة بقوة إلى إلغائها<sup>(٦)</sup>.

وأيد علماء آخرون ابن مضاء فيما ذهب إليه، فقد رأى د. شوقي ضيف أن ابن مضاء حاول في دعوته أن يهدي النحاة إلى

سواء السبيل، فقال: (إن ابن مضاء ليحاول في حملته أن يهديهم سواء السبيل...، إذ يراهم ضلوا، وأضلوا الناس في وعاء النحو وشعابه، وكثرة ما فرعوا فيه من فروع، واقاموا من حجج وعلل، وإنه لينبغي أن ينفض ذلك كله عن النحو)<sup>(٧)</sup>.

وذهب الأستاذ السرطاوي إلى أن ما دعا إليه ابن مضاء من آراء كانت مبتكرة، وفيها جرأة، فقال: (إنه جاء بآراء نحوية مبتكرة لم يسبقه إليها أحد من قبل، حيث نادى باتباعها بما توافرت له من جرأة كبيرة وذكاء وقاد، قل توافرها لباحث غيره في ذلك العصر)<sup>(٨)</sup>.

الذي يتبين مما مر أن العلماء يتباعدون في رأيهم بشأن آراء ابن مضاء، وقد ذهب قسم منهم إلى تأليف كتب أبانت صحة دعوة ابن مضاء. وزادوا على ذلك توضيحا وتمثيلا لما رأود حلا لتخليص النحو مما ألحق به، إذ وجدوا - في قسم من المؤلفات والموضوعات طلاس، أو زيادات لا ضرورة لها، أو لا معنى لها، بل يمكن الاستغناء عنها، ولا سيما الدارسون الذين لا يريدون غير ضبط لغتهم قراءة وكتابة.

ولا يصح الحكم للرجل، أو عليه من حقل الوقت على أهم آرائه.

#### القسم الثاني: آراء ابن مضاء

- إن الحكم على ما يسمى بـ (ثورة ابن مضاء)، يتطلب بسط أروء للبحث، والنظر فيها بدقة. ولا بد من استجلاء اصالتها لنرى: أحقا هي أراؤه؟ أصبح إطلاق مقولة: (نظرية جديدة) عليها؟ يمكن أن يعول الدارسون عليها لتكون بديلا عن آراء الخليل وسيبويه، والأخفش والكسائي والفراء؟ هؤلاء وغيرهم من رواد علوم اللغة - ولا سيما النحو - الذين أمضوا العمر في تتبع كلام العرب، مشافهة أو سمعا. أصبح أن الرجل أراد هداية دارسي النحو إلى السبيل الأقوم والحق وجدت هذه القتامة المنهجية في كتب النحاة الأوائل حقا؟ وأن فيها من الزيادات ما يجب حذفه والاستغناء عنه؟ أو أن ما ذهب إليه ابن مضاء كان هدفا للنحو كما ذهب إلى ذلك الدكتور طه حسين؟ أو أن شكوى ابن مضاء كان سببها ما فعله العلماء المتأخرون الذين زادوا في فروع النحو، وفي مناهج بحثه حتى فسدوا، كما ذهب إلى ذلك

الدكتور خديجة الحديثي؟ ولذا لابد من استعراض مركز آراء ابن مضاء، وبيان الصحيح فيها، أو مدى جدواها.

وقد عرض كثير من الباحثين تلك الآراء فممن قدم لها، وبينها تفصيلاً الدكتور شوقي ضيف عندما نشر كتاب: الرد على النحاة، فقدم للكتاب المحقق دراسة وافية؛ لتوضيح آراء ابن مضاء. وكذا أوجزتها الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها: المدارس النحوية. وعرضها الدكتور نعمة العزاوي بموجز واف في كتابه: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، وغيرهم.

## ب. تحليل آراء ابن مضاء:

مر القول إن ابن مضاء لم يقيم بثورته على النحو المشرقي إلا بعد اطلاعه على كثير من آراء من سبقوه، فقتبناها، وادعاها لنفسه من دون أن يشير إلى أصحابها، فمثلاً (ابن ولاد المصري) (ت ٢٢٢هـ) حمل على فكرة تحكيم القياس في النحو، وذهب إلى أنه لا يصح الطعن على العربي، أو رميه باللحن أو الخطأ، أو تقديم القياس النظري على المادة السموعة.. كما هاجم التأويل والتقدير في النحو، وادعاء الحنف والإجمار<sup>(١)</sup>.

وسبقت دعوة ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) دعوة ابن مضاء في التأثير بالمشهد الظاهري، وحنثه على النجاة بقوله: (وصناعة النحو ينبغي البعد بها عن صناعة الفلسفة، والوقوف بها عند كلام العرب المأثور عنهم)<sup>(٢)</sup>.

من هذين المثالين - وما سيأتي في البحث - يتبين أن ابن مضاء لم يستدع ما ذهب إليه من أفكار، ولا نريد الإطالة في سرد آراء من سبقوه، وما قاله هو فيه كي لا يطول البحث. ولا بد من الوقوف عند أهم ما دعا إليه من آراء، وذلك: الدعوة إلى إلغاء العامل رفض ابن مضاء العوامل المؤثرة إعرابياً، فقال، (فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها ما يكون بعامل لفظي، وبعامل معنوي)<sup>(٣)</sup>. وبعد نقله عن سيبويه في أن حركات أواخر الكلم ثمانية.. وإن العامل أحدثها، قال: (فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد)<sup>(٤)</sup>. ثم ينقل لنا بعد ذلك رأي ابن جني (في تقسيم العوامل إلى لفظية ومعنوية، وإنها للمتكلم نفسه لا لشيء

غيره)<sup>(٥)</sup> ثم يقول: (وأما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية)<sup>(٦)</sup>، ويزيد في هجومه على العامل بقوله (وأما القول بأن الألفاظ يخلق بعضها بعضاً فباطل عقلاً وشرعاً. ولا يقول به أحد من العقلاء، لعان يطول ذكرها فيما المقصد إيجازاً، منها: أن شرط الفاعل - أراد به العامل - أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله، ولا يخلت الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل، فلا ينصب (زيد) بعد (إن) في قولنا: (إن زيدا) إلا بعد عدم (إن). فإن قيل لم يرد على من يعتقد أن معاني هذه الألفاظ هي العاملة؟ قيل: الفاعل عند القائلين إما أن يفعل بإرادة كالحیوان، وإما أن يفعل بالطبع كما تحرق النار ويبرد الماء، ولا فاعل إلا الله عند أهل الحق، وفعل الإنسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى، كذلك الماء والنار وسائر ما يفعل وقد تبين هذا في موضعه. وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل، ولا الفاعل ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع.

فإن قيل: إن ما قالوه من ذلك إنما هو على وجه التشبيه والتقريب، وذلك أن هذه الألفاظ التي نسبوا العمل إليها إذا زالت زال الإعراب المنسوب إليها، وإذا وُجِدت وُجد الإعراب، وكذلك العمل الفاعلة عند القائلين بها. قيل: لو لم ينسبهم جعلها عوامل إلى تغيير كلام العرب، وحطه عن رتبة البلاغة إلى هجته العي، وادعاء النقصان فيما هو كامل وتحريف المعاني عن المقصود بها لسومخو في ذلك، وأما مع إفضاء اعتقاد كون الألفاظ عوامل إلى ما نفقت إليه فلا يجوز اتباعهم في ذلك)<sup>(٧)</sup>.

واعترض ابن مضاء على نسبة العمل إلى العوامل المحذوفة، وقسم العوامل المحذوفة على أقسام ثلاثة: (قسم ما لا يتم الكلام إلا به.... وهي إذا أظهرت تم بها الكلام، وحنثها أوجز وأبلغ)<sup>(٨)</sup>. وهذا العامل قبله. ورفض القسمين الآخرين، فقال: (والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو أتم دونه، وإن ظهر كان عيباً، كقولك: (أزيداً ضربته)، قالوا: إنه مفعول به لفعل مضمّر تقديره: اضربت زيدا؟ وهذه دعوى لا دليل عليها... ولا يدعو إلى هذا التكلف إلا وضع: كل منصوب لا يند له من ناصب)<sup>(٩)</sup>. وقال في النوع الثالث: (وأما القسم الثالث فهو مضمّر إذا أظهر

تغير الكلام، عما كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: (يا عبد الله)، وحكم سائر الناديات المضافة، والنكرات حكم (عبد الله)، و(وعبد الله) عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره: ادعوا أو انادي، وهذا إذا أظهر تغير المعنى وصار النداء خبراً<sup>(١)</sup>.

وجعل من هذا كذلك: النصب بالفاء والواو، فقال: (ينصبون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف بـ (أن)...)، ثم يقول: وهذه المضمرات التي لا يجوز إظهارها لا تخلو من أن تكون معدومة في اللفظ موجودة معانيها في نفس القائل، أو تكون معدومة في النفس، كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة في اللفظ. فإن كانت لا وجود لها في النفس، ولا للألفاظ الدالة عليها وجود في القول فما الذي ينصب إذن؟ وما الذي يضمن؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال<sup>(٢)</sup>.

الذي يظهر للدارس:

(١) أن ابن مضاء لم يدرك تماماً عمق فكرة العامل، بل طفق يطبق المذهب الظاهري في نهجه هذا، بعيداً عن التعليقات المنطقية التي تقيم المعنى، وتسوِّغه لدى المتلقي (متعلماً أو باحثاً)، فابن مضاء يرى أن رأي العلماء في أن: (العامل إما أن يفعل بإرادة كالحيوان، وإما يفعل بالطبيع كما تحرق النار ويرد الماء)<sup>(٣)</sup>. غير صحيح لأن تلك العوامل: (لا تعمل بإرادة ولا طبع)<sup>(٤)</sup>.

(٢) أن العلماء الرواد فكروا بدقة في العامل، وهم لم يريدوا به ما ذهب إليه ابن مضاء وعابيه عليهم، فهم وجدوا: (أن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي إمارات ودلالات، وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي إمارات ودلالات: فالأمانة والدلالة تكون بعدم شيء، كما تكون بوجود شيء، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان ولردت أن تميز أحدهما من الآخر، فصبغت أحدهما، وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر فكذلك ها هنا)<sup>(٥)</sup>.

(٣) أن العوامل النحوية عندهم علامات لمعرفة مواضع الإعراب وأحواله، وبذلك يهتدى إلى المعاني فيقال للدارس مثلاً: الفعل لابد له من الفاعل، والفاعل يرفعه الفعل، والفعل المضارع

ينصب إذا سبقه: (أن) أو (لن)... وإذا سبقه (لم) أو (لا) أو (لام الأمر)... يكون مجزوماً.

وكذا القول في عوامل الجملة الاسمية، فالمبتدأ مرفوع بالابتداء، وإذا دخلت الأفعال الناقصة فيكون المبتدأ بعدها مرفوعاً بها، أو بما كان مرفوعاً به قبل دخولها، وينصب الخبر بعدها.

أما الحروف المشبهة فإذا دخلت على الجملة الاسمية تنصب المبتدأ، وترفع الخبر، أو إن المبتدأ ينطق منصوباً بعد دخولها، وينطق الخبر مرفوعاً على ما كان عليه.

وهذا القول سليم، ولا بد منه؛ لأنك أمام ظاهرة صوتية بينة في النطق، متغيرة بتغير المعنى الذي يريد المتكلم أو الكاتب، ومن دون تحنيد لذلك يصبح الكلام فوضى لا ضابط له، إذا أغفلنا تمييز الكلام بالحركات التي هي إشارات، وعلامات المؤثر، فهي أثر جلي للعامل في الكلمة. وأيا كان تفسير العامل، أو تحديده من لدن العلماء، فهو العامل.

(٤) أن ابن مضاء كان دقيقاً واضحاً في موقفه من (العامل)، بل هو قلق غير مستقر على رأي ثابت فيه، فقد ذهب إلى أنه توفيقى، فقال: (وأما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان، كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية)<sup>(٦)</sup>.

غير أنه رآه عاملاً لفظياً، في موضوع (التنازع)، فأيد بذلك البصريين في أعمال الثاني بقوله: (ومذهب البصريين أظهر وأسهل فإنه ليس إلا حنف ما تكرر في الثاني، أو إضماره على منذهبهم إن كان فاعلاً)<sup>(٧)</sup>. وزاد في موضع أنه لا يخالف النحويين إلا في مفردة المصطلح أو التوسع فيه فقال: (فمن هذه الأبواب: باب الفاعلين والفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر، وما كان نحو ذلك، هذه ترجمة سيبويه (رحمه الله)، وأنا في الباب<sup>(٨)</sup> لا أخالف النحويين إلا في أن أقول: علقت ولا أقول: أعملت، والتعليق يستعمله النحويون...)<sup>(٩)</sup>. ونجد ابن مضاء يتابع ابن جني في العامل في باب (الاشتغال)، في رد العامل إلى المتكلم، فقال: (لما يرفعه المتكلم وينصبه اتباعاً لكلام العرب)<sup>(١٠)</sup>.

(٥) لقد قلب ابن مضاء آراء من سبقه في العامل، وزعم أنه يدعو



### المبحث الثالث

#### عامل الاشتغال والتنازع، ولقدير الضمائر المستندة القسم الأول: العامل في الاشتغال وفي التنازع:

وهاجم ابن مضاء - فيما هاجم - العامل في مسألتني: الاشتغال والتنازع، ففي الاشتغال رأى أن المتكلم هو الذي ينصب الاسم المتقدم إذا عاد عليه ضمير منصوب، ويرفعه إن عاد عليه ضمير مرفوع، ويجيز الوجهين إن عاد عليه ضمير ان: أحدهما مرفوع والآخر منصوب<sup>(١)</sup>.  
والذي يتبين لي:

#### أ. العامل في الاشتغال:

(١) إن رأي ابن مضاء يصح إذا كان المشغول عنه متأخراً عن الضمير، ولا يصح تقدمه على الضمير المشغول به؛ لأنه لا يجوز أن يبقى الاسم المتقدم متعلقاً من غير إعراب، انتظاراً لوقع الضمير الذي يعود عليه، والذي أميل إليه - هنا - ما ذهب إليه الكوفيون لأنهم يرون أن الفعل المشغول ناصب للاسم قبله، وللضمير العائد عليه<sup>(٢)</sup>.

(٢) جوز العلماء رفع الاسم المتقدم، وإن عاد عليه ضمير نصب، نحو: زيداً ساعدته، وزيداً ساعدته، فيكون ما ذهب إليه ابن مضاء في حكمه بنصب الاسم إن عاد عليه ضمير نصب، ويرفعه إن عاد عليه ضمير رفع غير صحيح.

(٣) وأياً كان مذهب ابن مضاء في ناصب الاسم المشغول عنه بالضمير العائد، أو في رافعه، فهو يقر بشكل غير مباشر بالعامل، بدلالة تقسيمه للضمير المشغول به (ضمير رفع، وضمير نصب)، فهو يجعل العامل المتكلم، لكنه يذهب إلى تعليل آخر عندما يرجع ذلك إلى نوع الضمير العائد. وهنا يتضح الخلط في الحكم من خلال التفسير التناقض للظاهرة النحوية.

#### ب. العامل في باب [التنازع]:

١. اختار ابن مضاء مذهب الكسائي، فقال: (فمن هذه الأبواب: باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله

إلى إلغائه، لكنه أيد النحاة في مواضع. من حيث لا يدري. منها (باب التنازع)، وذلك واضح في أنه استعمل (علقت) بدلاً من (أعملت)، ولم يستطع نفي العامل في هذا الباب الذي يفرض العامل فيه أشد بجلاء بما فعله العلماء، بل أمعنوا في تفصيلاته. فهو هنا لم ينكر العامل، بل أبدل مصطلحاً بآخر.

(٦) إن ابن مضاء عمم أحكامه في قسم من مواضع العامل، فقال في مسألة عمل (فاء السببية) و (واو المعية): إن النحاة (ينصبون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف: ب (أن)، ويقدر (أن) مع الفعل بالصدر)<sup>(٣)</sup>. وهذا كلام أطلقه ابن مضاء من غير تفريق بين النحاة الذين سبقوه. ذلك أنهم غير متفقين على عامل النصب بعد (فاء السببية) و (واو المعية)، فما ذهب إليه البصريون (النصب بتقدير (أن) مضمر)<sup>(٤)</sup>. وذهب الكوفيون (إلى أنه منصوب على الصرف، أو الخلاف)<sup>(٥)</sup>. وذهب أبو عمرو الجرمي (ت ٢٢٥هـ) من البصريين (إلى أن الواو والفاء هما الناصبان)<sup>(٦)</sup>.

وكذا كان مذهب الكسائي (ت ١٨٩هـ)، وتغلب (ت ٢٩١هـ) من الكوفيين<sup>(٧)</sup>. وابن النحاس (ت ٢٢٧هـ) من البصريين<sup>(٨)</sup>، إلى أن الفعل منصوب ب (الفاء) أو (الواو).

وكذا قوله في تقسيم العوامل: (فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي، وبعامل معنوي)<sup>(٩)</sup>.

وهذا تعميم آخر (أي: النصب ب (أن) مضمر) غير دقيق يطلقه ابن مضاء، ذلك أن النحاة لم يتفقوا جميعاً على أن النصب يكون ب (أن) مضمر، وكذلك لم يتفقوا على أن خفض والجزم مقصور على العوامل اللفظية. فقد ذهب خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ) من الكوفيين (إلى أن العامل في المفعول معنى المفعولية، والعامل في الفاعل معنى الفاعلية)<sup>(١٠)</sup>، ونجد كذلك آراء أخرى، فقد ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف<sup>(١١)</sup>. وكذا تجدهم يرون أنه (عامل نصب الظرف الواقع خيراً)<sup>(١٢)</sup>.

وكذا الأمر في نصب المستثنى عند الكسائي<sup>(١٣)</sup> وذهب السهيلي (ت ٥٨١هـ) إلى أن الإضافة عامل الجر في المضاف إليه<sup>(١٤)</sup>.

مثل ما يفعل به الآخر.. وبين النحويين اختلاف.. وأما أي الرايين أحق؟ فرأى الكسائي، والدليل على صحة مذهبه قول علقمة:

تعفّق بالأرطى لها ولأرادهما

رجال فبنتت نبيلهم وكليب<sup>(١٣)</sup>.

والشاهد - هنا - على حذف الفاعل من الفعلين، إذ لو أضمر في الأول لقال: (تعفّقوا)، ولو أضمر في الثاني لقال: (أرادوها). أما مذهب الكسائي في مثل هذا التركيب فجواز حذف الفاعل (الضمير) من الأول<sup>(١٤)</sup>.

وعلى الرغم من أن ابن مضاء رجع مذهب الكسائي - كما مر - إلا أنه قال: (ومذهب البصريين أظهر؛ لأنه أسهل، فإنه ليس إلا حذف ما تكرر في الثاني، أو إضماره على مذهبهم إن كان فاعلاً)<sup>(١٥)</sup>.

(٢) كان الأول بابن مضاء - وهو في معرض التيسير - أن يذهب مذهب الفراء في (توجه العاملين معاً إلى الاسم الظاهر)<sup>(١٦)</sup>. لأنه لا حذف فيه، ولا تقدير لمضمر، بل فيه تيسير بين.

والذي يلحظه الباحث أن ابن مضاء رجع رأيين: الأول للكسائي والثاني للبصريين وترك - فيما أزع - الأول وهو رأي الفراء.

(٢) إن ابن مضاء تابع النحاة - هنا - ورجح رأي الكسائي، ثم وجد رأي البصريين أظهر وأسهل، فهو بهذا يذهب مذهب قسم من النحاة في تفسيرهم لعامل التنازع، ولم يقل بالغائه.

(٤) منع ابن مضاء صوراً من التنازع؛ لأنه لم يأت لها نظير في كلام العرب<sup>(١٧)</sup> هذا ليس رأيه فقد جاء في حاشية (ص ٩٨) من كتاب (الرد على النحاة) قول المحقق: (ليس هذا الرأي خاصاً بابن مضاء، فمن قبله يقول السيرافي في شرحه على سيبويه: إن الجرمي ومن ذهب مذهبه لا يرون إجراء التنازع في الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين، وكذلك إلى ثلاثة مفاعيل؛ لأن هذا الباب خارج عن القياس، وإنما يستعمل فيما استعملته العرب، وتكلمت به. وما لم نتكلم به فمردود)<sup>(١٨)</sup>. فكان حرياً بابن مضاء أن ينسب الرأي - هذا - إلى أهله.

## القسم الثاني:

### اعتراض ابن مضاء على تقدير الضمائر المستترة:

#### ١. اعتراض ابن مضاء على تقدير الضمائر المستترة في المشتقات<sup>(١٩)</sup>.

وجاء هذا الموضوع بعد أن اعترض على متعلقات الجرورات، نحو: زيد في الدار، فهنا لا يسد من عامل فيها، فإن لم يكن ظاهراً يكن مضمراً، أي: زيد استقر في الدار، أو مستقر في الدار؛ فقال: (وهذا كله كلام تام لا يفتقر السامع له إلى زيادة (كائن ولا مستقر)، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعي هذا الإضمار)<sup>(٢٠)</sup>.

الذي يبدو من تقدير النحاة للعامل أنه تقدير لعنى التركيب، لما يحتاج إليه من إبانة، فالجار والجرور ليس ذا معنى متكامل، إنما يتطلب أن تعلقه بمشتق لإيضاح المعنى المراد، والإعراب معنى، وليس مجرد بيان للعامل حسب.

وقد سبق الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ابن مضاء في هذا، فذهب إلى عدم تقدير متعلق شبه الجملة<sup>(٢١)</sup>. وتابعه ابن السراج (ت ٢١٦ هـ). وهو الأول.

وقدّم ابن مضاء اعتراضه على تقدير الضمائر المستترة في المشتقات على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال<sup>(٢٢)</sup>. وذهب إلى أن تقدير الضمائر (في أسماء الفاعلين والمفعولين والأسماء العدولة عن أسماء الفاعلين والمفعولين والأسماء العدولة عن أسماء الفاعلين والمشبّهة بها.. أنه تقدير زائد لو ظهر لكان فضلاً، فعلى هذا يكون الإثبات لا دليل عليه قطعي ولا ظني، وإثباته في كلام الناس بغير دليل قطعي لا يجوز)<sup>(٢٣)</sup>.

لقد فات ابن مضاء أن هذه المشتقات تحمل دلالة الحدث فيما تحمله فهي تدل على الفاعلية، وتوقع على ما بعدها المفعولية.. وذلك أمر بين في مباحثها فعندما تقول: زيد قاتل الحق. فتثمة حدثية في صيغة (قاتل)، كانت عامل نصب فيه، فوقع على مفعوله، وكأنه فعل، فانتصب (الحق)، فكيف نهمل هذا؟ وأثره في التعبير بين ظاهر بدلالة المعنى والحركة الإعرابية.

## ب. الاعتراض على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال:

قصد - هنا - ابن مضاء تقدير الضمائر في الأفعال في نحو: زيد قام. فقال: (وليس داع يدعو إلى ذلك إلا قول التحويين: الفاعل لا يتقدم)<sup>(١)</sup>.

وذهب إلى القول بأن (الأظهر أن دلالة الفعل على الفاعل لفظية)<sup>(٢)</sup>. وبين أن معرفة الفاعل من صيغة الفعل كالحروف المبدوء بها المضارع (أنتيت)، فالهمزة للمتكلم، والنون للمتكلمين، والياء للغائب والغائبة.... والذي أراه.

(١) لقد سبق النحاة ابن مضاء إلى القول بذلك، أي: في الاستدلال على نوع الضمير من شكل الفعل وهيأته فما الجديد في هذا؟

(٢) إن ضرورة تقدير الضمير في مثل: زيد قام، هو مذهب البصريين ذلك أنهم لا يجيزون تقدم الفاعل على فعله؛ لأنهما متلازمان فالفعل والفاعل يكونان جزأين لتركيب واحد، اقتضي فيه تقديم الفعل على فاعله، وكما لا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها لا يجوز تقديم الفاعل على فعله.

غير أن الكوفيين قالوا بجواز تقديم الفاعل، وزعموا أن الفعل في: زيد قام، لا يستدعي تقدير ضمير في (قام). ولكن هذا الزعم يتهاوى إذا كان الفاعل غير الاسم المتقدم، نحو: زيد قام أخوه. وزيد قام غلامه. فهذه وأشباهها تراكيب وضع فيها الفاعل المتصل بضمير يعود على الاسم المتقدم قبلها. وكذا في: الزيدان قاما. والزيدون قاموا، والهندات قمن. فالضمائر هنا: الف الاثنين، و: واو الجماعة، و: نون النسوة، قامت مقام الفاعل، ذلك أنها محكوم باسميتها، وأما القول إنها علامات للتثنية والجمع: فقول بعيد عن الدقة، ذلك أنها فاعل في تراكيب آخر، نحو: استعينا بالله، و: استعينوا بالله، و: استعن بالله.... فما القول في هذه الضمائر؟ أيعقل جعلها علامات؟ أليست هي الفاعل؟ ولماذا نغنها هنا فاعلا وهناك علامات؟

ثم ما القول في إيقاع عامل آخر على هذا الفاعل المقدم في نحو: زيد قام. فنقول: إن زيدا

قام. أو: عرفت زيدا قام.. وأشباهها؟

لقد وقع من ذهب إلى تقديم الفاعل على فعله في وهم كبير، وكذا في منعه تقدير الضمائر المستترة، فمثلا قوله تعالى: (الذي

خلقني فهو يهدين) (الشعراء: ٧٨)، يجب تقدير ضمير مستتر ليكون فاعلا، ورابطاً لجملته الصلة، ومن دون هذا التقدير تبقى الصلة من غير غائد، وقد ذهب جمهور النحاة إلى وجوب وجوب العائد في جمل: الصلة، والخبر والحال والصفة... إن العلاقة التلازمية بين الفعل وفاعله تقضي بمنع تقديم الفاعل على فاعله؛ لأننا نلاحظ أن قسماً من الأفعال تبتى مع ضمير الفاعل المتصل بها، قلت، وقلت، وقلت، وقلنا، وقلن (للماضي)، ويطن (للمضارع)، وقلن (ل الأمر)، وقالوا.... إلى غير ذلك من الأمثلة، مما يشير إلى تعثر تجاهل هذه الضمائر وجعلها علامات أولاً، ثم لاحظ التلازم بين الفعل والفاعل، وكأنهما جزء واحد ثانياً، لأن الفاعل جزء ملازم لفاعله.

## المبحث الرابع

### اعتراض ابن مضاء على العوامل المحذوفة

وجد ابن مضاء (أن المحذوفات في صناعتهم على ثلاثة أقسام: محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رأيت يعطي الناس (زيداً)، أي: أعط زيدا. فتحذفه وهو مراد، وإن أظهر تم الكلام به، ومنه قوله تعالى: (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) (النحل: ٢٠)، وحذفها أوجز وأبلغ)<sup>(٣)</sup>، وهذه يقبلها ابن مضاء.

### والقسم الثاني: محذوف لأحاجة بالقول إليه، بل هو تام

دونه، وإن ظهر كان عيباً، كقولك: أزيداً ضربتته؟ قالوا إنه مفعول مضمر تقديره: أضربت زيدا؟ وهذه دعوى لا دليل عليها، إلا ما زعموا من أن (ضربت) من الأفعال المتعدية إلى واحد، وقد تعدى إلى الضمير، ولا بد لزيد من ناصب، إن لم يكن ظاهراً فمقتر.... ولا يدعو إلى هذا التكلف إلا وضع: كل منصوب فلا بد له من ناصب)<sup>(٤)</sup>. فهو يرفض هذا النوع على صحته؛ لأن الاسم المنصوب لا يكون منصوباً لذاته؛ إنما المعنى هو الذي قاد إلى ذلك. أقصد أن عاملاً اقتضى نصبه ليؤدي معنى مراداً، وكان نصبه لغرض بيان المعنى، والعلامة إشارة لبيان المعنى، لأننا نفهم أن علامات الإعراب جيء بها لبيان المعنى الذي يتحصل من خلال

الإعراب، والإعراب والمعنى على هذا متلازمان.

### أما القسم الثالث: (فهو مضمرة، إذا أظهر تغير الكلام عما

كان عليه قبل إظهاره، كقولنا: يا عبد الله، وحكم سائر المناديات المضافة والتكرات حكم (عبد الله)... و(عبد الله) عندهم منصوب بـ\_\_\_\_\_ فعل،.. وهذا إذا أظهر تغير المعنى، وصار النداء خبراً<sup>(١٠)</sup>. بعد أن كان إنشأ. وبالعودة إلى مذهب النحاة نجدهم غير متفقين على تقدير فعل ناصب للمنادى، وذلك:

### أ. تقدير الفعل الناصب للمنادى: جعل سبويه وسائر

البصريين المنادى بمنزلة المفعول به فقال: (اعلم أن النداء: كل اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل التروك إظهاره، والمفرد رفع، وهو في موضع اسم منصوب)<sup>(١١)</sup>.

ورأى المبرد أن حروف النداء عامل النصب في المنادى، فقال الرضي: (وأجاز المبرد نصب المنادى على حرف النداء لسده مسد الفعل، وليس ببعيد)<sup>(١٢)</sup>.

وقد اعترض ابن مضاء على هذا، فجعله من العوامل المحذوفة المقدرة التي يجب تركها، ويمنع تقديرها؛ لأنها تحوّل الكلام من الإنشاء إلى الخبر. كما مر، وأن الكلام تام من دون تأويل (يا) بـ (أدعو) أو: (أنادي)، وقد يؤثر هذا في المعنى المراد.

وسنقف هنا. مع ابن مضاء في هذه المسألة، لنجد:

١. أن علماء النحو اختلفوا في عامل المنادى، ذلك أن سيبويه (مر) رأيه، على إضمار فعل، ولكن المبرد ذهب إلى غير ما ذهب إليه سيبويه كما مر.

٢. بنى ابن مضاء إنكاره لعامل نصب المنادى، على موقفه الرفض للعامل، ولأن ذلك يحوّل النداء من أسلوب الطلب إلى أسلوب الخبر، وهو في الحق يأخذ بمذهب ابن جني الذي كان رافضاً تأويل: (يا) بـ (أدعو)؛ لما في هذا من تحويل الإنشاء إلى خبر: فقال: (إذا كان الفعل قد حذف في الموضع الذي لو ظهر فيه لما أفسد معنى، كان ترك إظهاره في الموضع الذي لو ظهر فيه لأحال المعنى وأفسده أولى وأحجى.. فكيف بهم في ترك إظهاره في النداء؟ ألا ترى أنه لو تجشّم إظهاره، فقيل: ادعوا زيدا، وأنادي

زيداً، لاستحسّل أمر النداء، فصار إلى لفظ الخبر المحتمل لاصدق والكذب والنداء، مما لا يصح فيه تحديق ولا تكذيب)<sup>(١٣)</sup>.

٢. إن تقدير الفعل الناصب للمنادى هو على سبيل التمثيل لا الاستعمال؛ لأنك في معرض إبانة لا تقرير حكم نحوي قاطع، وهذا شأن دراسة اللغة، ولا ضير في خروج الإنشاء. في معرض تبين للدارس إلى الخبر، إذ أن الاستفهام مثلاً. (وهو إنشاء). قد يخرج إلى إفادة الإخبار، فمثلاً قول الشاعر:

أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى؟

وأي كريم لم تصببه القوارع؟

يقسم للمتعلّم: المعنى عجيب أن تجزع.... ولا كريم لم تصبه....، وبهذا أنت مثلت بالخبر للإيضاح.. غير أن المسألة هنا تبقى مسألة العامل حسب، ذلك أن هذا مثال لتقريب المعنى، وليس للبت في مسألة العامل، وإنه يدخل في الأغراض البلاغية، ولكنه للإبانة كذلك. أما مسألة عامل النصب فينبه عليها، إشارة إلى أنها هي العامل، أو تفسيراً بالقبول إن (يا) تعطي معنى فعل. وأما ذهبت إليه فليس ببعيد.

٣. لم تقتفد أداة النداء بدلالاتها على معنى يقود إلى ظهور علامة إعرابية (هذا على رأي من يجعلها عاملة)، فأداة الاستثناء (إلا). مثلاً لا حصراً. يكون لها فيما بعدها من تراكيب معينة حكم إعرابي، وللتفصيل يمكن الرجوع إلى باب المستثنى بـ (إلا)..

### ب. نصب المضارع بـ [أن] مضمرة:

ومما اعترض عليه ابن مضاء في موضوع تقدير العوامل المحذوفة، النصب بالفاء والواو، فقال: (ينصبون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف بـ (أن)، ويقدر (أن) مع الفعل بـ (المصدر). ويصرفون الأفعال الواقعة بعد هذه الحروف إلى مصادرها... وإذا فعلوا ذلك كله لم يرد معنى اللفظ الأول، ألا ترى أنك إذا قلت: (ما تأتينا فتحدثنا)، كان لها معنيان: أحدهما: ما تأتينا فكيف تحدثنا، أي أن الحديث لا يكون إلا مع الإتيان...، وإذا لم يكن الإتيان لم يكن الحديث.

والوجه الآخر: (ما تأتينا محدثاً)، أي إنك تأتي ولا تحدث. وهم يقتضون الوجهين: (ما يكون منك إتيان فحديث)، وهذا اللفظ لا

يعطي معنى من هذين المعنيين، وهذه المضمرة التي لا يجوز إظهارها لا تخلو من أن تكون معدومة في اللفظ، موجودة معانيها في نفس القائل، أو تكون معدومة في النفس، كما أن الألفاظ الدالة عليها معدومة في اللفظ، فإن كانت لا وجود لها في النفس، ولا للألفاظ الدالة عليها وجود في القول، فما الذي ينصب إذن؟ وما الذي يضمن؟ ونسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال. فإن قيل: إن معاني هذه الألفاظ المحذوفة موجودة في نفس القائل، وإن الكلام بها يتم، وإنها جزء من الكلام القائم بالنفس، الدلول عليه بالألفاظ، إلا أنها حذفت الألفاظ الدالة عليها إيجازاً، كما حذفت مما يجوز إظهاره إيجازاً، لزم أن يكون الكلام ناقصاً، وأن لا يتم إلا بها، لأنها جزء منه، وزدنا في كلام القائلين ما لم يلفظوا به، ولا دلنا عليه دليل إلا ادعاء أن كل منصوب لابد له من ناصب لفظي<sup>(١٢)</sup>.. إلى أن يقول: وقد فرغ من إبطال هذا الظن بيقين، وادعاء الزيادة في كلام المتكلمين من غير دليل يدل عليها خطأ بين.... فالقول بذلك حرام على من تبين له ذلك<sup>(١٣)</sup>.

ويحسن بنا العودة إلى مذهب سيبويه في هذه المسألة، فقد قال في باب الفاء - هذه: (.. وتقول: ما تأتيني فتحدثني، فالنصب على وجهين من معانالي، أحدهما: ما تأتيني فكيف تحدثني أي: لو أتيتني تحدثتني. وأما الآخر: فما تأتيني أبداً إلا لم تحدثني، أي: منك إتيان كثير، ولا حديث منك)<sup>(١٤)</sup>.

إن سيبويه كان قد تبناه على معان محتملة للنصب في باب (الفاء) فقال: (واعلم أن ما ينتصب في باب (الفاء) قد ينتصب على غير معنى واحد)<sup>(١٥)</sup>.

إن ما ذهب إليه سيبويه كان بسبب المعنى، فأنت أمام تعبير يفرض المصدرية، وهذا لا يأتي بالفاء، وهذا على سبيل التمثيل أيضاً، وكان سيبويه دقيقاً كل الدقة لقوله: (فالنصب ههنا في التمثيل، كأنك قلت: لم يكن إتيان فأنت تحدثت، والمعنى على غير ذلك)<sup>(١٦)</sup>.

إن عامل نصب المضارع بعد (الفاء) و (الواو) لم يكن موضع اتفاق بين النحاة<sup>(١٧)</sup>.

(فالبصريون يفسدرون (أن) مضمرة. وأما مذهب جمهور الكوفيين فيذهبون إلى أن المضارع منصوب على الخلاف. وذهب

الكسائي إلى أن (الفاء) و (الواو) هما الناصبان للمضارع، وكذا تابعه الجرمي، وأبو جعفر النحاس (ت ٢٢٧هـ). ونقل السيوطي عن ثعلب (ت ٢٩١هـ) أن: (الفاء) ضارعت (كي) فلزمت المستقبل وعملت عمله)<sup>(١٨)</sup>.

ولزاماً على الباحث أن يتحرى الحق، فير ذ الرأي لصاحبه، ذلك أن دعوى إلغاء تقدير (أن) ليست من أفكار ابن مضاء، بل سبقه إلى ذلك كثيرون، ولم ينسب إلى أحد منهم.

## المبحث الخامس

### العلل النحوية والقياس والعمارين

#### القسم الأول: اعراض ابن مضاء على العلل

العلل النحوية ثلاث، وإن اختلفت تسميتها، وقد جعلها ابن مضاء: أولاً وثواني وثالث. وقبل القسم الأول، منها، ورفض الثواني والثالث، فقال: (مما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثالث، وذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا: (قام زيد)، لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر)<sup>(١٩)</sup> والتعليل برفع الفاعل وكونه علة أولى قد قبله ابن مضاء وأقر به، لكنه رفض تعليل النحاة في إيجاد مسوغ لرفع الفاعل فقال: (فلا يزيدنا ذلك علماً بأن الفاعل مرفوع، ولو جهلنا ذلك لم يضرنا جهلة، إذ قد صح عندنا رفع الفاعل الذي هو مطلوبنا باستقراء المتواتر الذي يوقع العلم)<sup>(٢٠)</sup>.

الذي يظهر للباحث فيما ذهب إليه ابن مضاء الآتي:

(١) إن ما ينبغي التنبيه عليه هو أن هذه العلل تعليمية، وتكون على وفق مراحل تناسب عقل الدارس ومستواه، فلا ضير إذا ما تدرجنا معه في تلك العلل، لأن علوم اللغة الحية تفرض العلم بها، وعقول الدارسين توافقة إلى استجلاء الحقائق التي قد لا تكون الإجابات الأولى مقنعة فيها ولها، بل قد يكون بحثها مما يقود إلى الوصول إلى قناعة علمية أدق، ولا خلاف أن بعض مباحث اللغة قد يكون غير مجب، مثلما توقف البحث في أصل اللغة، أو اللغات. وإن كان هذا غير ذاك.

(٢) ابن مضاء أقرّ بتقسيم النحاة للعلل، لكنه لم يذكرها كما قسمها النحاة قبله، فقد قسموها على ثلاثة أنواع: تعليمية، وقياسية، وجدلية. وهذا التصنيف مناسب لطبيعة هذه العلل، وجدواها، وهي ليست كما أوحى به تقسيم ابن مضاء لها.

(٣) لم يكن التعليل الذي رافق قواعد النحو العربي إلا دليلاً على قوة فكر النحاة وحسن تأملهم ولتأنيهم؛ كي يصوغوا الحكم النحوي، وهذا منهج علمي سليم انتهجه علماء النحو، ولا ضير في أنهم تأثروا بعلوم العصر، لأنك تجددهم غير مفرطين بالعنى، ولا مضيعين للأسلوب، بل قلبوا التراكيب ليدركوا المعاني، وتركوا الباب مفتوحاً للقول في الأحكام التي توصلوا إليها، وهذا ما حدث فعلاً من لدن من تلاهم، بما زادوه من قواعد، وأبانوا به لغة العرب، وحكماتهم في لغتهم.

وسئل الخليل بن أحمد (عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نحلقت على سجيته وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، اعتلت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصببت العلة فهو الذي التمس، وإن تكن هناك علة له، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبه النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللانحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلته كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، وجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعللة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سسنا لغيري علة لما عللته من النحو هو البقي مما ذكرته بالمعلول فليأت بها<sup>(٣)</sup>.

ومن طريف ما يروي أن أحدهم سأل الكسائي في حضرة يونس (ت ١٨٠هـ) فقال: (فكيف تقول: لأضربن أيهم في الدار؟ قال: لأضربن أيهم في الدار. قال: فكيف تقول: ضربت أيهم في الدار؟ قال: لا يجوز قال: لم؟ قال: (أي) كذا خلقت<sup>(٤)</sup>).

## القسم الثاني: دعوة ابن مضاء إلى إلغاء القياس:

ودعا ابن مضاء إلى إلغاء القياس، فقال: (والعرب أمة حكيمة، فكيف تشبه شيئاً بشيء، وتحكم عليه بحكمه، وعلة حكم الأصل غيرها في الفرع)<sup>(٥)</sup>. وذكر من ذلك أمثلة لدعواه هذه تشبيه النحاة: إن وأخواتها بالأفعال المتعدية في العمل، وأن الأسماء غير المنصرفة تشبه الأفعال في أنها فروع<sup>(٦)</sup>.

قال ابن جني بعد كلام في القياس النحوي: (فهذا ونحوه يدل على قوة تداخل اللغة وتلاحمها، واتصال أجزائها وتلاحقها، وتناسب أوضاعها، وأنها لم تفتتحت اقتعائاً، ولا هيلت هيلاً، وأن واضعها غني بها، وأحسن جوارها، وأمد بالإصابة والأصلة فيها)<sup>(٧)</sup>.

وقال السيوطي نقلاً عن أبي البركات الأنباري في أصوله، (اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأن النحو كله قياس، ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقرار كلام العرب)، وزاد السيوطي قوله: (فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة، وذلك أنا أجمعنا على أنه إذا قال العربي: كتب زيد فإنه يجوز أن نسند هذا الفعل إلى كل اسم مسمى يصح منه الكتابة، نحو: عمرو، وبشر.. وكذلك القول في سائر العوامل الداخلة على الأسماء والأفعال الرافعة والناصبة، والجارة، والجازمة فإنه يجوز إدخال كل منها على ما لا يدخل تحت الحصر، وذلك بالنقل من متعذر، فلو لم يجز القياس، واقتصر على ما ورد في النقل من الاستعمال، لبقى كثير من المعاني لا يمكن التعبير عنها لعدم النقل، وذلك مناف لحكمة الوضع، فوجب أن يوضع وضعاً قياسياً عقلياً لا نقلياً)<sup>(٨)</sup>.

وزاد محقق الاقتراح الدكتور أحمد محمد قاسم قوله نقلاً عن أبي البركات الأنباري: (فلو قلنا: إن النحو ثبت نقلاً لا قياساً وعقلاً، لأدى ذلك إلى رفع الفرق بين اللغة والنحو، وإلى التسوية بين المقيس والمنقول، وذلك مخالف للمعقول)<sup>(٩)</sup>.

من المسلم به اتفاق علماء اللغة على أن الفتحة أخف الحركات<sup>(١٠)</sup>. ولذا مالت العرب إلى النطق بأخف الحركات لقسم من الألفاظ ثقيلة اللفظ، وذلك متمثل في المتنوع من الصرف من

الأسماء المشابهة للأفعال<sup>(١)</sup>، فلم يجنحوا إلى تثقيله بالتثوين، ولا بحركة الكسرة، وهذا يمكن عنده قاعدة في منع صرف (أحمد)، و (يزيد)، وما يشاكلهما، للمشابهة الشكلية بينها وبين الأفعال، فكما لا يصح جرز الأفعال، فقد حكم العلماء بالألا تنون لنقل ذلك، أي إن الأسماء التي شابهت الأفعال لا تنون، ولا تجز بالكسرة، بل بالفتحة بدلا عنها لخفتها.

الذي يتحقق أن المنع من الصرف ليس لمشابهة في المعنى، ولا لتأثير بعامل نحوي تعرضت له تلك الكلمات، بل هو توافق في أبنية الكلم، وهذا أمر متسق في لغة العرب، النازعة إلى اليسر والتيسير في النطق والأسلوب.

### القسم الثالث: دعوة ابن مضاء إلى إلغاء التمارين غير العملية:

بدأ ابن مضاء كلامه في أول موضوع له من كتابه: (الرد على النحاة) بالدعوة إلى (إلغاء نظرية العامل) بقوله: (قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه)<sup>(٢)</sup>. وختم كتابه بالدعوة إلى إلغاء التمارين غير العملية، فقال: (ومما ينبغي أن يسقط من النحو: (ابن من كذا مثال كذا)، كقولهم (ابن من البيع مثال (فعل)، فيقول: (بوع)<sup>(٣)</sup>.. وما الضير في هذا، فقد فسر الصرفيون هذا بقولهم: إن أصله: ينع، فتقلب (الياء) واوا، لسكونها وانضمام ما قبلها، ولا ضير في هذا لوجود ما يؤيد مذهبهم<sup>(٤)</sup>، نحو: موقن، وموسر... لأنه من: أيقن، و: أيسر..

#### الذي نراه:

(١) لقد فات ابن مضاء أن كثيرا من فروع علم اللغة تحتاج إلى التطبيق والتمرين من لدن الدارسين، ولكن هذا لا يسوغ الإغراب في مطالب التطبيق، إنما يجب الأخذ بالمستعمل من التراكيب، فاللغة استعمال.

(٢) نعم نجد فيما يراد التمثيل به - أحيانا - قد يكون بلهجات ماتت، ولم تعد مستعملة في لغتنا. ولكن ذلك لا يمنع الدارسين من تقليب الصيغ والتصارييف، لمعرفة عللة، أو صيغة، ربما غابت

عن بعضهم، وربما قد تنفع في استعمال ما يتطلبه تطور الحياة أو اللغة.

والسؤال - هنا -: ما الذي يحمل ابن مضاء على الاستشهاد بالصور القاتمة، أو الصعبة، أو التي هجرها الناس، فلم تعد مستعملة؟ ثم هو يتجنب الطالب التعليمية الصحيحة المستعملة: اليس في التمرينات نفع؟ ألم تكن ساحة لترويض الفكر واللسان على الصحيح من اللغة.

(٣) لم يكن ابن مضاء أول من دعا إلى الاختصار والإيجاز، وتقديم قواعد اللغة بأسلوب مبشر بعيدا عن الفضول، وعدم الإغراق بالتمرينات التي قد تكون مملة، وربما بعيدة عن جمال لغة العرب، أو أن المطلوب فيها نادر، أو مما هجر في اللغة.

### ماذا يبقى لابن مضاء؟

قام ابن مضاء بحملة جريئة<sup>(٥)</sup> على النحو الشرقي، ولا سيما البصري منه، وقد اختلطت آراؤه: لكونها دعوات علماء لفاضل افتوا العمر ليصلوا إلى نتائج وآراء ادعاها ابن مضاء لنفسه، فجمع تلكم الآراء ورتبها ليطلقها بصوت عال، في أجواء كانت قد تهيأت لنشرها، وإبرازها وقبولها، فزعم بعضهم أنها ثورة في النحو أو عليه. غير أن الذي توصلنا إليه بعد بحث وتأمل هو الآتي:

١- لا يمكن للباحث في أصول النحو وما رافق تأليفه أن ينتزه كتبه مما علق بها من أساليب وآراء - أحيانا - قد لا تخدم اللغة، ولا الناطق بها، ولكنها لا تعد مثلبة تستدعي هذه الحملة الشعواء.

٢- لم يكن المذهب الظاهري إلا مذهبا مشرقيا، آمن به ابن مضاء، في عصر كان آخذا ومطبقا إياه - في الأندلس -، وخرم العمل بغيره، وبلغ الأمر أن أغلقت العقول، ومنع كل فكر سواه بحث السيف. وهذا هيا لابن مضاء أن يجاهر بدعواه في هجومه على نحو المشرق بحرية.

٣- إن القول بأن ابن مضاء قصد بكتابه - هذا - هدم النحو<sup>(٦)</sup> - قول فيه نظر؛ ذلك أن ابن مضاء اختار قسما من آراء النحاة، ولا سيما دعوات المشرقية، الداعية إلى الأخذ بأيسر السبل لضبط قواعد النحو، وفي التخفيف من العامل والعلل، والابستعاد عن تحميل



النص وجوها قد تخدم المتعلم في جانب، ولكنها لا تنفع الناطق باللغة، بل يمكنه الاستغناء عنها، وهذا سبب جعل ابن مضاء يدعو إلى حملته هذه.

٤. ما هدى ابن مضاء النحاة إلى النهج المستقيم، ولا خلص النحويين من وعاء قواعده ومباحثه، كما ذهب الدكتور شوقي ضيف في مقدمة التحقيق لكتابيه، وكذا القول إنه جاء بأراء مبتكرة<sup>(١)</sup>، لم يسبقه إليها أحد، وهذا كلام لا يؤيده استقراء مذاهب النحاة، ولا سيما الذين خالفوا البصريين وقد تأكد ذلك من الموازنة بين ما ادعاه ابن مضاء لنفسه، وأراء من سبقوه. وكذا وصف الدكتور نعمة العزاوي حملة ابن مضاء بالثورة، فهو قول أطلق من دونها تمحيص، وفيه بُعد ومبالغة.

٥. لم يكن ابن مضاء دقيقاً في قسم من أحكامه، فمثلاً أخذ على النحاة كافة نصب المضارع بعد (الفاء)، أو (الواو) ب (أن) مضمر، وهذا مذهب البصريين حسب وخالفهم الكوفيون.

٦. إن الأمر الذي يبدو جلياً ومعقولاً أن ابن مضاء ألف كتابه (الرد على النحاة) إرضاء لفكرة الحاكم (يعقوب بن يوسف)، وتمشياً مع مذهبه الظاهري، الذي ألغى العلل والتعليل، وأحكام القياس، والتفرعات في الأحكام الدينية، ثم طبق ذلك على بقية العلوم، من دونما تفريق. وهذا ما لم يكن دقيقاً، ولا صحيحاً.

٧. يؤخذ على ابن مضاء إغفاله التام التصريح بأراءه من سبقوه، ونسبتها لأصحابها، بل نسبها لنفسه، وزعم أنه يدعو للأخذ بها. وقد مر في البحث تحقيق ذلك وبيان.

٨. من بين ما في كتاب (الرد على النحاة) المطالبة بالإيجاز، و (الدعوة إلى إلغاء كل ما لا يفيد نطقاً)<sup>(٢)</sup>، وثبت أن كثيرين من

العلماء قد سبقوه إلى ذلك.

٩. من اللافت للنظر أن ابن مضاء لم يكن نحويًا، ولم يعترف عن اشتغاله فيه، بل كان يتوقع منه أن يدلي بدلوه في الفقه، أو الرواية لتمكنه في ذلك.

١٠. أقر ابن مضاء أن النحويين (قد وضغوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب، وصيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابستغوا...) "غير أنه عاب عليهم (أنهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوا منها، فتوغرت مسالكها، وهنت مبانيها...)". وكان حريًا به أن يقف عند طائفة من أراء النحاة المتأخرين. ولا سيما المغاربة<sup>(٣)</sup>، ويحاكم آراءهم، بدلا من أن يلصق التهم بغير أهلها، فيروح يتهم نحاة الشرق كافة من دونما تمييز.

والحق أن هذا الذي دعا إليه ابن مضاء ليس جديداً على التأليف النحوي، وقد مر في البحث ذكر كثير من الكتب الموجزة الميسرة المركزة للقواعد النحوية.

وعلى الرغم من هذه المآخذ على جمل كتاب (الرد على النحاة) يبقى لابن مضاء فضل كونه أول من جمع آراء من سبقوه المشتتة، فرتبها ونسقها، وأعاد صياغتها بتبويب جديد. وإن ادعاه لنفسه. فأجاد بما امتلكه من فكر فقهى مجاور، فأوحى إلى بعض الباحثين أنها جديدة أو لم يسبقه إليها أحد، بل كان يراها الحق، وما سواها الباطل. وفي هذا غضاظة بحق علماء الأمة الذين خدموا لغة القرآن الكريم أي خدمة.

والحق القول. كما قيل في حق كتاب الأمالي للقيلي. هذ بضاعتنا زنت إلينا.

## الهوامش

(٥) إذا اختلفوا في ذلك لورود قسم منها متصلاً بالشمس والنحو: هـ. هـ. هـ. هـ. هـ.

(٦) ينظر: النحو الجديد. عبد المتعال الصعيدي/١٩٨.

(٧) يعقوب بن يوسف (٥٨٠ هـ - ٥٩٠ هـ)، وهو أهم خلفاء الوحديين في الأندلس، وقد أمر بنشر آراء هذا المذهب، ولو بعد السيف. وقد كان ابن نومرت (ت ٥٢١ هـ) الذي لقب نفسه بالمهدي المنتظر، سبقه إلى نشره في الغرب. ويعود المذهب الظاهري إلى داود بن علي الأسلماني (ت ٢٧٠ هـ)، فهو مؤسسه في الشرق، وأهم من اعتنقه.

(١) ينظر: نحو المعاني. الجولاني/٢٥.

(٢) مثلاً لا حصراً. تأكيد الفعل للسند إلى ضمير نون النسوة بنون التوكيد. وكذا ما ذكره سيبويه في (ما) النافية، أن القياس عدم عملها، ولكنها جاءت عاملة في القرآن الكريم. (وهذا هو الأبلغ). الكتاب/٥٧.

(٣) ينظر: مغني اللبيب. ابن هشام/٢٢٥.

(٤) ينظر: تجليد النحو. شوقي ضيف/٢٥.

ونشره من علماء الأندلس ابن حزم الأندلسي (٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ) ينظر: المدارس النحوية/ ٣٩٧. الدكتور خديجة الحديثي، ومصادرها.

(٨) نفع الطيب. المقرئ ٩٨/١.

(٩) و (١٠) مقدمة محقق الرد على النحاة - شوقي ضيف/ ١٧. الذي يقول: (ذهب أصحاب الظاهر إلى إبطال القول بالقياس في الدين جملة، وقالوا لا يجوز الحكم البتة في شيء من الأشياء كلها إلا ينص كلام الله تعالى أو ينص كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو ما صرح عنه عليه الصلاة والسلام، من فعل أو إقرار). عن: (الإحكام في أصول الأحكام ٥٥/٢).

(١١) مقدمة محقق كتاب الرد على النحاة/ ١٨. وينظر: المدارس النحوية/ ٣٩٦ وما بعدها.

(١٢) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ١٨. عن الديباج للذهب/ ٤٨.

(١٣) و (١٤) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٩. عن: المعجب ١٧٨. وروض القرطاس ١٤٢/١.

(١٥) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٢٠.

(١٦) جاء هذا مبثوثاً في كتابه (الرد على النحاة) في مواضع رده عليها.

(١٧) مقدمة محقق كتاب الرد على النحاة/ ٢٠ - ٢١.

(١٨) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة/ ١٢٥.

(١٩) مقدمة في النحو ٣٢ - ٣٤.

(٢٠) الحيوان ٩١/١.

(٢١) أخبار النحويين البصريين - السمرقاني/ ٧٧ - ٧٨.

(٢٢) و (٢٣) في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث/ ٣٢ - ٣٣. عن الفهرست/ ٦٦.

(٢٤) مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة. العدد ٧ ص ٧٦. لسنة ١٩٥٢م.

(٢٥) أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة/ ١٢٢.

(٢٦) السابق/ ١٧٧.

(٢٧) المدارس النحوية/ ٣٩٩.

(٢٨) السابق/ ٣٩٩.

(٢٩) ينظر: إحياء النحو/ ٢٢ وما بعدها.

(٣٠) مقدمة محقق الرد على النحاة/ ٢٢ - ٢٤.

(٣١) لبن مضاء القرطبي وجهوده النحوية/ ٨. وينظر: ص ٤٢، ٤٤. الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة. حسن مندول. رسالة دكتوراه. بغداد - الجامعة المستنصرية فقد ذهب إلى أن: (فكرة تيسير النحو قد نضجت على يده).

(٣٢) في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث/ ٣٥. وينظر: مصلحه.

(٣٣) الاتجاهات النحوية الحديثة/ ٥٢.

(٣٤) ينظر: الخصائص ابن جني ١٠٩/١. والرد على النحاة/ ٢٧. وهامش المحقق.

(٣٥) و (٣٦) و (٣٧) الرد على النحاة ٦٧ - ٧٧.

(٣٨) الرد على النحاة/ ٧٧. (٣٩) الرد على النحاة/ ٧٨ - ٧٧.

(٤٠) الرد على النحاة/ ٧٨ - ٧٩. (٤١) الرد على النحاة/ ٧٩.

(٤٢) الرد على النحاة/ ٧٩ - ٨٠. (٤٣) الرد على النحاة/ ٨٠ - ٨١.

(٤٤) و (٤٥) الرد على النحاة/ ٧٧.

(٤٦) الانصاف في مسائل الخلاف ٢١/١، المسألة الخامسة. في رفع اليقظة ورفع الخير.

(٤٧) الرد على النحاة/ ٧٧.

(٤٨) الرد على النحاة/ ١٠١.

(٤٩) يقصد به التنازع ينظر: ٤٩ من كتاب الرد على النحاة.

(٥٠) و (٥١) الرد على النحاة: ٩٤.

(٥٢) الرد على النحاة/ ٨٠.

(٥٣) الانصاف في مسائل الخلاف ٢٩١/٢، ٧٥م. وتنظر: ٣٦، ٢٩٢/٢.

(٥٤) الانصاف في مسائل الخلاف ٢٩١/٢، ٧٥م. وتنظر: مسألة ٧٦ ج ٢٩٢.

(٥٥) ينظر الانصاف ٢٩١/٢ - ٢٩٢/٢. المسائل ٧٥ و ٧٦.

(٥٦) الأشياء والنظائر - السيوطي ١١٢/٢.

(٥٧) افتتاح ابن النحاس/ ١٩. (٥٨) الرد على النحاة/ ٣٦.

(٥٩) الانصاف ٥٢/١ م ١١. (٦٠) السابق ١٠/١ م ٣٠.

(٦١) الانصاف ١٣٧/١ م ٢٩. (٦٢) ينظر: جمع الهوامع ١/١٤.

(٦٣) ينظر: التصريح. الأزهر ٢/٢٥.

(٦٤) هذا خلاصة رليه في كتابه، الرد على النحاة ١٠٥ - ١٠٦.

(٦٥) ينظر: الانصاف ١/٥٦. (٦٦) الرد على النحاة ٩٥ - ٩٦.

(٦٧) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ١٠٢/٢.

(٦٨) الرد على النحاة/ ١٠١. (٦٩) شرح ابن عقيل ١/٤٥٢.

(٧٠) الرد على النحاة/ ٩٨. (٧١) هامش المحقق رقم (٥) ص ٩٨.

(٧٢) الرد على النحاة/ ٨٨. (٧٣) الرد على النحاة/ ٨٧.

(٧٤) ينظر: أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة/ ٤٢٥.

(٧٥) الاعتراض الأول على (المشتقات) في ص ٨٨. والثاني على (الأفعال) في ص ٩٠.

(٧٦) الرد على النحاة/ ٨٩ - ٨٨. (٧٧) الرد على النحاة/ ٩٠.

(٧٨) الرد على النحاة/ ٩٢. (٧٩) الرد على النحاة/ ٧٩.

(٨٠) الرد على النحاة/ ٧٩. (٨١) الرد على النحاة/ ٧٩.

(٨٢) الكتاب ١٨٢/٢. وينظر: شرح الكافية ١/٣٤٦.

(٨٣) شرح الكافية/ ٣٤٦. (٨٤) الخصائص ١/١٨٦.

(٨٥) نقل شوقي ضيف هذا الخلاف وهو، ذهب البصريون إلى أن العامل في المفعول هو الفعل، ونصب الكوفيين إلى أن الذي يعمل في للمفعول هو الفعل والفاعل جميعاً.

وذهب بعضهم إلى أن العامل هو الفاعل. وذهب خلف الأحمر من الكوفيين إلى أن

العامل في المفعول معنى للمفعولية، ينظر الرد على النحاة/ ٨١ هامش: (٢)، عن

(الإنصاف) ٥٢/١ م ١١.

(٨٦) الرد على النحاة/ ٨١ - ٨٠.

(٨٧) و (٨٨) الكتاب ٢٠/٢. (٨٩) الكتاب ٢٠/٢.

(٩٠) مر هذا في البحث سابقاً.

(٩١) ينظر: الفاء في القرآن الكريم/ ٨٤ ومصادره.

(٩٢) الرد على النحاة/ ١٣٠. (٩٣) الرد على النحاة/ ١٣٠ - ١٣١.

(٩٤) الإيضاح في علل النحو/ ٦٦ - ٦٥. (٩٥) أخبار النحويين البصريين/ ٢٨.

(٩٦) الرد على النحاة/ ١٣٤. (٩٧) ينظر الرد على النحاة/ ١٣٥.

(٩٨) الخصائص ١/٣١١. (٩٩) الاقتراح في علم أصول النحو/ ٩٥.

(١٠٠) السابق/ هامش رقم (٢) ص ٩٥. (١٠١) ينظر: الكتاب ٣٨٢ و ٣٨٣.

(١٠٢) ينظر الكتاب، باب ما ينصرف وما لا ينصرف ١٩٢/٢.

(١٠٣) الرد على النحاة/ ٧٦. (١٠٤) الرد على النحاة/ ١٣٨.

(١٠٥) قال الشاعر:

لميت وهل ينفذ شيئاً ليست

ليت شباباً ..... أ نوع قائم ..... ثريت.

(شرح ابن عقيل ٤١٥).

(١١٦) يذخر: في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث/ ٣٦.

(١٠٧) في البحث نسبة ذلك إلى الدكتور طه حسين من ٩. وهذا ما ذهب إليه

الدكتور خديجة الحديثي أيضاً ص ١٠. وينظر: المدارس النحوية/ ٣٩٩.

(١٠٨) مر رأي الأستاذ السرحطاوي. البحث ص ١١ وكتابه: ابن مضاء ٨/١٠.

(١٠٩) الرد على الفحاذ/ ١٤١. (١١٠) الرد على النحاذ/ ٧٢.

(١١١) مر في البحث رأي الدكتور خديجة الحديثي: وهو. أن المتأخرين. ولا سيما

علماء الأندلس. هم الذين توسعوا في النحو وأقيسته وتعليقاته/ في كتابها: المدارس

النحوية/ ٢٩٨.

## المراجع والمصادر

الحسيني. إيران. قم. (د.ت).

١٧. شرح الرضي على الكافية. الرضي الاستر ابادي (ت ١٦٨٦ هـ). تصحيح وتعليق

يوسف حسن عمر. جامعة قار يونس. ١٤٢٩ هـ. ١٩٧٨ م.

١٨. في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث. الدكتور نعمة رحيم

العزاوي. بغداد. ١٩٩٥ م.

١٩. المدارس النحوية. الدكتور خديجة الحديثي. ط ٢. مطبعة جامعة بغداد. ٢٠٠٥

هـ. ١٩٩٠ م.

٢٠. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ).

تح. الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. ط ٥. طهران. (د.ت).

٢١. مقدمة في النحو. خلف الأحمر البصري (ت ١٨٠ هـ). تح. عز الدين التنوخي.

دمشق. ١٣٨١ هـ. ١٩٦٤ م.

٢٢. النحو الجديد. عبد المتعال الصعيدي. دار الفكر العربي. ١٩٤٧ م.

٢٣. نحو المعاني. الدكتور أحمد عبد الستار الجوازي. مطبعة المجمع العلمي العراقي

. ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧ م.

٢٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١ هـ)

تح. محمد محي الدين عبد الحميد. ط ١. القاهرة. ١٣٦٧ هـ. ١٩٤٩ م.

٢٥. مع الهوامع في شرح جمع الجوامع. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت

٩١١ هـ). ج ١. تح. عبد السلام هارون والدكتور عبد المتعال سالم مكرم. ١٣٩٤ هـ.

١٩٧٥ م.

وبقية الأجزاء تح. الدكتور عبد المتعال سالم مكرم. دار البحوث العلمية. الكويت.

١٤٠٠ هـ. ١٩٨٠ م.

### الرسائل الجامعية

١. الاتجاهات النحوية الحديثة. فيصل أحمد فؤاد. رسالة ماجستير. جامعة

بغداد/ كلية الآداب. ١٩٧٦ م.

٢. الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة. حسن منديل حسن العكيلي

. رسالة دكتوراه. الجامعة المستنصرية. كلية الآداب ١٤١٦ هـ. ١٩٩٦ م.

٣. الفاء في القرآن الكريم (دراسة دلالية). علي رحيم هادي العلوي. رسالة ماجستير

. كلية التربية (ابن رشد). ١٤١٧ هـ. ١٩٩٦ م.

### الدوريات

١. مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة. عدد ٧ لسنة ١٩٥٢ م.

١. ابن مضاء القرطبي وجهود النحوية. معاذ السرحطاوي. ط ١. دار مجدلاوي.

عمان الأردن ١٩٨٨ م.

٢. ليو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة. د. أحمد مكي الأنصاري. نشر المجلس

الأعلى لرعاية الفنون والآداب. القاهرة. ١٣٨٤ هـ. ١٩٦٤ م.

٣. إحياء النحو. إبراهيم مصطفى. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

القاهرة. ١٩٥٩ م.

٤. فخبار النحويين البصريين. ليو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨ هـ).

تح. طه محمد الزيتي. ط ١. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ١٣٧٤ هـ.

١٩٥٥ م.

٥. التشباه والنظائر. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ). ط ٢. حيدر

آباد الدكن. ج ١. ١٣٥٩ هـ. ج ٢. ١٣٦٠ هـ. ج ٤. ١٣٦١ هـ.

٦. الاقتراح في علم أصول النحو. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ). تح.

الدكتور أحمد محمد قاسم. ط ١. القاهرة. ١٣٩٦ هـ. ١٩٧٦ م.

٧. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. جمال الدين ليو

البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ). تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٢. مطبعة

السعادة بمصر. ١٩٥٥ م.

٨. الإيضاح في علل النحو. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)

. تح. الدكتور مازن المبارك. ط ٢. بيروت. ١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩ م.

٩. تجديد النحو. د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر. ١٩٨٢ م.

١٠. التصريح بموضوع التوضيح. خالد الزهري (ت ٩٠٥ هـ). مطبعة مطبعة محمد

مصطفى. القاهرة. (ت.ت).

١١. التفاح في النحو. ليو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ). تح. كوركيس

عواد. مطبعة العاني. بغداد. ١٣٨٥ هـ. ١٩٦٥ م.

١٢. حاشية الصبان على شرح الثموني على الفية ابن مالك. محمد بمن علي

الصبان (١٠٢٦ هـ). دار إحياء الكتب العربية. مطبعة عيسى الصبابي الحلبي

وشر كاد. (د.ت).

١٣. الحيوان. أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ). مطبعة البابي الحلبي. (د.ت).

١٤. الخصائص. أبو عثمان ليسن جني (ت ٢٩٢ هـ). تح. محمد علي النجار. دار

الشؤون الثقافية العامة. ط ٤. بغداد. ١٩٩٥ م.

١٥. الرد على النحاة. ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ). تح. الدكتور شوقي ضيف.

مطابع دار المعارف بمصر. ط ٢. ١٩٨٢ م.

١٦. شرح ابن عقيل. بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ). تح. السيد علي

# حجاب المرأة في العصور المختلفة\*

بقلم يعقوب افرايم منصور

وعقلية المرأة - الحكومة عادة - ونفسياتها. هذه العقلية وتلك النفسية، تتأثران بالحيط والبيئة والتقاليد والقيم والمثل. فالبيئة البدوية أو الريفية اللتان تسودهما البساطة والصراحة، وبجانبهما التعقيد والمواربة، وبناءً عنهما البطر والرغد المسرف. وما يجزهما من كسل وتثاؤب وزينج ومروق وركون إلى اهتبال اللذات، وارتكاب الحرزات. مستغنية عن استعمال الحجاب، أو أنه يستخدم على نطاق ضيق في أحوال خاصة نادرة. نقض ذلك، البيئة الحضرية في المدن الكبيرة والعواصم المكتظة، حيث الترف والغش والخداع والإسراف في اقتتناس اللذات، والمتع بحرامها وحلالها، بسبب توفر الأموال والثروات الطائلة، وأوقات البطالة والراحة المتيسرة للمرأة، بفضل الخدم والحشم في الدور والقصور، أو وسائل الراحة الكثيرة، يرافق ذلك غريزة حب الاستطلاع والفضول المكيئة في نفس المرأة، وهو ما يؤدي غالباً بالرجل ونصفه المتم. المرأة. أن يسعي لإحراز المتعة الجنسية. وهي غريزة عميقة الجذور في الخلق السوي بجنسيه، وذات سورة وعنفوان، ويعزى إليها باعث الحضارة والتمدين، وحوافز كثير من الفنون. يصاحب ذلك إما صراحة متناهية وثقة متبادلة بين الجنسين، وصفاء سريرة ونقاء ضمير ورقي نفسي بسفضل التهذيب والالتزام بمبادئ الأخلاق وأهدب الدين؛ فلا

ثمة أمور واعتبارات وقيم وظواهر يصح عددها مقياساً من مقاييس مدارج الرقي الحضاري أو دلالة من دلائل الرقي الفكري أو مؤشراً من مؤشرات السمو النفسي. مثال ذلك: الصحافة. فازدهارها يبيح الحكم برقي البلاد في مضمار التمدن. وكذا يقسمال في مدينة كثرت شوارعها العريضة النخيلة، وحدائقها المنسقة. وهكذا تعد الموسيقى الراقية ومدى الإقبال على سماعها، والكليات والجامعات والمدارس والمعاهد العلمية والمعارض الفنية والمسارح التمثيلية دليلاً على درجة تحضر ذلك الشعب. أما عدد القضايا العدية التي تسمع في دور القضاء، فكما تضاءل في قطر أو مدينة، ثم ذلك على رقي في التربية والنفوس.

والحجاب الذي تسدله المرأة على وجهها، أو الذي يحجبها في بيتها أو قصرها عن خارجهما، وحتى عن بعلمها، فهو. ظاهرة رافقت بعض الأطوار الحضارية. يصح كذلك عدده مقياساً من هذه المقاييس، لأنه ينم على بعض التقاليد أو القيود ومدى الحرية عموماً وحرية المرأة خصوصاً في مجتمعات شتى.

إن استخدام الحجاب. بأشكاله المختلفة كالبرقع الضيق أو الشفاف والخمار والنقاب والقناع والستار. لصيق بالعقلية السائدة في المجتمعات: عقلية الرجل. المتحكم غالباً. ونفسيته،

\* البحث لا يمثل رأي المجلة وهي إذ تنشره تحترم رأي الباحث والخبر الذي أجاز نشره معاً.

يكون الحجاب للمرأة أنتد سرغوباً فيه، ولا خاطراً على البال؛ أو أن يصاحب ذلك نفاق وانعدام الثقة والصراحة المتبادلتين بين الجنسين، وعدم صناء السرائر أو نقاء الضمائر؛ والخطاطة نفسي من جراء نقص أو انعدام في التهذيب، أو عدم تقيد بمبادئ الأخلاق وأهـاب الدين لدى الطرفين اللذين يكونان جناحي المجتمع. فيكون الحجاب للمرأة أنتد وسسيلة - على ما فيه من عبودية وانتقاص من كرامة المرأة - نحف البشرية - وخزمتها وحريتها ومنزلتها، يعتقد اللاحئون إليها أنها ضامنة لدفع شر أعظم، وفساد أعم، وحبالية للاستقرار والاطمئنان والصون.

\*\*\*

إذا كان المقصود بالحجاب ستر العورة - كالخمار والبرقع والنقاب والقناع والستار - فهو قديم قبل ظهور الرسالة الإسلامية. ففي عهد الأكديين مثلاً، استعملته النساء الشريقات فقط، لأن الساقطات لم يكن بحاجة إليه. أما السومريون، فلم تكشف التنقيبات الآثارية حتى الآن ما يشير إلى استعماله لديهم. ونساء الإغريق استعملن الخمار في أثناء خروجهن من البيوت، وأخفين وجوههن بحرف منه، وكان شائعاً قبل النصرانية، ولم تحرمه النصرانية، بل أبت قيد الاستعمال لتغطية رؤوس النساء أثناء خروجهن إلى الطرقات، فأصدت دور العبادة، فبقي على رؤوسهن طوال الصلاة. واستمر استعماله حتى القرون الوسطى، بل حتى القرن التاسع عشر. إذ حتى القرن الثالث عشر، كان الخمار يحيط أكتاف النساء، ويلاص الأرض، لكن بعدئذ حلفت التسوة يخفقن منه حتى أضحي - كما هو عليه الآن - نسيجاً شفافاً يستعمل لتغطية هامات النساء عند دخولهن الكنائس، أو لحماية وجوههن من التراب والبرد والحر والشمس. بيد أن آثاره ما برحت موجودة في بعض أنحاء العالم<sup>١</sup>.

وكان الخمار الأسود شائعاً بين العرب المتحضرين بدليل ما حكى عن مسكين الدارمي عندما كسلت هذه الخمر، فأنشد بيتين من الشعر في وصف مليحة اتشحت بخمار أسود، وهما:

فل للمليحة في الخمار الأسود:

ماذا أردت بناسك متعبد

قد كان شعر للصلاة ثيابه

حتى قعدت له بيباب المسجد  
فأقبلت النساء على ابتياع الخمر السود التي كانت كاسدة عند التاجر.

وفي شعر النابغة الذبياني ذكر آخر للخمار، قاله في وصف جسم وشعر المتجردة، حليلة الملك النعمان الحيري، عندما سقط عنها النصيف، وهو الخمار أو نصف الخمار، فسسترت وجهها بذراعها:

قامت تراءى بين سحفي كلة

كالشمس يوم طلوعها بالأسعد  
أو ذمية من مرمر مرفوعة  
بنيت بساجر تشعشع وقمر مد  
سقط النصيف ولم ترد إسقاطه  
فتناولته وانقستنا باليد  
بمخضب زخم كان بنانه

عنم يكاد من اللطافة يعقب  
(نبوان النابغة الذبياني)  
أما الخدر، فهو ستر يمد للجارية أو غيرها في ناحية من البيت، وقد ورد ذكره في شعر النخل ابن عبيد بن عامر اليشكري. وكان من أجل العرب، ويرمى بالمتجردة زوجة النعمان. وكان يهوى هنداً بنت عمرو بن هند التي قال فيها:

ولقد دخلت على الفتى

ة الخدر في اليوم الخامس  
والكساعب الحسناء تر  
فل في الدمشق وبالحريير  
ولثمتهما فتنفت

كتنفس الظبي البهير  
الأغاني ٢٥٨/١٨

إذن جلي أن الحجاب الذي كان موجوداً في البلاد العربية والإسلامية - وما زال موجوداً في بعض أقطارها القصية عن معالم الحضارة الحديثة - لم يستحدثه التمدن الإسلامي، بل كان

معروف عند كثير من الأمم قبيل الإسلام كالفرس والرومان والإغريق، وبعده أيضاً لكن استعماله تقلص بالتدريج، وتلاشى تبعاً لمقتضيات الأحوال الاجتماعية، ومجادة لسته التقدم والارتقاء. أما إذا كان المقصود به خجر المرأة في بيتها، ونهيها عن مخالطة الناس، فهو من نتائج التمدن الإسلامي، لعدم شيوخه قبلاً، وقد بلغ ذروة عمره بعد تمكن الحضارة من النفوس، وركون القوم إلى الترف والرخاء، وزوال خشونة البداوة وبساطتها وأنفتحتها من حياة المدن والحواضر والعواصم.

لبنّت المرأة العربية المسلمة على تلك الحال، حتى تصدى بعض رجال الفكر والقلم في أواسط القرن التاسع عشر وأواخره، فنددوا بالحجاب وعواقبه، وحثوا الشعب على نبذه. وقد مهدت لذلك أسوات نبيلة القصد، سبابة طليعية، نادى أولاً بتحرير المرأة من الظلم والتخلف وغمط حقوقها كمخلوق سوي. كان بعض تلك الأصوات خافتاً، وبعضها جهورياً. بعضها كان عميق القرار، مرتفع الدرجة، وبعضها كان واسع الدائرة متصفاً بالشمول والإحاطة، وبعضها كان ضيق الدائرة، متصفاً بالإجمال ورسم علامات مفترق الطرق فقط، وسيأتي تفصيل ذلك تحت عنوان (الصراع في سبيل تحرير المرأة).

ولما كان الحجاب مرهوناً بالوضع العام للمجتمع، وبالعوامل والدوافع التي تسوده، وبالأفكار والتقاليد والاعتبارات التي تهيم على، كما أسلفنا؛ ولما كانت المرأة نصف ذلك المجتمع، وهي موضوع الحجاب أو نقيضه السفور، فلا بد من استعراض عاجل لأحوال المرأة في العصور المختلفة، ثم الوقوف على منزلة الحجاب في أحوال تلك العصور.

## العصر الجاهلي

من السمات الغالبة على حال المرأة العربية في العصر الجاهلي إجمالاً: عفاف النفس المكتسب من المحيط الذي يخلق في الرجل والمرأة حب الاستقلال والأنفة وإباء الضيم والترفع عن ارتكاب ما يشين. فالرجل الناشئ في وسط كهذا، إذا اعتاد العفاف من حليته أو شقيقته، عسير على طبعه أن يحتمل أي قول أو فعل يمس شرفها وحرمتها، خصوصاً إذا اقترن بواحدة فقط. كما

كانت الحال في الجاهلية، نظراً لندرة الجوّاري عهدئذ، والعسر في الحصول على النساء. إذ هي مدبرة شؤونها، ومعينته في التّحال والأعمال على بساطتها". وقد بلغ تأثر الرجال بأقوال النساء. مدحاً أو طعناً، إلى حد أنهم بذلوا ما في وسعهم لالتماس ثنائين، وجانبوا اقتراف الرذائل، وتعرضوا للفتك خوفاً من استخفافهنّ بهم، والشواهد على ذلك كثيرة في أخبار الجاهلية.

وقد حدثت شدة الغيرة طوائف منهم أن وأدوا بناتهم خشية الإملاق أو جلب العار عليهم متى كبرن، لكن الواد لم يكن من شأن جميع قبائل العرب، كما لم يكن موغلاً في القدم، بل مارسه قبيل الإسلام بعض القبائل فقط، ولم يدم زمناً طويلاً، لأنه يناقض أحكام العقل، ويغايّر عواطف الأبوة والأمومة الأصيلة". كما أن أحكام الدين أبطلته. وقد بلغت شدة الغيرة عند بعضهم حد الامتناع عن تزويج بناته، منهم ذو الإصبع العدواني. لكن بيع النساء كان مألوفاً لدى بعض القبائل التي عنت النساء من ثروة الآباء والبعول.

كان تزويج النساء اختيارياً في الغالب، إذكن يخيرن قبيل الزواج، فكان الوالد يشاور ابنته قبيل القرار النهائي، ونذر فيهن من ملكت زمام أمرها في هذا الشأن، نظير سلمى بنت عمر إحدى نساء بني عدي بن النجار. فقد كانت، مع شرفها، لا تقترن بالرجل إلا وهي مالكة زمام أمرها، ومتى ألفت في الرجل أمراً لا يرضيها، تخلت عنه. أما النساء التيميّات من قريش، فقد نلن حظوة عند رجالهن، برغم كبريانهن وقسوتهن عليهن.

عرف عن نساء الجاهلية مرافقتهن الرجال إلى سوح الوغى. لمداواة الجرحى، وحمل قرب الماء، والاشتراك في القتال. نذير عمرة بنت علقمة الحارثية التي حملت لواء قريش غيب سقوطه على ساحبة الوغى في أخذ، وأم عمارة بنت كعب الأنصارية، وأم حكيم بنت الحارث، والغنساء الشاعرة. وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان التي حرّضت المشركين على الصمود في معركة أحد مع نسوة ضربن على الدخوف، وقصتها مع حمزة معروفة.

واشتهرت بعض الجاهليات بالرأي والحزم، منهن زنوبية ملكة تدمر التي خلفت بعلمها أذينة على دسست الحكم، وحاربت الرومان ودوختهم، وخديجة بنت خويلد التي كانت تدبر أمور

تجارتها أحسن تدبير . وكانت أول من آمن برسالة بعلمها النبي العربي الكريم<sup>(١)</sup> .

أما الحب والغرام والعشق في هذا العهد، فقد اشتهرت به نساء كثيرات من بني عامر ومن بني غنزة<sup>(٢)</sup> الذين إليهم ينسب الحب العذري المأثور عنه كونه حباً نائياً عن الشوائب، رفيعاً عن الدنایا . ومن الأسماء الالامعة في هذا المجال، لیلی العامرية وعاشقها قيس بن الملوخ، ولبنى وعاشقها قيس بن كریح، وعرة ومتيمها كثير، وعيلة ومحبها عنزة .

ولعل من أفضل ما يصور هذه العاطفة اللطيفة تجاد المرأة الجاهلية، قول قيس بن عامر :

كان القلب ليلة قيل يغدى

بليلى العامرية أو يراح

قطاة عرها شرك فباتت

تجاذبه وقد علق الجناح<sup>(٣)</sup>

وهذه الأبيات له كذلك :

ألا أيها البيت الذي لا أزورد

وهجرانه متي إليه ذنوب

هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً

وفي عليك الدهر منك رهيب

سأستعطف الأيام فيك لعلها

بسيوم سرور في هواك تشيب

أظل غريب الدار في أرض عامر

ألا كل مهجور هناك غريب

فلا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر

حبيباً ولم يطرب إليك حبيب<sup>(٤)</sup>

أما عن افتتان النسوة بجمال الرجال، فمثاله ما ورد في ((الأغاني)) عن قيس ابن الخطيم الذي ثعت بكونه مقرون الحاجبين، أدعج العينين، أحمر الشفتين، سراق الثنايا... لم تلمحه حليلة رجل قط، إلا ذهب عقلها! وقال حسان يوماً للنساء بأن تهجو قيساً هذا، فأجابت بأنها لا تهجو أحداً قبل أن

تراه . فالفته يوماً في مشربة، ملتفاً في كساء له، فنخسته برجلها، وقالت: قم . فلما قام، قالت له: أدبر . فلما أدبر، قالت له: أقبل . فلما أقبل، قال: والله لكأنها تعرض عبداً تشتريه . ثم عاد إلى حاله ذاك<sup>(٥)</sup> . فقالت: لا أهجو هذا أبداً<sup>(٦)</sup> .

وكانت النزعة الغالبة عليهم أنهم إذا فشا بين العشيرة أو الحي أمر عشق رجل لفتاة، حجب الأهل فتاتهم عن الرجل ومنعوا تزويجها إياه، وسعوا إلى تزويجها رجلاً آخر .

وفي الجاهلية كان البرقع على الشطر السفلي من الوجه بين سكان الحضر، وتلجأ إليه المرأة في بعض الأحوال، كما كان الخمار والنقاب والقناع واللباس . أما الحجاب بمعناه: الحاجز القائم بين الرجل والمرأة والحجر عليها في البيت مقسيدة، لا تغادره ولا تستقبل فيه أحداً، غير أقرب المقربين إليها وهؤلاء تحرم عليها مقابلتهم عندما تسوء الأحوال، وتنعدم أقل درجة من الثقة والائتمان من الرجل تجاد المرأة، فهذا لم يكن مستعملاً . أما البرقع بين سكان البادية، فكان غير مستعمل إلا لماماً، إذ لم تكن إليه حاجة، ولا هو ملائم للطباع البدوية لأنها عن التعقيد، وأحسن دليل قاطع على ذلك، هو أننا حينما نذهب إلى البوادي والمضارب الآن، لا نلمح بين قاطنيتها هذا البرقع، حتى إذا دخلت البدويات المدن في أيامنا هذه، دخلنا سافرات الوجود . وقد عرف شكل آخر من الستار يضرب على النسوة، أطلق عليه ((الهودج))، اقتصر استعماله أثناء الظن والسفر، وهو نظير قبة مربعة صغيرة من ستائر توضع على ظهور الجمال، تجلس فيها النساء .

ولعل الحادثة التي أوردها الرواة عن حرب الفجار الثانية، بين قريش وهوازن، تنم أولاً على استعمال البرقع، وثانياً على شدة الغيرة وقوة النخوة عند عرب الجاهلية، وتمسكهم بحفظ الآداب العامة . فحوى الحادثة أن فتية من قريش قعدوا إلى امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ . وطلبوا منها أن تكشف برقعها، لكنها أبت، فعمد أحد الفتية إلى شوكة شنها بذيل ثوبها بدون درايتها . فلما تقلص الدرع عن عجزها، صاحت: واحسرتاه... آل عامر . فتقاطر الناس، ونشب بينهم قتال، وسفكت دماء . (محمد البسندي . المرأة ومركزها

\* بنو غنزة هم فخذ من بني عامر



الاجتماعي في الدولة - ص ١٠٢ - دار عرت خطاب للطبع والنشر -  
القاهرة

## عصر الراشدين

بقيت العفة والأنفة العربيّتان في هذا العصر كما كانتا في  
العصر الجاهلي، بيد أن طاقة النساء في صدر الإسلام تحولت  
صوب سداد الرأي، ومزاولة الأدب كالشعر وعداه. فاشتهرت من  
بينهن عائشة أم المؤمنين بعقل راجح ودهاء وقوة، وترأست  
حزباً كبيراً من الصحابة وقد أدى ذلك إلى نشوب واقعة الجمل،  
وروت كثيراً من الأحاديث المهمة<sup>(١)</sup>. وثمة عائشة أخرى هي بنت  
طلحة بن عبيد الله الصحابي، لقامت في المنجزة، واشتهرت بجمال  
خلاب وبعقل راجح وعلم واسع بأخبار وأيام العرب وبمطالع  
النجوم وأحوالها. وكانت برغم جمالها الباهر لا تستر وجهها عن  
الرجال لعظم قدرها وكبر نفسها. وكثيراً ما جلست في قصر،  
فتبارى أمامها الرماة، وتباهوا بما أحرزوه من إعجابها، وإذا  
حجبت قصدها النساء من شاعرات وغيرهن، وكذلك الشعراء،  
فتمنحهم الجوائز الكبيرة<sup>(٢)</sup>.

وصيفتها ومعاصرتها في المدينة سكينة بنت الحسين،  
اشتهرت بالعفاف، ومجالستها الأجلاء من الرجال وجلس  
الشعراء إليها والأذن للناس بالدخول إليها دخولاً عاماً حتى  
تقص بهم الدار، حيث تطعمهم وتطرح على الشعراء مسائل  
الشعر والأدب، كما تجبرهم وتنتقدهم<sup>(٣)</sup>.

وأسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين، أم عبد الله بن الزبير  
المأثور عنها قولها لابنها عبد الله عندما يئس من القوز إبان  
محاصرته بمكة، وقدومه نحوها مستفتياً، فحضرته على  
استقبال الموت الشريف، مما نَمَّ عن حزم وكبر في النفس<sup>(٤)</sup>.

وثمة أسماء أخرى هي بنت النعمان بن بشير امرأة المختار،  
اشتهرت بالثبات على المبدأ وإخلاصها لعقيدتها وبعلاها حتى  
الموت، ويكونها أول امرأة ضرب عنقها صبراً على يد مصعب بن  
الزبير.

ومن نبغ في الشعر ليلي الأخيلية والخنساء أخت صنخر،  
التي استشهد أولادها في محاربة المشركين، والقارعة المزينة. أما في  
البادية. فقد اشتهرت جملة نساء، اجتمع عندهن الرجال

للمناشدة أو المذاكرة بدون ريبة، لكنها إذا لمست في أحدهم  
انحرافاً، صنته عن مجلسها، وحجبت نفسها عنه، كما روي عن  
الشاعر نبي دهبيل الجمحي الجميل الوجه، الكريم النسب، الذي  
شغف حباً بعمره الجمحية التي اشتهرت بالجزالة وبحبها المتكتم  
له، وكان كثير التردد على مجلسها حيث ينشد الرجال أشعارهم.  
فلما قصدها نسوة، وذكرن لها شيئاً عن نبي دهبيل وبكونه قال  
إنها تعشقه وهو يعشقها، أقلعت عن عقد مجلسها مع الرجال  
بشكل ظاهر، وأقامت بينهم وبينها حجاباً، وكتبت إليه عاذلة<sup>(٥)</sup>.

وخبر أبي دهبيل مع عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان، يتعلق  
بالستر في المجالس، وستر الوجوه. ومؤدى الخبر أن عاتكة هذه  
عند حجها إلى مكة، نزلت بموقع بذي طوى. فلما اشتد عليها  
الحر، وقد انقطع السابلة عن الطريق، وهي جالسة وقت  
الهجرة، أوعزت إلى جوارها برفع الستر، فلما رفع، وعليها  
شفوف، وهي ناظرة إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهبيل الجمحي،  
فوقف طويلاً ناظراً إلى جمالها وهي غافلة عنه. فلما انتبهت  
لذلك، سترت وجهها، وأمرت ب طرح الستر، وشتمته. وخبر معاوية  
بسبب ذلك مذكور بإسهاب في ((الأغاني))<sup>(٦)</sup>.

ولعل بعض أخبار الشاعر النميري يصور طرفاً من معالم  
لباس المرأة واحتشامها وخفرتها في العصرين الجاهلي والإسلامي.  
لقد هوى النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف  
الثقفي، وأنشد فيها شعراً منه هذه الأبيات:

تضوع مسكاً بطن نَعْمان إذ مشت

بسه زينب في نسوة عطررات

يخبين أطراف البنان من التقى

ويقتلن بالألحاظ مقتدرات

جلون وجوها لم تلحها سحائم

حسروا ولم يسفهن بالسبرات

ولما رت ركب النميري راعها

وكن من أن يلقيينه حسرات

فأدنين حتى جاوز الركب دونها

حجاباً من القسيسني والجبرات

فذاع شعره فيها، وهرب النميري من الحجاج إلى الخليفة عبد

الملك بن مروان، مستجيراً به، وكتب الخليفة إلى الحجاج ناصحاً بالعدول عن معاقبة النعمري. لكن الحجاج أصر ألا يعفو إلا إذا أنشده ذلك الشعر. فتصرف الشاعر في بعض الأبيات بشكل يغير الأصل، وكان تعليق الحجاج عليها وعلى التي لم يحط بها عليها تغيير كما يأتي:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشيت

بسه زينب في نسوة خفرات  
تعليق الحجاج: كذبست والله، ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها.

ثم أنشده حتى بلغ:

ولم أركب النعمري راعها

وكن من أن يلقى بينه حذرات  
تعليق الحجاج: حق لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفرات صالحات.  
ثم أنشده حتى بلغ:  
مررن بفتح رائحات عشيّة

يلسين للرحمسن معتمرات  
تعليق الحجاج: صدقت، لقد كانت حجابة صوامة ما علمتها.  
ثم أنشده حتى بلغ:  
يخمرن أطراف البنان من التقى

ويخرجن جنح الليل معتجرات<sup>(١)</sup>  
ويلاحظ أن هذا البيت مشتمل على تغييرات كثيرة. ففي الشطر الأول استعاض عن (يخبين) بيخمرن ويقصد إسدال الخمار. أما الشطر الثاني فكله مختلف، والمقصود بالمعتجرات نساء لابسات المعجر وهو ثوب كانت المرأة تشد على رأسها.

تعليق الحجاج: صدقت، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة<sup>(٢)</sup>.

أما البيت الأخير (فأدنين...) فيفهم منه أن نساء الركب لجأن حتى جاوزن الركب. إلى وسيلة آتية من الحجاب بواسطة القسي والخبرات. والأخيرة ضرب من برود اليمن، مفردتها (الخبرة) وهي ملاءة سوداء، كانت النساء المصريات تلبسها إذا غادرن البيوت.

### عصر الأمويين

غلب أن كانت المرأة في الجاهلية وأوائل الإسلام (عصر

الراشدين) تجالس الرجال وتخطبهم وتذاكرهم، من غير أن يرى العرب في ذلك منكراً، ولا خامرتهم فيه ريباً<sup>(١)</sup>، طراً على المرأة في العصر الأموي تبسّل في الطبعاء. لأن العفة والغيرة المتأصلتين في ذاتها أصيبتا بصدمات وكدمات ووهن من جراء تكاثر الجوّاري<sup>(٢)</sup> والغلمان<sup>(٣)</sup>، وانغماس بعض الخلفاء في الترف والقصص، ومن مظاهره انتشار الغناء والرقص والخمر. وأقدم الشعراء على التشبيب والتغرّل، كما تضاعف المخنثون في المدن، وتوسطوا بين الرجال والنساء باطلاً، ففشا الفساد، وتضاءلت غيرة الرجال وعفة النساء والرجال<sup>(٤)</sup>. فبينما كان الحبيبان سابقاً. إذا اجتمعا بعد فراق طويل، وشوق محتدم. يجلسان ويتعاتبان ثم ينصرفان، نظير بني عذرة، وأكثر عشاق العرب المشهورين، وإذا شهبوا بالفتيات قبل أن يخطبن لهم، منعوهم عنهن (لكن الخليفة عمر بن الخطاب نهى عن التشبيب ومن عصي جلده)، وبينما كان العرب سابقاً أثناء تطوافهم بالكعبة لا يرون بأساً في تطواف النساء مع الرجال، لأنهم تبعاً لفطرتهم وطبيعة إقليمهم وأساليب معيشتهم أهل عفاف وغيره قوية؛ نراهم في هذا العهد (الأموي). بعد أن أغرتهم مظاهر الحضارة، وذاقوا طعم الترف. قد تجرأ شعراؤهم على التشبيب بالنساء، لاسيما في المدينة إذ انتشر الغناء والعزف، وأقبل الخلق إلى القصص واللهو، وانصرف بعض رجالهم الأثرياء إلى التسري<sup>(٥)</sup> والاستكثار من الجوّاري؛ حتى اضطر خالد القسري، عند توليه مكة في خلافة سليمان بن عبد الملك إلى التفريق بين الرجال والنساء أثناء الطواف<sup>(٦)</sup>، بعدما بلغه قول بعض الشعراء. كما أورده السعدي:

يا حبذا الموسم من موقف

وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللاتي يزاحمننا

عند استلام الحجر الأسود

ومما أغضب بعض الخلفاء على التشبيب، تغني الغنين بأشعار التشبيب في مجالس الشراب، وأول شاعر قرشي تجرأ على ذلك ابن أبي عتيق، برغم طهره وعفافه ونأيه عن الريبة.

وحذا حذوه عمر بن أبي ربيعة القرشي النسابة الغزل، برغم ما يقال فيه من ابتعاده عن الجرام (كما قال عنه الجاحظ في الجزء الأول من الحيوان) واقتراده العرجي القرشي كذلك، واشتهر بعدهم نسابون آخرون من غير قريش بالتدريج<sup>(١٢)</sup>.

لم يكن خلفاء بني أمية الأوائل راضين عن ذلك التشبيب بسبب غلبة الطبع البدوي على أخلاقهم، فقاوموا الترف بما أوتوا من قوة، بيد أنهم راعوا الشعراء وداروهم لما عهدوا فيهم من وسيلة لاكتساب الأحزاب ومناصرتهم لهم في نهجهم السياسي؛ فما منعوهم عن التشبيب إلا حين من شرفهم. لكن ذهانتهم كعافية تلتفتوا في دفعهم كما حدث عندما شجب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بابنة معاوية، الأمر الذي حدا ابنه يزيد أن يغضب ويطلب من والده قتل الشاعر، لكن والده أبى ذلك، كما فعل مع أبي دهب الجمحي أيضاً عندما شجب بابنته كذلك، فعامله باللين، وأوقف لسانه بالعطاء<sup>(١٣)</sup>. وحذا حذوه الخليفة عبد العزيز عندما شجب وضاح اليماني بأم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك. فهم الوليد بقتله، لكن عبد العزيز نهاه قائلاً: ((إن قتلته، فضحتني وحققت قوله، وتوهم الناس أن بينه وبين أمي ريبة)).

لكن عندما تجاوز الشاعر ذلك الحد بأن شجب بفاطمة بنت عبد الملك وزوجة عمر بن عبد العزيز، اضطرم غيظه، واستحضره ودفنه حياً في بئر، أما الخليفة سليمان بن عبد الملك، فلما بلغه تشبيب الأصوص بنساء ذوات مكانة وخطر من أهل المدينة، قبض عليه ثم جلده ونفاه.

وهكذا يلاحظ أن العفة والغيرة في العهد الأموي كانتا في عصر انتقال من البداوة إلى الحضارة. فلما انقضى، تضاعف ما تخلف من سذاجة البداوة في طبائع العرب، واستسلم المأل إلى الترف والرخاء الذي يواكب العيش الرغيد، ومن سماته تصدير الشعراء قصائدهم في المدح والفخر بالغزل والنسب والتشبيب<sup>(١٤)</sup>.

## العصر العباسي

لما كان الخلفاء العباسيون الأوائل على قسرب عهد بالبداوة، أنكروا استصدار قصائد المديح والفخر بالغزل والتشبيب

والنسب، ونهوا عنه؛ واشهرهم في هذا المجال المهدي ابن منصور؛ فقد أوعز إلى بشار بن برد بالكف عن التشبيب البتة، فطلق يستهل مدحه بالمدح. وظل التشبيب مستهجناً حتى أجازته الرشيد، وألح على الشعراء في نظمه. كما قال صاحب الأغاني - الأمر الذي أدى إلى ضعف الغيرة<sup>(١٥)</sup>.

لكن استمرار حياة الرغد والرخاء والقصف والاختلاط بأهل المدن في أعقاب العصر الأموي، ومضي الناس في ذلك، وازدياده في العصر العباسي، جعلهم يركنون إلى مضاعفة بسطة العيش والتنعم بالذائد الجسمانية والمطالب الحيوانية. وقد رافق عنفوان هذا التيار، إقبال على الفلسفة والطب والعلوم والأغتراف من مناهل الثقافات الأخرى، قال ذلك إلى ابتعاد الناس عن البداوة وخشونتها وبساطتها، وإلى إقبال على مراعاة القرس الذين ناصرهم في قيام دولتهم، والافتداء بهم في البذخ والترف، وتشببت شمل العرب؛ فتبددت العصبية العربية، وتلاشت مناقبهم في الوفاء والشجاعة والاستقلال والأنفة والحمية والتجدة، إلا دلائل واهنة<sup>(١٦)</sup>.

وقد أدى تكاثر الجوّاري وشيوع التسري في هذا العصر إلى زوال الغيرة في قلوب الرجال، فصاروا يتهادون الجوّاري الروميات والتركيات والفارسيات. ولما كان الرجل قبلاً لا يعرف غير حليته، والمرأة لا تعرف سوى بعها، ولا تفكر إلا فيه، وثقة من أمانته الزوجية، بات الآن (العصر العباسي) مشتت الأهواء بين أكثر من امرأة، فضوّلت أو انعدمت غيرته عليها. ولما ألقت منشغلاً عنها، غير مكترث بها، قلت أو زالت ثقته بها، إلا من كان عقلها وشرفها عاصماً لها. وعندما بلغ التمدين في هذا العصر الذروة، أمست المرأة العربية الحضريّة منسية، وتلاشت حريرتها، وفترت أو زالت غيرتها، فباتت تهدي زوجها بنفسها الجوّاري، وتحبب إليه الدنوّ منهنّ بدون اكتراث أو غيرة، بينما كان عرب الجاهلية وصدر الإسلام يمنعون تزويج الفتاة من الرجل إذا وقفوا على أمر حبه لها<sup>(١٧)</sup>.

هذه الأحوال ألغيت الضعفة المرأة وتلاشي عزة نفسها واستقلال فكرها، وطلق الرجل يزدريها ويسيء الظن بها، ويعذها خصماً له، ويشير بعدم الركون إليها، فعاشرها على غل

وسوء ظن<sup>(١)</sup>، وقفل عليها الأبواب<sup>(٢)</sup>، وأوصد دونها النوافذ<sup>(٣)</sup>، ونهاها عن الخروج إلى الطرقات والمسالك والأسواق<sup>(٤)</sup>، وهو مقارف الذنب الأول في انحطاطها<sup>(٥)</sup>، فشاع بين الملأ الطعن في طباع المرأة، وسوء سريرتها إلى حد ألفت فيه الروايات والأقاصيص، ونظمت فيه الأشعار، وصيغت الجمل الحكمية والعبارات البليغة في تحذير الخلائق من خيانتها وكيدها، وأحسن مثال على ذلك قصص (الف ليلة وليلة) التي تحفل بكثير من أحوال المرأة في العصر الإسلامي الوسيط. وقد أثرت هذه الأحوال في عقلية راقية ناضجة كعقلية شيخ المعزة والشعراء، أبي العلاء، فقال:

إذا بلغ الوليد لديك عشراً

فلا يدخل على الحرم الوليد

وإن خالفتني وأضعت نصحي

فأنت وإن رزقت حجاباً وليد

إلا إن النساء حبال غي

يهن يضيع الشرف التليد<sup>(٦)</sup>

(\*) طاهة الظواهر السلبية في ص ١٧ و ٢٥ من كتاب ((تحرير المرأة)) لقاسم أمين

كما أثرت في عقلية أبي بكر الخوارزمي، فكتب إلى أحد الرؤساء، يعرّيه بفقده ابنته، قائلاً:

((ولولا ما ذكرته من سترها، ووقفت عليه من غرائب أمرها،

لكننت إلى التهنة أقرب من التعزية. فإن ستر العورات من

الحسنات، ودفن البنات من المكرمات. ونحن في زمان إذا قدم

أحدنا فيه الحرمة فقد استكمل النعمة. وإذا زف كريمة إلى القبر،

فقد بلغ أمتيه من الصهر. قال الشاعر:

ولم أر نعمة شملت كريماً

كنعمة عورة سسترت بقبر<sup>(٧)</sup>

وقال آخر:

تهوى حياتي ونهوى موتها شققاً

والسوت أكرم نزال على الحرم

وقال آخر:

وددت بنييتي، وددت أني

وضعت بنييتي في لحد قبري

وقال آخر:

ومن غاية المجد والمكرمات

بقاء البنين وموت البنات

وقال آخر:

سميتها إذ ولدت تموت

والقبر صهر ضامن وببيت<sup>(٨)</sup>

هذه لحة موجزة عن آراء بعض أصحاب العقول الناضجة

المتفوقة في المرأة آنئذ. فكيف كانت آراء الرجال دون هذا المستوى

من العقلية، قياساً على ذلك؟!

## العصر الأندلسي وعصور أخرى

أما في الأندلس، فيبدو أن وضعها أفضل مما كان عليه في

العصور سالفة الذكر، فقد أفادت السيدة اسى طوبى في كتابها

(عبر ومجد) أن المرأة في هذا العصر، بنوع خاص، تلقت العلوم

مع الرجل كالطب والفلسفة والفن وغير ذلك، ودخلت المسجد

الجامع في قرطبة، والمعاهد العلمية. فجلست في حلقات الدرس

منقبة محتشمة، تتلقن العلم والأدب، وألقت المحاضرات الأدبية

على الرجال والنساء. وكان منهن العالمات كعريم بنت يعقوب

الأنصاري، أستاذة الشعر والأدب، وكانت جليلة القدر عند

العظماء ودانية منهم لعراقة أصلها ونبل أخلاقها. ودرست

استاذات غيرها بنات الأسر الشريفة<sup>(٩)</sup> ومحمد البنداري أفاد

بأسماء ملكات عربيات في إسبيلية وغرناطة وغيرهما، وبأسماء

اميرات في الأندلس والمغرب العربي.

وكان لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر، أنسة ذات جمال

خارق، تدعى لبنة، اشتهرت بعلمها في النحو والشعر والحساب

وعلوم أخرى، وبناتشاء لطيف، فاستخدمها الخليفة في تحرير

رسائله الخاصة. وفي العراق. كما في المغرب. جلست المرأة في

حلقات الدرس مع الرجل لحفظ القرآن الكريم والحديث

الشريف والفقه، وأدت الامتحانات بما تلقت من التعليم

كالرجل<sup>(١٠)</sup>.

أما في عصر الدولة الفاطمية، فلقد قاست المرأة المصرية كثيراً

في عهد الحاكم بأمر الله، إذ كان هذا الرجل منصاباً بالاضطراب

العصبي الذي دفعه إلى التضييق على حرية الشعب عامة وحرية المرأة خصوصاً، فأمر بمنع خروج النساء بدون نقاب، ثم تمالى في الاستبداد فمنعهن من الخروج بتاتاً، ومنع الخفافين من صنع الخفاف لهن، كي لا يستطعن الخروج من منازلهن، ولما غضب التجار، أمر بخلق حوانيتهم، فلبأوا إلى السخرية منه بصنع امرأة من الورق، والبسوها ملاءة وخفاً، وببيدها كتاب كله شتائم. فلما رآها، ظنّها امرأة حقيقية، فأوعز بقتلها. ولما انجلت له الحقيقة، أوعز بقتل كثير من النساء، وإحراق دورهن وحوانيت التجار، وقد نجم عن ذلك حرق ثلثي القاهرة<sup>(١٣)</sup>.

وفي عهد الماليك لبثت المرأة قيد الخجر، مما لرغمها على التفرّج عن نفسها، ولكنه جرحها إلى الإسفاف والخروج على الآداب العامة خروجاً حمل الحكام على الضرب على يدها<sup>(١٤)</sup>.

وفي العهد العثماني، لم تكن خيراً منها في عهد الماليك، إذ لم يسمح لها بالظهور أمام رجل حتى لو كان طبيباً مهما بلغت خطورة مرضها، فدلّض إلى اللحد بدل عيادات الأطباء<sup>(١٥)</sup>.

في حين أن المرأة الغربية أخنت عن المرأة العربية في الأندلس السنو في الفكر والعمل وصاغته في قوالب تناسبها<sup>(١٦)</sup>.

## حكم الحجاب في الشريعة

قال قاسم أمين:

نص الكتاب العزيز في سورة النور/ ما يأتي:-

((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم! ذلك أزكى لهم! إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها. وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إبنائهن أو إبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولي الأربنة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن))<sup>(١٧)</sup>.

يتضح من النص السالف أن الشريعة أباحت للمرأة إظهار بعض أعضائها أمام الغريب عنها، بيد أنها لم تعين تلك المواضع،

وافتي العلماء بأنّها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفاً في العادة وقتئذ. واتفق الأئمة على أن الوجه والكفين مشمولان بالاستثناء في السورة آنفة الذكر، واختلفوا في أعضاء أخرى كالنراعين والقدمين. فابن عابدين في كتابه (رد المختار على الدر المختار) في فقه المذهب الحنفي، قال:

"وعورة الحرة جميع بدنّها حتى شعرها النازل، في الأصح، خلا الوجه والكفين والقدمين، على المعتمد، وصوتها، على الراجح، وذراعيها، على المرجوح، وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة، كمسه وإن أمن الشهوة، لأنه أغلظ، ولذلك ثبتت به حرمة المصاهرة، كما يأتي في الحظر. ولا يجوز النظر إليه بشهوة كوجه أورد، فإنه يحرم النظر إلى وجهها ووجه الأورد إذا شك في الشهوة، أما بدونها، فيباح ولو جميلاً"<sup>(١٨)</sup>.

والقاضي شرف الدين أبو محمد إسماعيل المعروف بابن المقرئ في كتابه (روض الطالب) في فقه المذهب الشافعي، أورد:

"نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من المرأة للرجل وعكسه جائز. ويجوز نظر وجه المرأة عند المعاملة وعند تحمل الشهادة وتكلف كشفه عند الأداء"

وعثمان بن علي الزيلعي (المتوفى سنة ٧١٢هـ) في كتابه (تبيين الحقائق) وهو شرح (كنز الدقائق) للنسفي، صرح:

"وبين الحرة عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها لقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) والمراد محل زينتهن وما ظهر منها الوجه والكفان. قاله ابن عباس وابن عمر، واستثنى في المختصر الأعضاء الثلاثة للابتلاء بإبدانها لأنه عليه الصلاة والسلام نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب ولو كان الوجه والكفان من العورة لما حرم سترهما بالمخيط. وفي القدم روايتان، والأصح أنها ليست بعورة للابتلاء بإبدانها"<sup>(١٩)</sup>.

وقد أفتى فقهاء المالكية والحنابلة والحنفية بكون الوجه والكفين ليسا من العورة التي ينبغي سترها. وروت عائشة زوجة الرسول العربي الكريم: "إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليها ثياب رقاق، فقال لها: يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح أن يري منها إلا هذا

وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه<sup>(١)</sup>.

وأبو الطيب محمد صديق حسن خان بهادر (المتوفى عام ١٢٠٧هـ) في كتابه (حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة)، أفاد: "ولما رخص للمرأة في هذا القدر لأن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والحاكمة والزواج. وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن<sup>(٢)</sup>".

وبخصوص تفسير الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، بهذا الصدد، تفسيراً مخالفاً للحقيقة مما أدى إلى إلغاء حرية الرأي والضمير والنقد، اقتبس هذا القول، من مقال بعنوان (فلسفة الانقلاب التركي الحديث) في مجلة (العصور) القاهرية (عدد ٢ مجلد ١ أكتوبر ١٩٢٧):

"وبكثير من الخطأ في التفسير والتلاعب به، فُصِلت المرأة عن الحياة الاجتماعية، ونُبيح تعدد الزوجات، فلم يصبح للمرأة في عالم الاجتماع مكاناً تشغله". كذلك فرضت المدارس على الناس أحكاماً شاذة لتقوي بذلك دعائمها وتثبت مركزها. فقد قالت إنه فجور أن تكلم امرأة أحداً غير أهلها. بل قضت بأن ظهور شعرة واحدة من شعرها ليراها أجنبي، سبب كاف للطلاق<sup>(٣)</sup> (ص ١٢٤).

\*\*\*

وهذه لمحات عن تاريخ حكام المسلمين، تشهد بحرصهم على صيانتهم الآداب العامة. ففي عهد الوزير منجك اليوسفسفي، حوالي عام (٧٥٠هـ)، ولعت النساء بارتداء ثياب شفافة تبين أجسامهن، فاصدر أمره بصلب من تفعل ذلك، وإمعاناً في الإرهاب، أقام تماثيل من النساء مصلوحة في الأماكن العامة<sup>(٤)</sup>.

وفي عهد محتسب القاهرة "منكلي بغا الظاهري" حوالي عام (٨١٨هـ)، اشتدَّت المراقبة على الآداب العامة، كما اشتدَّت العقوبة، حتى كانت أغنيات الناس تحذيراً من الوقوع في مخالفتها، منها:

لا تمسك طرفي

منكلي خلـ

علقتنه مانتين

قبل مـ يعفي<sup>(٥)</sup>

وفي عهد "قايتبای" حوالي عام ٨٧٦هـ، أوعز إلى محتسب القاهرة، "الأمير يشبك" بأن ينادي المنادي في جميع أنحائها بمنع النساء من ارتداء العصابات الخليعة، والمخالفات تسحب في الطرقات وتلحق بهن الإهانة علناً على أيدي الشرطة، ويحاكمن بعد ذلك، فامتنعن عن ارتدائها. وفي هذا قال الشاعر - المعاصر آنذاك - زين الدين:

أمر الامام مليكنا بعصائب

في لبسنا غسراً على النسوان

فقلن ثم اطعننه ولبسنها

ودخلن تحت عصائب السنـ سلطان<sup>(٦)</sup>

### المراة المستضعفة بإزاء استبداد الرجل واستئثاره

عند استعراضنا أحوال المرأة البدوية، لاحظنا أنها كانت نداء للرجل، فنُبغ في البوادي نساء اشتهرن بالشجاعة والإقدام والحزم والرأي والتجارة والأدب والشعر. ولما استعرضنا حياتها في العهدين الأموي والعباسي، الفينا انتشار الجوارح وشيوع التسري، فساءت الظنون بين الرجل والمرأة، وتضاءلت غيرة الرجل عليها، وباتت هي لا تغار عليه من بنات جنسها. ولما كان الرجل صاحب العصمة ورئيس العائلة، فقد ضيق على شريكة حياته الدروب، وأحاطها بالأرصاء والعيون بدءاً من أوائل العهد الأموي عندما اتخذوا الخصيين عبيداً، تلاه استقدام الصقالبة، وانتهاءً بالعهد العثماني حتى زواله. (بخصوص الإخصاء يفيد الأستاذ محمد البنداري بكونه مسألة دخيلة في الإسلام ولا يقره "المرأة ومركزها الاجتماعي" - ص ١٦٧).

وهكذا نلاحظ أن هذا الضرب من الحجاب الذي شاع في البلاد الإسلامية بالشرق، كان مبعثه سوء ظن الرجل بالمرأة، واستبداده بأهل بيته، واحتكار الملذات لذاته.

أما الحجاب الرقيق المنسوج، فهو ليس من مقتضيات الشريعة بدليل النصوص السالف ذكرها<sup>(٧)</sup>، لكن مع تقادم العهد، وتحكم العادة، اعتقلت المرأة بأنه يحل للرجل ما لا يحل لها، فصبرت على حكمه وتضييقه عليها، لكنها لم تحبه. ففي هذا الحاجز الذي

أقامه بينه وبينها، أباح لها مجالسة الخدم والعبيد والجواري، وكف عن مؤاكلتها ومجالستها ومحادثتها إلا غاما، وصرح بارتياحه من أمانتها، وتباهى بعدم خروجها من المنزل إلا إلى القبر. لا مشاحة أن معاملة المرأة بهذا الأسلوب فيها ظلم واحتقار لنصف الجنس البشري، وهو يتعكس على النصف الأول وبشكل أعظم إذا كان نصف الرجال هو سببه. كما أسلفت. خصوصاً أن هذه المعاملة أصلاً تناقض تعاليم القرآن الكريم الذي أوصى بالمودّة والرحمة بين الزوجين: ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة))، كما أوصى: ((ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)) و((عاشروهن بالمعروف))<sup>(١٧١)</sup>. لكن غلب انصرام عصر العلوم، اقتصر الفقهاء على النظر في الأبحاث الدينية الجدلية، فخيم الجهل على العقول، وانحسر من التهذيب والتثقيف (كما اعترى النصرانية في عهودها الحاكمة)، فطفقوا يفسرون الآيات والأحاديث والأسانيد وفق أهواء ونزوات الغالبية أو الحكام أو التسلطيين والمتنفذين، ففسلت الأحكام، واستبد الحكامون، فألقى الرجل متسعا لاستبداده واستثنائه، فجرت تلك الأوضاع سوء العاقبة على المرأة المستضعفة.

ويفسر بسوء بعض الناس والاجتماعيين هذا الظلم من الرجل تجاه المرأة، بكون الرجل الذي يحيا في مجتمع يسوده العنف والبطش، يكظم ما يعتمل في نفسه من جفاء ذلك، لكنه يعامل أهل منزله نظير معاملة الحاكم الغاشم، انتقاما لنفسه من المخلوقات الضعيفة التي يعولها. تلك سنة من سنن العمران على اختلاف أطوار التمدن. فالبلاذ التي يتولاها حكام ظلمة، يحذو حذوهم رؤساء الأسر بظلم نسوتهم وأولادهم، بينما في البلاد التي يتولاها حكام عادلون، يعامل الرجل أفراد عائلته بالعدل والرفقة والمودة، وتناول المرأة حقوقها وتمارسها بشكل طبيعي<sup>(١٧٢)</sup>. فالبيت دولة صغيرة، كما أن الأمة دولة كبيرة.

وقد جاء في بحث موسوم (فلسفة الانقلاب التركي الحديث) - المشار إليه آنفاً - بشأن نظم الحكومات وتاريخ الشعوب - ذات العقلية القديمة - هذا التساؤل: فماذا ترى؟ والجواب عنه: "... ملك مستبد بعيد عن التقيد بما توجبه شرائع الآداب، منعوت

دائماً بأنه ظل الله فوق الأرض، وقصر منيف الظاهر، مشمخر البناء، وما هو في الحقيقة إلا دار بغاء رسمي، تملأ جوانبه السراري والجواري، بل إنهم عبارة عن مجموع من أبناء البشر التعاء، بعيتين عن حقيقة الحياة"<sup>(١٧٣)</sup>.

وهذا حقاً ينطبق أحسن انطباق على قصر (يلدز)، رمزا لاستبداد والطفيان، الذي كان مقر السلطان عبيد الحميد، ومستقر السراري والجواري والعبيد، وعلى غيره من قصور سلاطين آل عثمان.

وقد رافق الحجاب الظالم، وسوء معاملة المرأة والظن بها، تعدد الزوجات<sup>(١٧٤)</sup> والطلاق<sup>(١٧٥)</sup>، لأن الشرع أجاز الأول إلى حد أربع نساء، بشرط عسير هو أن يعدل الرجل بين نساؤه، بدليل الآية "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل، فتذروها كالمعلقة". لكن أثر الرجل، وضعف المرأة وجهلها والأحوال المظلمة التي أحاطت بها، عوامل أعانت الرجل على المضي في هذا المنحى بدون التزام أو تطبيق ذلك الشرط العسير إلا في النادر جداً. ولهذا كانت أغلبية العقلاء وأصحاب المروءة تكتفي بقرينة واحدة، خصوصاً في عهد التسري. إذ قد تنسل الجواري للواحد منهم. إذا كان راغباً في الذرية. لكن تعدد الزوجات لبث أمر متبعاً حتى بين أصحاب الفضيلة والمروءة والتعقل إلى يومنا هذا، ولو بتناقض مستمر. وإذا أحصى المتزوجون بأكثر من قرينة، فلن تتجاوز نسبتهم الآن ربما ١٪، بينما في أوائل القرن الحالي، ربما بلغت نسبتهم بين ٥ - ١٠٪ في المدن، وهم غالباً من عامة الشعب. أما الخاصة، فتغلب عليهم أسباب قهرية في لجوئهم إلى ذلك<sup>(١٧٦)</sup>.

لكن كثيرين من أهل الوجاهة والشرف، في الأجيال الإسلامية الوسطى، جمعوا بين التسري وتعدد الأزواج، لكن السيادة كانت غالباً للمرأة الأولى. والمرأة العاقلة التقية عنت إهداء بعلاها، ما يرتضيه من الجواري الحسنان، فضيلة كما فعلت أم جعفر بالرشيد لتشغله عن الجارية بنانير. وحدث أحياناً أن المرأة التقية أعانت حليلها على الاقتران بأمرأة أخرى. لحساباتها أن ذلك المسعى ينيلها ثواباً، كما روى الشيخ الجبرتي، المؤرخ المصري، عن إحدى قرينات لمبيه، إذ كانت صالحة مصوناً، بارة



بيعها، مطيعة له، وتشترى له السراري الحسان من مالها، وتنظمن بالحلي والملايس، وتقدمهن إليه، معتقدة نيل الأجر والثواب على ذلك، وكان البسمل يتزوج عليها كثيراً من الحرائر، فلم يسوؤها ذلك، ولم يحصل عندها ما ينشأ عند النساء من الغيرة.

أما الطلاق، فالعقلاء يهتونه ولا يحبونه استناداً إلى بعض الآيات، مثل: "وإن خفتن شقاق بينهما، فابعدوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها، إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما". والآية الأخرى: "فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً" واستناداً إلى الحديث: "أبغض الحلال عند الله الطلاق". لكن الأنوفين والفضلاء، لا يطلقون إلا لعدة كبيرة أو عذر مشروع، والإحصاء يدل على أن أغلب حالات الطلاق تقع بين عامة الشعب. ومن العوامل التي أعانت على كثرة حوادث الطلاق، الميلغة في التحجب، فكان الشاب يتزوج الفتاة من غير أن يبصر وجهها، فإذا ألفاها غير ملائمة له، طلقها بكل يسر. لأنه عندما ارتضى الاقتران بها، أترك مقدماً سهولة تخليه عنها بالطلاق، إن لم ترقه. وهذا التضيق ليس من أحكام الدين، بل هناك احاديث تجيز وتحبذ أن يرى الرجل خطيبته قبل الاقتران. ويقول قاسم أمين بأن أئمة المذاهب اتفقوا على جواز نظر المرأة للخطيب، بل قالوا بنديه (أي أن يدعى له ويحدث عليه)، نظير ما ورد في سورة البقرة: "ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النكاح"، وقول الرسول العربي للمغيرة بن شعبة لما خطب امرأة: "انظرت إليها؟". فلما أجاب: "كلا"، قال له: "انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤذى بينكما المودة والالفة". وروى عبد الرزاق سعيد بن منصور أن الخليفة عمر بن الخطاب كشف عن ساق أم كلثوم لما أرسلت إليه ليبصرها بعد أن خطبها. فلو استرشد القوم بهذه المأثورات، لندرت بواعث الطلاق. بيد أن الطلاق، في الأحوال الأخرى، علاج ناجع في المجتمعات المدنية، برغم أن بعض المذاهب قد حرّمه.

(\*) بخصوص خطبة النكاح وتعدد الزوجات والطلاق، طالع ص ١٢٩، ١٥٢، ١٥٧ - ١٥٩ من كتاب محمد البنداري (المرأة ومركزها الاجتماعي في الدولة) المذكور في هامش (١٨).

## الصراع في سبيل تحرير المرأة

تحفل الحياة بشتى ضرورب الصراع: فصراع مع قوى الطبيعة لضمان لقمة العيش، واصطراع الطبقات لضمان البقاء والتحكم، واحتراب بين الخير والشر، وعراك بين الحق والباطل، وصراع بين القديم والجديد. وهكذا نرى أن الحياة - من المهد إلى اللحد، منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا، وستلبث إلى انقضاء الدهر - سلسلة متلاحمة متداخلة من الصراعات المتباينة اتجاهها وحافزها، المتفاوتة عنفاً وأسلوباً.

والصراع بين القديم والحديث، وبين الحرية والعبودية، يتمثل في أحد مظاهره بالصراع في سبيل تحرير المرأة من الاستعباد والتخلف والاستغلال، بل من الجور بمختلف أشكاله وما تحرير المرأة سوى تمهيد لتحريرها من الحجاب بشكليته: الشكل المرئي الملموس الذي يستر وجهها "خشية الفتنة" وهذا مرده إلى ضعف الرجال وتهافتهم بسراة أول يسارق من الفتون؛ والشكل الخفي الوهمي - لكنه الأعلى والأقوى - الذي يحجر عليها ضمن منزلها، ولا يبيع لها الخروج إلى الشارع والمدرسة والسوق والمسرح والحديقة والمسجد، كأنها من طينة دون طينة الرجال نبلاً وتكويناً وأصاله.

تحركت الضمانات في منتصف القرن التاسع عشر، غب تنور الأذهان والوقوف على مظاهر التمدن، وعوامل رقي الشعوب، فتحسرت مع الأسباب الأفئدة، وارتفعت الأصوات داعية إلى تحرير المرأة من أصفاد التقاليد البالية المتجسدة في الأمية، وتجارة الرقيق، واقتناء الجوارى، والتسري وتعدد الزوجات والطلاق لأتفه الأسباب، والحجر عليها بإبقائها ضمن الجدران بين القيان والعبيد، وبتز بعض أعضائها الأنثوية، وإسدال البرقع على محياها إذا غادرت دارها أو قصرها الحافل - غالباً - بصنوف الفساد والجور. أجل، ارتفعت تلك الأصوات، وكانت كلها نبيلة القصد، "انظر فصل الحركة النسائية في العالم". من كتاب محمد البنداري (المرأة ومركزها الاجتماعي...).

من الأصوات السباقية في هذا المضمار صوت المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٢) الذي جمع آراءه بشأن وجوب تعليم المرأة

في خطاب الفساد في ١٤ كانون الأول ١٨٤٩. فهو قد رأى الضرورة في: "أن تنال المرأة من التثقيف والتدريب قسطاً وافراً يساعدها على القيام بعملها الاجتماعي. وبين أن تلك الضرورة ناتجة عن طبيعة المرأة التي هي كائن حي ناطق، وناتج أيضاً عن عملها الاجتماعي)".

وأوضح موقف مخالف فيه في هذا الرأي، وأثبت بطلان براهينهم التي هي شاهد على سطحيته في حقيقة الأمر. ورأى أن العلم في المرأة هو على وجه ما من شروط العلم في الرجل، إذ قال: "لا يمكن وجود العلم في عامة الرجال بدون وجوده في عامة النساء، كما أنه لا يوجد نساء عالِمات في عالم من الرجال جاهل".

كتب عنه حنا الفاخوري في "تاريخ الأدب العربي" قائلاً: "وهو بعد ذلك يلقي نظرة على حالة المرأة في الأمم الوثنية والبربرية، ويرى حالتها ليست بعيدة عن حالة البهائم، وذلك دليل على تقهقرهم ووحشيته، فيما أن للمرأة في البلاد الأوروبية حقوق الرجل، ويلقي نظرة على المرأة في بلادنا لذلك العهد، وإذا حالتها وسط بين حالة المرأة في الأمم البربرية، وحالة المرأة في الأمم المتقدمة، وذلك دليل على أن البلاد لا تزال في تقهقر وانحطاط اجتماعي. ومن ذلك يتطرق البستاني إلى بسط براهينه في وجوب تعليم المرأة، ومن أهمها أن المرأة لم تخلق لتكون في العالم بمنزلة صنم يعبد، أو أداة زينة تحفظ في البيت لأجل الفرجة؛ ولا أن تصرف أوقاتها بالبطالة وكثرة الكلام والهذيان، أو تقتصر من الأعمال على كناسة البيت مثلاً... بل أقامها الله أماً للخليفة، فهي بحاجة إلى نور وثقافة لتستطيع أن تربي الخليفة تربية راقية ولاسيما أن من طبيعتها خلقت للمعرفة (فإذا نظرنا إلى ما أسبغه الله عليها من القوى العقلية والأدبية كالتمييز والذاكرة، وقابلية التعلم والتعليم، والميل إلى الخير والشر، وهلم جرا، نستدل على أن هذه القوى لم تعط لها عبثاً بدون غاية)".

"أما مواد تعليم المرأة فمرجعها ما تحتاج إليه للقيام بواجباتها، أي إلى الديانة واللغة التي ولدت فيها والقراءة والكتابة وعلم تربية الأولاد والاعتناء بالبيت من خدمة ونظافة وخياطة وطبخ واهتمام بالمرضى، والجغرافية والتاريخ

### والحساب"

وإذا كان عنده من مضار جهل المرأة فساد نوقها وعقيدته وآدابها، وفقدان المحبة الطبيعية حتى نحو أولادها، فإن فوائد تعليمها توسيع قواها العقلية، وإيقاظ ضميرها وتنبيهه، وتقوية إرادتها وعواطفها الأدبية، وترتيب سلوكها وتصرفها، فتزداد رفد قلبها وحنوها ولينها، وتكمل ما ينقص بعلمها من الخواص وتغدو نبساً ومثالاً صالحاً لأبنائها".

أما أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ - ١٨٨٧) الذي أصدر صحيفة (الجوائب) عام ١٨٦٠. أي قبل مولد قاسم أمين بأربع سنين. فنأى بسوجوب الاهتمام بتربية حالها وتنقيتها بالعلوم وإطلاعها على ما يجديها ويعود بالجدوى على بنيتها من ميادئ الإدارة والتربية الصحيحة، وله في ذلك أبحاث كثيرة أجراها على لسان القاريق وقرينته في حديثهما عن أحوال المرأة في الشرق والغرب (حنا الفاخوري - ص ١٠٤٢). وهذه مقالته في (الجوائب) بعنوان (بيع الرقيق في الأستانة):

((قد تقرر في خواطر أصحاب البيوت الموسرين وغير الموسرين بالأستانة أنه لا بد من شراء الجوّاري البيض والسود لخدمتهم أو للتمتع بهن. فتجد في بيت الموسر عدة منهن. والغالب أن الجوّاري السود يخدمون في المطبخ، وأما الجوّاري البيض فأنهم يستخدمون في تنظيف الحريم والفرش والخياطة وما أشبه ذلك. ومن العادة أنه متى أراد أحد أن يشتري واحدة من هذه الجوّاري، أبقاها عنده يومين أو ثلاثة للتجربة. فتظهر الجارية في خلال ذلك غاية الخضوع والانقياد والاجتهاد في إشغال البيت والحرم على تنظيف آنيته وفرشه، ويظن الإنسان أنه قد ظفر بضالته. حتى إذا أدى ثمنها، تخلقت بأخلاق أخرى. فتتقاعس عن العمل، وتأخذ في تعداد محاسن البيت الذي كانت فيه أولاً. فتقول: إني كنت هناك أكل كذا واشرب كذا، وكنت أتنزه في الحدائق وأتنعم في الحمام وأخرج إلى الأسواق، وكان لي جارية مخصوصة لخدمتي، لأن سيدي الأول كان يفضلني على جميع جواريه، بل كان يحبني حتى غارت زوجته مني فخاصمته لأجلي...))

"ومع أن أقصى مرام هؤلاء الجوّاري هو التفريق ما بين الرجل

وزوجته أو إفساد بنيه... أو إفساد امرأته حتى يستحوذن عليها، فما أحد من أصحاب البيوت تنبه إلى الآن لاستئصال هذا الشر، فتراهم أبدأً مدخلين جارية ومخرجين أخرى". "والظاهر أن لا علاج لهذا الداء. لأن النساء الفقيرات من الترك يستنكفن من الخدمة، بل يحسبنها معرة. فلا يكون بدن، والحالة هذه، لأصحاب البيوت من شراء هؤلاء الجواري المفضي إلى خراب بيوتهم"<sup>(١١)</sup>.

لكن صوتاً آخر سبق الصوتين السابقين. ولو دونهما حذرة وعمقاً. هو صوت رفاعه رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٢) اسمعنا دعوة غير مباشرة إلى تحرير المرأة وتعليمها في كتابه الموسوم (تخليص الأبريز في تلخيص باريز) الذي ألف قبل تشرين الأول من عام ١٨٢٠، وصدرت طبعته الأولى عام ١٨٢٤، ونقل إلى التركية في السنة نفسها. وثمة دعوة إلى تقريب القروى بين حق المرأة وحقوق الرجل في التعليم في مداولات لجنة تنظيم التعليم التي كان الطهطاوي عضواً بها.

والصوت الرابع هو صوت أديب إسحاق. ومما قاله في المساواة: "إن المرأة مساوية للرجل، ولكنها غير الرجل، فرفعها إلى المقام الذي تستحق، لا يكون بمماثلتها للرجل، فإن ذلك مفسد لطبيعتها، مغاير لخلقها، وإنما يحصل بمماثلتها وتقديمها استمراراً من جهة أنها امرأة، بحيث توجد المساواة مع الفارق".

واستغرب أديب إسحاق قول مانعي مهنة التعليم عن النساء بدعوى زوال رونق البهجة عنها، وعدم أخذها بمجامع القلوب، لأنها خلقت كطائر غريد، وطفل عابث وطفل محب. فالحب بجانبها إذا انشغلت بشواغل العلم لكن أديباً تهكم في تساؤله: "متى كان شأن الزوجة والأم مقصوراً على الطباخة أو نظارة الطهو أو الخدمة أو مراقبة الخادمين والاهتمام بالمصلحة الحسنية وأمزجة أهل البسيت؟ وهل ينحصر شأنها في الحب والرضاغة والتغذية...؟"<sup>(١٢)</sup>

بيد أن للحليلة والوالدة، عند أديب إسحاق، منزلة أسمى من ذلك، فهما مرشدتان ومربيتان، وعملهما يتطلب المعرفة، وهذا لا يعني وجوب كون البنات عالمات في الفلك والطبـيعيات والرياضيات، بل نيرات الألباب بأقباس العلم، ومؤهلات للإسهام في آراء الرجال وتعليم الأولاد وثقـيفهم. فلا تضجر المرأة إلا

لجهلها، ولا تنفق مرتب بعلمها لشهر في شراء حلي، ولا تدفعه إلى مرفقتها إلى دار لهو أو دار خيانة إلا لانحجاب العلم عنها ونأيها عن مجالات النباهة، والاهتمامات الثقافية والفكرية، فلم يتبق لها غير اللجوء إلى البهارج والمظاهر والزيف"<sup>(١٣)</sup>.

والصوت الخامس هو صوت ولي الدين يكن، الذي رام نبذ رام نبذ سيئات الأجانب، وأخذ حسناتهم، ومن أجلها تحرير المرأة، متأثراً بمذهب، فاسم أمين، وداعماً رأيه في تعليمها وتنقيفها قائلاً:

"قالوا إن تعليم البنات مهين إلى إفسادهن... إن هو إلا لجاج مبين" وهو يريد رفع الحجاب، ولا سيما أن الدين لا يفرض الحجاب، بل يفرضه التعصب والاستبداد، وليس فيه من رادع عن المنكر، فما "على وجوههن إلا برافع تشف عما تعلو، فهن حاسرات مقنعات" وطالب بحرية المرأة، وتخييرها في تقرير مصيرها، وانتقاء بعلمها، كي لا ترف إلى من لا تحب، ولا تغدو "مجهولة زفت إلى مجهول"، فيتولد عن ذلك أسرة خاملة قاعسة، تسمي للمجتمع عامل إفساد وتحطيم بدلاً من إصلاح وتعمير"<sup>(١٤)</sup>.

وقد اشتمل كتاب "الصحناء السود" لولي الدين يكن على مقال بعنوان (المرأة) تصدرته أبيات رائعة منها:

ألا ما لسيندتي ناحبة

بسسروحي مدامعها الساكبة

تفتش ليست ترى صاحباً

يقاسمها الحزن أو صاحباً

لقد غلب اليأس آمالها

وآمالها كانت الغالبة

لزي لي الحجاب عن الحسن يوماً

وقولي: مللتك يا حاجة

فلأنا منك ولا أنت مني

فرح ذاهباً، ها أنا ذاهبة

ويتابع قائلاً:

((شهدت مصارع ثلاث نسوة: إحداهن قتلها الاستبداد،

والثانية أرهاها الجهل، والثالثة أودى بها الحجاب... فأما التي

قتلها الاستبداد، فامرأة جركسية كانت مقيمة مع أهلها بقصرية

من قرى العزيزية التابعة لولاية سيواس. إشتراها أحد رجال ((س باشا)) من أبيها بخمسة وعشرين جنيها. فلما قدم بها الأستاذة على سيدها، أهداه إياها، فأسكنها حرمه، وكساها وحلاها حتى إذا خطرت لديه، رأى في مواطن قدميها مواضع لجبهاه العاشقين، فخطب ودها... وقالت: ((مكاني في خدمة الأمير أحب إلي مما عداه)). فما زاده ذلك إلا... حياء واستهتارا بيهواها، وما زادها إلا انشورا منه وبغضا. فتمكنت ذات يوم من إنقاذ كتاب لأبيها تشكو له ما تجد من اشتياقها إلى أمها وأخواتها، وتعلمه بما تحس من اضطلال قواها، فأصابت شكايته موضع الرحمة من فؤاد أبيها، وأقام أياما يتزود للسفر إليها... فلما عاد من سفرته، قالت له امرأته: "وكيف حال من بعثها؟ فقال: رحمة الله عليها... وأما التي أريهاها الجهل، ففانية كتمثال فينوس، استصحبها أبوها إلى بيروت، وهي في الخامسة من عمرها، وأدخلها هناك إحدى مدارس الراهبات أخذت بسر أي صديق. فلما كملت علومها... أخرجها أبوها، وقد بلغت الثالثة عشرة، وأوجب عليها الحجاب ومجاورة البيت، ومنعها مطالعة الكتب الإفرنجية، فقالت له: إذن لم علمتني ما لا تريد أن أعمل به؟ فقال لها: لي الأمر، وعليك السمع والطاعة، فدعي الجدل. فامتثلت المسكينة وفي النفس ما فيها". وخطبها فتى للزواج نعتته أمها بكونه جميلا كأبناء الملوك، فأجابت الفتاة أنها لا تريد ما زالت لا تعرفه. ثم مضى شهران، وزفت المجهولة إلى المجهول، ثم مضى شهران، فدخل عليها زوجها يوم وفي يدها صورة رجل مكشوف الرأس، عليه ثياب قائد الجنود وفي يده قبعة، ففار دم زوجها، وثار غضبه وأدركته غيرة الزوج، فعمد إلى خنجر كان يحمله، فشق به بطن امرأته، فإذا هي جسد بلا روح. ولما تأمل الناس ورجال القضاء الصورة التي أغضبت الزوج، إذا هي صورة واشنطن الشهير معي مجد أميركا!!". وأما التي قتلها الحجاب، فقد تزوجها رجل من أهل (أدنه) شديد الغيرة. دخلت بيته ليلة زفت إليه، ولم تخرج منه أبدا، حتى إذا مرضت وثقل عليها المرض، واشتد الألم، دعا زوجها طبيباً وأخذ يصف له ما تشكوه. فقال: أنا لا أداوي على السماع، ولا بد من رؤية المريضة، وفحص موضع العلة. فأبى الزوج الأبى ذلك. وما مضت أيام فلانل إلا وقد أزروها في أكفانها،

وشيعوها إلى منزلها الأبدي: من ضريح إلى ضريح<sup>(١٢)</sup> والصوت السادس هو صوت باحثة البادية.

(ملك حفني ناصف) التي قال فيها شبلي شميل: "فباحثة البادية بين النساء المصريات بل المسلمات بل الشرقيات عموما لا يقل فضلها في الضرب على مساوي الأسرة عندنا، والحض على وجوب تعليم المرأة لتحرير عقلها وتقويم أخلاقها بالعلم الصحيح، عن فضل قاسم أمين في وجوب تحريرها، وإن كانت له تطلب لها هذا التحرير إلى الغاية القصوى مثله. لأنها لم تطلب إلغاء الحجاب بالكلية. وهو رأي في نظر البعض وجيه".

(انظر مي زيادة في (باحثة البادية) ص ١٢٦. مؤسسة نوفل. بيروت / ١٩٢٥)

وقالت فيها (مي) زيادة: "كانت من أنصار السفور مبسليا. ومن رأيها أن كل ما تحتاج إليه المرأة، ولا تجده بين النساء كالطبيب البارع والأستاذ الماهر إلخ، يجوز أن تستعين به الرجل، وجاهرت بأنها لو كانت واثقة من كمال المرأة وتهذيب الرجل، لما ترددت في إباحة السفور للجميع. كما أنها تبيحه للراقصات من النساء. وقد أبدت فكرها في ردها على خطبة ألقاها زعيم السفورين عبد الحميد أفندي حمدي في نادي حزب الأمة"، جاء فيه (ص ١٠٦) :-

"... فلو أمرتهن مرة واحدة بخلعه وترك البرقع، لرأيت ما يجلبنه على أنفسهن من الخزي، وما يقعن فيه بحكم الطبيعة والتغير الفجائي من أسباب البلاء، وتكون النتيجة شراً. وإذا أردت هدم بناء، فلا تهدمه قليلا قليلا، إلى أن يتم الهدم، فتبني على أنقاضه أحسن منه؟... ثم أفندي أيها القارئ بالله، ماذا تقول امرأة جاهلة أو متعلمة تعليما ناقصا لشاب تجتمع به، أتباحثه في العلوم وهي لا تدرك أهميتها أو تعلم منها فثورا لا يعتد بها؟ أم تناضله في السياسة وهي لا تعلم أين إنكلترا من جزائر الأرخبيل، ولا يمكنها أن تفسر لفظة دستور أو استعمار مثلا؟ أم ماذا تفعل اللهم أنها لا تجد شيئا تقوله إلا ما قد تستحسنه من هيئته وحسن برته وهناك الضلال الكبير؟ رأيي أن الوقت لم يأن لرفع الحجاب، فعلموا المرأة تعليما حقا، وزبوها تربية صحيحة، وهذبوا النشء واصلحوا أخلاقكم بحيث يصير

مجموع الأمة مهذباً، ثم اتركوا لها شأنها تختار ما يوافق مصلحتها ومصلحة الأمة".

وقارنت (مي) بين باحثة البادية وقاسم أمين، الذي قرأت كتبه بعد "نسائيات" الباحثة في عام واحد (١٩١٤). قائلة: "باحثة البادية تصلح كامرأة، وقيل إن المرأة أكثر تشبهاً بالماضي. وقاسم أمين يصلح كرجل. أي يرسل نظره أبداً إلى الأمام. هي تسير بتحفظ بين تشعب الأفكار الجديدة والآراء المستحدثة، وكلما خطلت خطوة التفتت إلى الوراء لتتثبت من أنها تابعة السبيل الذي يربط الأمتس بالغد. وكلما جاءت بتبديل في نصوص الاصطلاحية، حاولت سبكه في قالب الاعتدال مع مراعاة العادات المألوفة ما أمكن. هي كثيرة التحذر في إصلاحها، عملية متواضعة في مطالبها، لا تبعد متراً واحداً عن حدود بينتها، وإن حامت فوقها بما أوتيت من شجاعة وذكاء، إلا أنك حينما تسمعها صارخة، كثيراً ما تظن أنها تفعل لتؤكد لك أنها غير خائفة، ولك أن تقدر كذلك أنها تصرخ لتسمع صوتاً إنسياً. وإن كان صوتها. يبعد عنها الرعب والوجل في وحدتها الفكرية. أما قاسم، فلا يصرخ ولا يخاف ولا يرتعش، في فكره مقادير الكمال الكافي لاختطاط النظريات، وفي أصالة رأيه وحزمه من الجدارة ما يحول النظريات إلى ما يطابق الواقع، بل هي الواقع بعينه. وله جناحان يدفعان به إلى نقطة إدراكية يشرف منها على الماضي والحاضر والمستقبل وعلى جميع البيئات والأمم والتواريخ. فيضع هناك كرسي القضاء - كرسيه - ويجلس متأملاً مقابل بين شعب وشعب وعصر وعصر، باحثاً في كل آن وزمان عن تك السعادة الحلال المتمثلة في صورة امرأة بلاده، "حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل". وبين زرافات النساء المارة أمامه، تستوقف خاطره امرأة بلاده، أمه وأخته وزوجته وابنته، أولئك اللاتي أوجدتهن الطبيعة صديقات لحزنه وأنسه. وكأنني به يناديهن، فيلبين النداء، بطينات متسكعات تعبات، ويدنين فيرى عليهن غشاء يمتع عنهن نور الشمس ونور الحياة: الحجاب!"

"لهذه الكلمة دوي مرعب في نفسه كما لدوي أبواب السجون في مسمع من حكيم عليه بالسجن المؤبد ظلماً. فيمسك بهذا الحجاب، ويقلب معانيه من جميع الوجوه، ويدرس تاريخ نشأته وتأثيره

في الشعوب التي اهتمسته ثم نبذته، ويحلل أسبابه ويتبحر في نتائجه، ويراجع أقوال الكتاب العزيز والحديث الشريف وعادات القوم، فيقرر بعد البحث والتعليل أنه ليس إسلامي الأصل مادام أنه استعمل عند أمم سبقت الإسلام، وأنه ليس واجباً على المرأة المسلمة مادام أن ليس في الشرع نحن صريح يأمر به. هو في نظره اثر من آثار الهمجية الأولى، بل هو "أقصى وأفظع أشكال الاستعباد. ذلك لأن الرجال في عصر التوحش كانوا يستحوذون على النساء وإما بالشرء وإما بالاختطاف".

نعود إلى باحثة البادية فنقرأ قول الأنسة (مي): فيها: "رأت كل ما يتقيد به قومها من عادات دهرية وفروض دينية واصطلاحات اجتماعية، ورأت من جهة أخرى ما لابد من إدخاله من تحسين يؤهلهم للسير بكرامة في موكب القرن العشرين، فنسيت أو تناست تأثرها لتبسط رأياً معتدلاً يوفق بين القديم الجامد والحديث المتهور. كتبت للجميع لأنها أرادت أن يفهمها الجميع، ولم تقصد إلا الإفادة"، وتستدل على ذلك بتصريحها في "الجريدة" تحت عنوان (النسائيات): "أريد مما كتبت واكتب... تخفيف ويلات الزواج على قدر الإمكان. ولست أقصد كل رجل على الإطلاق، كما أنني لم أقصد كل امرأة. إنما الكلام على من فسدت أخلاقهم (وهم مع الأسف كثيرون) فسببوا شقاء الناس وهدموا بناء الزوجية".

وتذهب (مي) إلى أن ((الباحثة)) حاولت تخفيف تلك الويلات، والتسوية بين الرجل والمرأة واختطاط الأسلوب لإصلاح شؤونهما بالقلم واللسان معاً، مستدلة على ذلك باستهلال خطبتها الإصلاحية الأولى في نادي حزب الأمة:

((ليس اجتماعنا اليوم مجرد التعارف أو... وإنما هو اجتماع نجدني أقصد به تقرير رأي لتبعية ولأبحث فيه عيوبنا فنصلحها. فقد عمت الشكوى منا، وكثرت كذلك شكوانا في الرجال. كلنا متظلمون وكلنا على حق مما نقول. بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة، وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا وبينهم هم يعزرون هذه الحالة إلى نقص في تربيتنا، وعوج في طريقة تعلمنا. ونحن نعزوها لخطر سستهم وكبريائهم". "والأوفق أن نسعى للوفاق جهلنا، ونزيل سوء التفاهم والتحرب لنحل بدلها الثقة

والإنصاف، ولنبحث أولاً في نقاط الخلاف<sup>(١١)</sup>.

وتعلق مي على ذلك بأن كل مقالات "الباحثة" جديدة بالاهتمام، وكل انتقاد وإصلاح فيها فمين بالبحث والنظر. ثم تورد وسائل الإصلاح ملخصة في عشرة بنود، وختمت بها خطبتها الأولى في نادي حزب الأمة<sup>(١٢)</sup>:

"بقي علينا أن نبين الطريق العملي الذي يجب أن نسير عليه. ولو كان لي حق التشريع، لأصدرت اللائحة الآتية:

المادة الأولى: تعليم البنات الدين الصحيح. أي تعاليم القرآن والسنّة الصحيحة.

لمادة الثانية: تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي، وجعل التعليم الأولي إجبارياً في كل الطبقات.

المادة الثالثة: تعليمهن التدبير المنزلي علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الأطفال والإسعافات الوقتية في الطب.

المادة الرابعة: تخصيص عدد من البنات لتعليم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر.

المادة الخامسة: إطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد.

المادة السادسة: تعويد البنات، من صغرهن، الصدق والعبد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل.

المادة السابعة: إتباع الطريقة الشرعية في الخطبة، فلا يتزوج اثنتان قبل أن يجتمعا بحضور محرم.

لمادة الثامنة: إتباع عادة نساء الأتراك في الأستانة في الحجاب والخروج.

لمادة التاسعة: المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الأشياء والناس بقدر الإمكان.

لمادة العاشرة: ليست هذه المادة إلا ملحة مصرية. على إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا<sup>(١٣)</sup>.

وعلفت (مي) على المادة الثامنة بقولها: "تري اتعني عافتهن منذ اثنتي عشرة سنة، أم عادتهن المتحركة مع الحياة، المتغيرة بتغير الأحوال؟ إن المرأة التركية تحركت كثيراً في هذه الأعوام، وقد كتب بعض مراسلي صحف الفرنجة في الأستانة أنها صارت تسير في الشوارع سافرة بيزي باريسي، كذلك تحركت المرأة

المصرية. وكان أن قامت مظاهرات نسائية في إبان الحركة الوطنية في الربيع السابق، فلم يعترض الرجال، ولم يقابلوا هذه النهضة الجميلة بغير الرضا والإعجاب". ص ١٢٢.

وتماماً لمذهبها الإصلاحية، أوردت (مي) اقتراحات "الباحثة" العشرة التالية إضافة إلى بنودها العشرة الإصلاحية السالفة:

الأفراح الأولى: ذهاب النساء، سواء في المدن والقرى، لحضور الصلاة وسماع الوعظ في المساجد.

الأفراح الثانية: جعل التعليم الأولي إجبارياً، وتكثير المجانية على قدر الإمكان في مدارس البنات الموجودة حالاً أو إنشاء غيرها.

الأفراح الثالثة: تلزم جميع المدارس (أميرية وأهلية) بتعليم الدين الإسلامي.

الأفراح الرابعة: تعين في كل مدرسة للبنات سيدة مسلمة عاقلة تراقبهن كيلا تهملن واجباتهن الدينية، ولا يخرجن من عادة قومهن.

الأفراح الخامسة: توسيع نطاق مدرسة الممرضات الحاضرة. والأولى إيجاد مدرسة للطب جديدة لتعليم النساء الصناعة تعليمًا كاملاً بدرجة تساوي درجة الأطباء.

الأفراح السادسة: تكثير المستشفيات الخيرية والصيديات للمرضى من الرجال والنساء والأطفال، ويكون في كل مركز من مراكز المديرية وقسم من لقسم المدن واحدة على الأقل.

الأفراح السابعة: اتخاذ جميع الوسائل لمنع الحيف الواقع على النساء المسلمات، فينبه البوليس بأن يراعي الآداب العمومية في الطرق والاجتماعات، وأن يسوق كل مخل بالآداب إلى القسم.

الأفراح الثامنة: السعي في تقليل تعدد الزوجات لغير داع ماس بقدر الاستطاعة. فإن شقاق النساء واختلاف الأخوة الناشئين من هذه العادة، وما يتبع ذلك من الشقاق، كل ذلك يدهور الأمة في مهاوي الفناء الأدبي.

الأفراح التاسعة: تعليم المرأة المصرية كل ما يلزم من الصناعات الضرورية لجنسها كالتفصيل والتطريز والقيام على تربية الأطفال والخدمة حتى لا يحتاج الوطنيات إلى غيرهن من

الأجنبيات.

**الاقتراح العاشر:** منع النساء من المشي في الجنازات وفي الاجتماع للندب واللطم والصراخ والتعديد بالطريقة القبيحة التي لا وجود لها إلا في مصر.

وعاقتني على الاقتراح العاشر بقولها: "عفواً يا سيدتي! إن عندنا مثلها في سوريا"<sup>(١١)</sup>.

قالت الباحثة في كتابها "النسائيات" عن الحجاب: "إن نصف أزارنا السفلي مرط (جونيله) لا يتفق مع كلمة (حجاب) ولا مع معناها ولا مع الحكمة منه. أما نصفه العلوي فهو كالعمر كلما تقدم قصر. أما البرقع فأشرف من قلب الطفل"<sup>(١٢)</sup>.

ولما كانت "الباحثة" من أنصار السفور، وجه الشاعر أحمد شوقي إليها هذه الأبيات:

(مجد الفتاة مقامها في البيت لا في المعـمل  
لكن إذا دعت الضرورة للخروج فـجهل  
أما السفور فحكمه في الشرع ليس بمعضل  
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل  
ويجوز بالأجماع منهم عند قصد تأهل  
ليس النقاب هو الحجاب فقـصري أو طولي  
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونك فـساسلي  
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولي  
لا لبتغي غير الفضيلة للنساء فاجملي"<sup>(١٣)</sup>

لكن الكاتبة نفت عن نفسها إتباع مذهب قاسم أمين والتشيع له بردها على أبيات شوقي:

"فعلام أكثرت المسـلا

مـة وانضممت لغـدلي

وسقيتني من مرقـو

لك مثل نـقع الحـظـل

ونسبتني حينئذ لـمـذ

هـسب قـاسـم وأبي علي

تعني وويلك أنـني

أمـارة بـتـبـدل"<sup>(١٤)</sup>

وقالت في إصلاح طريقة الزواج، ووجوب اجتماع الخطيبين قبل عقد الخطبة استناداً إلى ما كان يتم وقوعه في الماضي:

"يرى أكثر عقلاء الأمة أن لابد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج، وهو رأي سديد لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابه يعملون غيره". "مما يجعل مسألة الزواج عندنا هيئة لينة، إباحة الدين الحنيف الطلاق وتعدد الزوجات. ولكن حاشا أن يكون قصد الشارع ما نراه الآن من الفوضى في أدق الروابط الاجتماعية ومن نقض عهود الأسر وقلب نظاماتها. فإن الأديان لم تخلق لجلب البؤس وإنما خلقت لإسعاد البشر". "طريقة العرب على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وما بعده في أمور الخطبة والزواج طريقة شريفة معقولة، إذ لم يكن الحجاب حينذاك كما هو الآن، وإنني أجهر بأن حجابنا مقلوب. ونظام اجتماعنا فاسد أشد الفساد لا يصلح ولن يصلح أن تتبعه أمة متقدمة"<sup>(١٥)</sup>.

والصوت السابع كان صوت السيدة المربية نبوية موسى التي ألقت كتابها "المرأة العربية" قبل كتاب "النسائيات" لباحثة البادية، ونادت بأن يغدو تعليم الفتاة حقاً بشرط تقييد حريتها تحاشياً لوقوعها في الزلل. فارتأت الفصل بين الجنسين في ميداني العلم والتعليم والمهنة والعمل، وطبقت نظرياتها الخاصة في التربية والتعليم المخالفة لآراء المسؤولين في وزارة المعارف، فطبقتها في مدارسها بعد استقالتها من الوزارة سنة ١٩٢٦ إذ كانت كبيرة المفتشات، فأفلحت في التطبيق. كانت تحبب العمل للفتاة، وكانت برغم اهتماماتها الإصلاحية شاعرة، لها ديوان فخيم، وأديبة من الطراز الأول، ولها أكثر من مؤلف في التاريخ، كما كتبت القصص وفي السياسة. ومواقفها ضد الفاصب قبل الثورة وإبانها وبعدها مواقف مشرفة، ومنحت نيشان "الكمال"<sup>(١٦)</sup>.

### "الصوت المزلزل"

والصوت الثامن، وهو الأقوى، والأحكم والأجراً والأشمل. وقد ارتفع فعلاً قبل أصوات ولي الدين يكن وباحثة البادية ونبوية موسى. كان صوت قاسم أمين الذي كان بمثابة الزلزال المدوي، والهاتف المججل بفضل كتابيه "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة".



فالأول - الذي صدر عام ١٨٩٩ - رفض الخديوي عباس حلمي الثاني قبول إهدائه إليه مملأة منه للرأي العام الذي ثار في وجه المؤلف لأن كتابه عصف بالمجتمع عصفاً، ورجحه رجاً عنيفاً، ثم تلاه ارتفاع أصوات محبذة ومستهزئة تنكره، ثم وعي وإدراك تدريجيان. والثاني الذي صدر عام ١٩٠٠ دعم كتابه الأول (أهداه إلى سعد زعلول) حيال موقفه من قضية اشتغال المرأة بالأشغال العمومية والوظائف العامة أي العمل السياسي ووظائفه العليا، ولكنه يتقدم فكرياً عن ذي قبل بتعليقه الفروق بين الجنسين التي أهلت الرجل دون المرأة لهذه الوظائف السياسية العليا. فهو في كتابه الأول رأى ذلك التقسيم فطرياً وأبدياً للعمل، ناسئاً عن خصائص كل من الجنسين، بيد أنه في كتابه الثاني علله بكونه ثمرة لتأهيل الرجل وتمرسه، بينما حرمت المرأة منهما وأبعدت عنهما قروناً طويلة، فقال إن حرمانها من هذه الوظائف السياسية العليا هو أمر مؤقت سيزول بزوال الأسباب؛ حتى غدا الناس - بعد أن كانوا جاهلين بالمرأة

ووجودها ومكانتها وتأثيرها - إلا من خلال نفثات يراعتها كعائشة التيمورية، أو آرائها الفقهية كفاطمة الخلفاوية. يعدونها إنساناً كالرجل لها - مثله - حقوق، وعليها مثله واجبات.

فلنسمع مقالة قاسم أمين في ما اتهمه به الناس، وفي الدفاع عن نفسه:

"إن الناس يتهمونني يأتي أتيت ببدعة، وفي الحق إن ما ادعوا إليه بدعة في العادات لا في الدين، والعادة قوية التأثير، تتغلب على كل شيء حتى الفضيلة والدين. والعلم هو الذي يستطيع فضح العادات السيئة ورنها إلى الحق. والإسلام وحده هو الدين الذي وعد المرأة بتحقيق حريتها. ولكن المسلمين في عصور الاستبداد ساء فهمهم للدين وللمرأة ولحقائق الحياة".

عند قاسم أمين مسألة "الحجاب من أهم المسائل، وذات مكان عظيم في شؤون الأمة، وقبل أن ينطق بذلك ويسوغ ويعلل، وجه كلامه إلى الناس متسائلاً:

"كلامنا الآن في هل يلزمنا أن نعيش ونحيا أو نقضي على أنفسنا بأن نموت ونفنى؟ هل علينا أن نهتز مكاننا ونرضى بما وجدنا عليه آبائنا، والناس من حولنا يتسابقون إلى منابع السعادة

وموارد الرفاهية ومعاهدة القوة، ويمرون علينا سراعاً ونحن شاخصون إليهم، إما غير شاعرين بموقفنا وإما شاعرين ولكننا حيارى ذاهلون، أو من الواجب علينا أن ننظر كيف تقدم الناس وتأخرفا؟ كيف تقووا وضعفنا؟ وكيف سعدوا وشقينا؟... ذلك هو الأمر الخطير الذي وجهنا إليه نظرنا".

لا مشاحة أن سامع هذا القول، لا يرتاب لحظة في إخلاص الرجل للقضية بدافع من إخلاصه الأول لوطنه وشعبه وأمته. كما لا يشك اللبيب المتجرد الذي سيقراً تعليقه وتسويغه وتحليله فيما يأتي أن منطلق قاسم أمين كان منطلقاً فكرياً وعملياً بالاستناد إلى علم الاجتماع الخاضع للقوانين الطبيعية وقوانين التحليل وقوانين التحليل والتركيب والنمو والتدرج والانتقال من طور إلى طور في هدي العصور والأحداث التاريخية، وما واكبها

من استبداد وتحريم، جهل ومعرفة، انفتاح وانغلاق، حق وباطل على أساس أن الوقائع والأحداث ليست هي الأسباب بل النتائج للعوامل الاقتصادية والسياسية والفكرية والعادات والتقاليد ووسائل المعيشة وغيرها:

"ها هي مسألة الحجاب، مسألة من أهم المسائل، ولها مكان عظيم في شؤون الأمة، إذا ترك القارئ نفسه لعواطفه، واستسلم إلى عوائده، ظهر له الحجاب في مظهر حسن، لأنه ألقه في صفده، ونشأ بين المحجبات، وعاش معهن حتى صار ذلك عادة مألوقة له. ثم إنه ورثه عن آبائه وأجداده، فلا يستغربه، بل يميل إليه ميلاً غريزياً ليس للعقل فيه مدخل، وإنما هو حركة ميكانيكية ليس إلا، وأما إذا نزع من نفسه العوامل التي أحدثت تلك العواطف، وخلع ما البسه إياه أسلافه من أروية الوراثة، وبحث في المسألة من جميع جهاتها بحث من لم يتأثر إلا بالتجربة التي تجري في الوقائع الصحيحة، وحصل لنفسه رأياً من ملاحظاته الشخصية، وكان ممن تنجذب نفسه للحق، وتنبت إلى السعي للوقوف عليه وتأييده، لما له عندها من المنزلة العلية والمكان الرفيع، وكان لا يغش نفسه بالتزويق والتزيين الوهميين، وإنما يسمع صوت وجدانه السليم ويرجحه على كل هوى سواه. مهما كانت زوجته من الممكن فيمن حوله من الناس - فعند ذلك يرى

ان امرأة لا تكون ولا يمكن أن تكون وجوداً تاماً إلا إذا ملكت نفسها وتمتعت بحريتها الممنوحة لها بمقتضى الشرع والفتوة معا ونمت ملكاتها إلى أقصى درجة يمكنها أن تبلغها، ويرى أن الحجاب على ما ألفناه مانع عظيم يحول بين المرأة وارتقائها، وبذلك يحول بين الأمة وتقدمها<sup>(١٢٠)</sup>.

وهو يدعو القارئ - إذا رغب في التأكد من صحة مضار الحجاب - إلى المقارنة بين امرأة من أهله، متعلمة، وبين أخرى قسروية أو متجرة مدنية، لم يسبق أن أحرزتا قسطاً من التعليم. فسيجد الأولى - مع إحسانها القراءة والكتابة والتكلم بلغة أجنبية والعزف على البيانو - بأنها تجهل أطوار الحياة، وبأنها لو استقلت بنفسها لعجزت عن تدبير أمرها وتقويم حياتها، بينما الثانية - مع جهلها - قد أصابت معرفة واسعة بفضل ما اكتسبته من الخبرة في المعاملات والاختبارات وممارسات الأعمال والدعاوى والحوادث التي حصلت لها. فإذا تعاملنا غلبت الثانية الأولى<sup>(١٢١)</sup>... "ومن هذا نرى أغلب نساء نصارى الشرق، وإن لم يتعلمن في المدارس أكثر مما يتعلمه بعض بناتنا الآن، فهن يعرفن لوازم الحياة لكثرة ما رآين وسمعن باختلاطن بالرجال، فقد ورد على عقولهن معان وأفكار وصور وخواطر غير ما استفدن من الكتب..."<sup>(١٢٢)</sup>.

وفي موضع آخر من كتابة (تحرير المرأة) يرد على القائلين بكون الحجاب موجبا للعفة، والسفور جالبا للفساد، بالقول إنه "لم يقم أحد إلى الآن بإحصاء عام يمكن أن يعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة في البلاد التي تعيش فيها النساء تحت الحجاب، وفي البلاد التي تتمتع فيها بحريتهن". "ومن المعروف أن لطرق معيشة الأمة ومزاجها وإقليمها وآدابها وتربيتها دخلا عظيماً في فساد أخلاقها وصلاحيها، ولهذا نرى الفساد يختلف في بلاد أوروبا بين بلد وآخر اختلافاً ظاهراً...". "ومن المشاهد الذي لا نزاع فيه أيضاً أن نساء العرب ونساء القسرى المصرية، مع اختلاطن بالرجال على ما يشبه الاختلاط في أوروبا تقريبا، أقل ميلاً للفساد من ساكنات المدن اللاتي لم يمنعهن الحجاب من مطاوعة الشهوات والانغماس في المفاسد، وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن المرأة التي تغالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار

السيئة من المرأة المحجوبة، والسبب في ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجال وسماع كلامهم، فإذا رأت رجلاً أياً كان لم يحرك منظره فيها شيئاً من الشهوة، بل لو عرض عليها شيء من هذا فإنما يكون بعد مصاحبة طويلة وقضاء أوقات في خلوات كثيرة يحدث فيها ما قد يشعر كل واحد منهما بانجذاب إلى الآخر. وهذا هو ما منعتة الشريعة وبيتنا امتناعه فيما سبق. أما الثانية، فمجرد وقوع نظرها على رجل يحدث في نفسها خاطر اختلاف الصنف، من غير تعمد ولا نية سيئة، وإنما هو أثر منظر الرجل الأجنبي، لأنه قد وقر في نفسها أن لا تتراد ولا يراها، فمجرد النظر إليه كاف في إثارة هذا الخاطر". ويضيف قاسم أمين إمكان حدوث هذا الأثر عينه في الرجال الذين لم يتعودوا الاختلاط بالنساء، ويورد الدلائل على ذلك بمشاهداته، ثم يقول إن المرأة التي تصون شرفها وعفتها وهي طليقة غير محجوبة لأفضل كثيراً مما لو كانت محجوبة، لأن عفة الأولى اختيارية، بينما عفة الثانية قهرية، واليون بين الاثنين شاسع<sup>(١٢٣)</sup>.

وبعد أن يعيب على الرجال عدم وثوقهم بسامرة مهمما اختبروها ومهما عاشوا معها، وتصورهم أن أمهاتهم وبناتهم وزوجاتهم لا يعرفن صيانة أنفسهن، يتساءل إن كان سوء الخلق يهن إلى هذا الحد لائق، وهل هذه المعاملة تليق بالإنسان بجنسيه، فيجيب عن تساؤله بأن العقل يرى مهما تحوط الرجال للمحافظة على شرف نساءهم، فلن يجديهم ذلك إن لم يمتلكوا أفئدة نساءهم. إذ ما نفع امتلاك الرجال أجسام نساءهم بدون قلوبهن؟ فمع كل قيود الحجاب المفروضة على النساء، لم يمنع البرقع وحجر النساء خلف الحجاب والأقفال سريان الفساد إلى ما وراء تلك الحواجز<sup>(١٢٤)</sup>.

وفي رده على القائلين بشيوع الفساد بين النساء أكثر من ذي قبل - أي قبل الدعوة إلى إلغاء الحجاب أو التخفيف منه - يعزي ذلك إلى الجهل وسوء التربية الذي هو علل النزق والطيش، ويخرق كل حجاب ويفتح على المرأة الفساد من كل باب، ومنه يخشى سريان العدوى من امرأة إلى أخرى ومن طبقة إلى أخرى، فهو الذي يدفع - المرأة ذات المكانة في بيتها وقسومها أن تطيل النظر إلى شاب يمر بطريقها، وهو الذي يدفعها إلى الاتفاق معه

على التلاقي وعلى التواصل. كما يدفع سوء التربية المحجبات إلى مخالطة نساء دونهن في العفة والتصون، مما ينشأ عنه كثير من السقوط والإفساد<sup>(١٤)</sup>.

وفي الوسع إيجاز رأي قاسم أمين في الحجاب أنه متى تهنّب العقل ورقّ الشعور، أدرك الرجل أن المرأة إنسان من نوعه، وأن لا حق لأحدهما على الآخر بعد توفية فروض الشريعة، إلا ما يعطي كل منهما تلقائياً بمحض الاختيار، وأنه متى تهنّب العقل ورقّ الشعور في الرجل، أدرك أن حجاب المرأة إعدام لشخصيتها، فهو بعد لا يلجأ إليه كوسيلة يحسبها مؤدية إلى راحة البال واطمئنان القلب<sup>(١٥)</sup>.

فلنسمع أخيراً رايه التحليلي في أيهما أصلح لمجتمعنا وتقدمنا: أهو التمسك بالحجاب، أم بنيله؟ "إذا استخدمنا عقولنا، واتخذنا الفكر السليم رائداً لنا، فلا شك أننا نختار المذهب الذي يتفق مع مصلحتنا، وتتوفر به منافعنا، ولا نخشى بعد ذلك أن يقع اختيارنا مخالفاً للحق والصواب، لأن المنافع الصحيحة التي تقوم على قواعد الفكر السليم هي من الحق الذي يدافع عنه الشرع، ومن المستحيل أن حقاً من الحقوق التي يدافع عنها الشرع يكون منشأً لضرر يعود على الناس، أو أن فضيلة من الفضائل يكون شرها أكبر من نفعها". "فأي المذهبين يتفق مع مصلحتنا وتتوفر به منافعنا؟ أما الحجاب، فضرره أن يحرم المرأة من حريتها الفطرية، ويمنعها من استكمال تربيتها، ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة، ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والادبية، ولا يأتي معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن، وبه تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل في أحد شقيه"<sup>(١٦)</sup>.

قال الدكتور محمد عمار، دارس ومحقق الأعمال الكاملة لقاسم أمين ما يأتي: "تبقى لقاسم أمين، في هذا الميدان، ميزة ينفرد بها عن كل من عداد من المفكرين والمصلحين الذين أسهموا بسهم في هذا السبيل. فكل من عدا قاسم أمين كان حديثهم عن تحرير المرأة والنهوض بها أمراً من أمور كثيرة تناولوها فيما لبدعوا من أفكار وآثار. أما قاسم أمين، فهو الوحيد من بين كل هؤلاء، الذي وهب كل جهوده وجميع آثاره - تقريباً - لهذه الدعوة، حتى لقد ذهب علماً عليها ورمزاً لها، تتداعى قضاياها وحجج أصحابها إذا

ذكر اسمه في أي وقت و مجال<sup>(١٧)</sup> ويفيد الدكتور محمد عمار في ص (٧٠) من الكتاب إن للإمام محمد عبده مشاركة في تأليف (تحرير المرأة) بخصوص الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات.

\* \* \*

قبل أن ينصدر قاسم أمين كتابيه في المرأة، كانت بعض الأذهان الواعية قد استوعبت أصواتاً سبّاقة، أسلفت ذكرها، كما أن الشعب المصري كان قد لمس أوليات النهضة على يد محمد علي الكبير الذي أقبل هو نفسه على تعلم القراءة والكتابة في الخامسة والأربعين من عمره على إحدى نساء قصره كما روى الكاتب الفرنسي (أدوارد جوان) مؤلف "تاريخ مصر في القرن التاسع عشر". بعد ذلك، ارتأى محمد علي لزوم تعليم البنات في المدن والقرى، وتخبر بعض الأغوات الملمين بالقراءة والكتابة في قصر القلعة ليتعلموا الطب والجراحة والتوليد بإشراف الطبيب الفرنسي (كلوك بك)، وأوعز باقتناء بعض الجوارى من السودان والحبشة لمرافقة الأغوات في تلقي العلم. بهذا "التحاييل" أنشأ محمد علي في "أبي زعبل" أول مدرسة للبنات، وألحق بها مستشفى سعتة عشرون سريراً، ثم أنشأ مدرسة للتوليد بالقاهرة، انضمت إليها فتيات من العاصمة والراغبات في المدن الأخرى، أعطيت الأولوية في ذلك إلى اليتيمات. فكانت الخريجات تعمل في تلك المدرسة أو بالمحاجر الصحية، ويتزوجن نخلأثرهن في المهنة من الرجال<sup>(١٨)</sup>.

طلق المجال يتسع رويداً رويداً لنهضة المرأة المصرية في عهود خلفاء محمد علي الكبير، حتى إذا دخل مصر الرجل العظيم السيد جمال الدين الأفغاني، وتحلق حوله نخبة من مثقفي مصر، وفي طليعتهم الشيخ محمد عبده - الذي أسهم في ظهور كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين - فصوله التي عالجت من الوجهة الشرعية قضايا الحجاب والزواج والطلاق وتعدد الزوجات، وسعد زغلول وأديب إسحق وغيرهم، قوي من النهضة، وتضاعف عنفوانها، مما أدى إلى إسستارة المرأة، فلهعت أسماء نسائية، منها عائشة عصمت التيمورية، وزينب فواز، والأميرة نازلي التي كان لصالونها أثر كبير في النهضة النسائية، والأميرة

عين الحياة أحمد صاحبة الفضل في إنشاء مبرة محمد علي،  
والأميرة فاطمة هانم إسماعيل، ذات الفضل في إنشاء الجامعة  
المصرية من ريع مجوهراتها وحليها وإيقاف (٨٠٠) فدان عليها،  
والسيدة نبوية موسى، والآنسة (مي) زيادة، ولبيبته هاشم،  
ورحمة صروف. حسنتي إذا اجتمع الحزب الوطني المصري في  
مؤتمر استوكهولم لطلب الجلاء عام ١٩١١، ارتفع أول صوت نسوي  
مصري، طالبت صاحبتة (إنشراح شوقي) بالجلاء مما حدا  
بزعيمة النهضة النسائية فيما بعد. السيدة هدى شعراوي-  
تقديرأ منها لصاحبة ذلك الصوت النبيل، أن نظمت جائزة  
باسمها في حفلة الاتحاد النسائي المصري عام ١٩٤٢. ولما اندلعت نار  
ثورة ١٩١٩، نزلت المرأة إلى ميدان الجهاد، فعقدن أول اجتماع لهن  
في مسجد السيدة زينب برئاسة السيدة هدى شعراوي عمليا،  
السيدة صفية

والسيدة صفية قرينة الزعيم سعد زغلول فخريا. وطفقت  
التبرعات النسائية تنهال على الحركة الوطنية من مال  
ومجوهرات، وقد تغلغلت هذه الروح في كل نساء الشعب، حتى إن  
فلاحة جابت بقرطها وعقدتها تبرعا، وخرجت نسوة في قرية  
بالدقهلية، وقطعن أسلاك الهاتف والبرق لأن الرجال خشوا  
الإعدام إن هم فعلوا ذلك. وعندما نفي سعد زغلول مع صحبه  
إلى مالطة، نظم النساء مظاهرة حماسية تقدمتها أم المصريين  
قرينة سعد زغلول، وهدى شعراوي وغيرهما، رافعات علم  
الوطن ولافتة احتجاج، سادلات على أوجهن النقاب، وعلى  
أبدانهن الخمار، واندفعن إلى القنصلية الأمريكية وعلاها،  
مطالبات بتطبيق مبادئ (ولسون) المشهورة، فاعترضهن جنود  
الإنكليز بالحرايب والرشاشات. لكنهن لم ينكمعن بل ثابرن نحو  
وجهتهن، فسقطت أول شهيدة منهن "شفيفة محمد"، وحدا ذلك  
بشاعر النيل حافظ إبراهيم إلى نظم هذه الأبيات:

خرج الغواني يحتجب

ن وقمت أرقب جمعته

فإذا بهن تخذن من

سود الثياب شعارهن

فضلعن مثل كواكب

يسطعن في وسط الدجنة

واخذن يجترن الطر

يق ودار سعد قصدهن

يمشين في كنف الوقا

روقد أين شعورهن

وإذا المدافع والبناد

ق والصورم والأسنة

والخيل والفرسان قد

ضربت نبطاً حولهن

فتطاحن الجيشان ساعا

ت تشينسب لهن الأجنه

أعقب ذلك إنشاء اتحادات وجمعيات نسائية عديدة، متباينة  
النشاطات، كلها أذكت الوعي، وأسهمت في ارتقاء نفسية المرأة  
وتعزيز مكانتها، وتوسيع أفق عقلية الرجل تجاهها، وحثه على  
الأخذ بيدها صوب الارتقاء الذهني والروحي، فبلغ أوج ازدهار  
الحركة النسائية للنهوض والتحرير في عهد السيدة الفاضلة  
هدى شعراوي التي تعد في مجالها الرحب "قاسما أمينا" جديدا.  
فقد رامت أن تجعل من المرأة المصرية الجديدة رصيفة للمرأة  
الغربية، فبدأت ذلك أولاً بنفسها، إذ عند أوبستها من مؤتمر  
الاتحاد النسائي الدولي، لأول مرة، عام ١٩٢٢، طرحت نقابها  
خلف ظهرها، وبانت للعيان أمام الجمهور سافرة.

ومن أعمالها في سبيل الإصلاح الاجتماعي النسوي، سعيها إلى  
تحقيق المساواة في مراحل التعليم بين الفتى والفتاة حتى  
أفلحت، وإلى تحديد سن الاقتران فوفقت، وإلى إصلاح كثير من  
الأحوال الشخصية المتصلة بالزيجة والطلاق ورفع سن الحضانة  
وتحسين سير النفقات الشرعية، فنجحت في بعضها، ولبثت  
تجاهد للظفر بما تخلف. كما سعت إلى مكافحة الأمراض  
التوطنة، ورفع مستوى معيشة الأسرة، وتحريم البغاء، والحد  
من إباحة المسكرات، وأزرت تشجيع الشئون، وخصصت لها  
"جائزة مختار" للنحت والحفر، وجائزة رفع مكانة اللغة والأدب.  
وقد لعبت مجلتها (المصرية) باللغتين العربية والفرنسية دوراً

مهما في ترقية مستوى المرأة ذهنياً وعاطفياً. فلما شارفت هذه المرأة المناضلة العاقلة على أخريات أيامها، كانت العاصفة التي هبت بفعل دعوة قاسم أمين لنبد الحجاب قد تضاءلت حدتها، وتلاشى اضطرابها السافر الصارخ، وحل مكانه الإقبال على السفور بصمت وقناعة من قبل غالبية الشعب المصري<sup>(١٠٠)</sup>.

لا غرو أن دويماً بمثل تلك الشدة ورد فعل بمثل تلك الحدة والشمول، كان لا معدى عن تناقله من قبل الصحف في أقطار العالم العربي، مصورة التطور الذي حصل في هذا المضمار، فانعكست آثاره في تلك الأقطار بأبعاد ومظاهر متفاوتة. مع العلم أن منزلة المرأة الاجتماعية والفكرية قد سبق. أن ارتفعت في كثير من الدول الشرقية كالهند والباكستان وتركيا وإيران وأفغانستان وأندونيسيا والصين واليابان<sup>(١٠١)</sup>.

### رد الفعل في العراق

في القرون المظلمة، وحتى العقدين الأولين من القرن العشرين، عاشت المرأة العراقية في ظل قيم اجتماعية ضمت على المرأة بأي قيمة بشرية من إحساس وكرامة، بل لبثت تحيا على الهامش خلف جدران سميكة من التقاليد والعادات التي أحصت عليها أنفاسها، وحرمت إطلالها على العالم ومظاهر الحياة إلا من خلال الثقوب والنوافذ الضيقة والبراقع الضيقة، ملتفة بملاءتين سوداوين من هامتها إلى أخمصيهما، ذكرها في المجالس كان محرماً، لأن الإشارة إليها في الأندية مجلبة للعار، وإذا كان لا معدى عن ذكرها، فتلميحا يصحبه الخجل. وكان المجتمع مترمماً في تمسكه بهذه المثل والاعتبارات إلى حد الهياج على التهاون فيها. مثال ذلك، ما وقع أيام الوالي عبد الوهاب باشا عام ١٩٠٤ عندما أوعز - استناداً إلى أمر سلطاني من الأستانة - بتسجيل عدد النسوة في العراق، تمهيداً لتزويدهن بتناكر عثمانية، لاسيما في بغداد والبصرة والموصل. فهاج هائج البغداديين غيب ذبوع النبأ، وانلغح رجالهن بجموع غفيرة من أهالي باب الشيخ والصدريّة ورأس الساقية وفضوة عرب، وفي طلبهم السيدان أحمد النقيب ومحمد جمال النقيب، وجموع من محلات بني سعيد وقنبر علي والفضل، يتصدرهم رؤساء تلك المحلات، وتتقدمهم الطبول والدمامات والأبواق، حاملين

السيوف ((والقامات)) والخناجر والبنادق والسدسات، معلنين السخط والاستياء، ومرددن أهاريح شعبية كما اندفعت جموع من نسوة تلك المحلات، حتى أفضى الأمر إلى الاصطدام بين الحشود و"الجنדרمة"، وإلى الاحتشاد جميعاً عند السراي ما اضطر الوالي أخيراً إلى إرجاء النظر في أمر التسجيل. ونظير ذلك الهياج حدث في الموصل<sup>(١٠٢)</sup>.

وعندما استبشر العراقيون خيراً بإعلان الدستور العثماني الثاني في تموز من عام ١٩٠٨، استغل الشاعر جميل صدقي الزهاوي سنوح الفرصة المواتية له ليقوم بدور مماثل لدور قاسم أمين في مصر - والزهاوي آنذاك أستاذ في مدرسة الحقوق، وشاب يروم شق السبيل إلى عالم الفكر والأدب والتألق - فتبنت دعوة تحرير المرأة العراقية والذود عن حقوقها، ونشرت له جريدة (المؤيد) المصرية عام ١٩١٠ في عددها ٦١٢٨ مقالة جاء فيها:

"أجاز المسلمون أن يقسو الرجل فيطلق المرأة ويستبدلها بغيرها كسقط المتاع، راداً إلى حضنها أطفالها الذين هم نتائج شهوته، وربما كانت المرأة الشرسة هي السبب لهذا الفراق، ولكن ما حيلة المرأة الوديعّة إذا منيت برجل شرس الأخلاق؟ لماذا لم يجر المسلمون أن تطلقه لتنجو من شرسته، وقد قال تعالى في كتابه المبين بعد آية الطلاق "ولهن مثل الذي عليهن". أشاعت بعض الصحف أن جماعة من النساء المظلومات شرعن يرتدن فراراً من معاشرّة أزواجهن... فلا يلومن المسلمون إلا أنفسهم، وما حيلة المضطر إلا ركوبها"<sup>(١٠٣)</sup>.

بيد أن الجمهور البغدادي، عندما طالع المقال، ضج نائراً عليه، فخف السيد سعيد النقشبندى بالرد على الزهاوي برسالة مضطربة، عنوانها (السيوف البساري في عنق المارق) كان كافياً لإرعاب الزهاوي وطافت في أزقة العاصمة حشود هائلة تصدّرها مصطفى الواعظ ومحمد سعيد الراوي، مطالبة بعزل الزهاوي من منصبه في مدرسة الحقوق، وتشديد الإجراءات ضده، فرضخ الوالي ناظم باشا إلى هذه الرغبة. فتضعع الزهاوي، وضعف تجاه هذه العاصفة العاتية برغم دعمه من بعض الأحرار المصريين كولي الدين يكن، وغيره الذين دافعوا عنه، لكن الرجل

هيمن عليه، وتوارى منزويًا، وأعلن في الصحف بقسم مغلظ أن مقالة (المؤيد) مفسوسة عليه، كما نشرت (الرقيب) البغدادية في ١٧ شوال ١٣٢٨هـ كتابه المفتوح إلى ناظم باشا:

"اسمع أن أحد المشايخ التلبسين بالتقوى في بغداد، البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقي، أخذ يدير رحي فتنة جسيمة، فيحرض الجاهلين على الإيقاع بي باسم الدين البريء من النظام، جزاء مقالة اجتماعية نشرت بإمضائي في (المؤيد الأسبوعي) كما في (تنوير الأفكار) دفاعاً عن المرأة... وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها، لم تتعين بعد أكتابها أنا أم هي مزورة على لساني من عدو لي في العراق... والذي أرجوه من الحكومة الدستورية هو أن تقتصر من الصابغين أكفهم بدمي إذا كان ما يريد المحرضون ذلك، ولظنهم أكثر من واحد... بل تعنى بتعليمهم لئلا تمتد أيديهم في المستقبل إلى منكود آخر مثلي، يتمنى في كل كتاباته إصلاحاً للأمة اجتماعياً"<sup>(١)</sup>.

إلا أن المقاومة العنيفة التي جابهتها الدعوة إلى السفور، أخفقت مع مرور الزمن في القضاء على الدعوة، لأن تطور الأوضاع الدولية والأحوال الاجتماعية، وانقراض الدولة العثمانية، وازدياد صلات العراق بالعالم الخارجي بحكم الارتقاء وتطور المواصلات وتأسيس الحكم الوطني والاطلاع، من خلال الصحف والمجلات، على النهضة النسائية في تركيا. ومن معالمها رفع النقاب والغاء الحجاب. وعلى النهضة الماثلة في إيران وأفغانستان ومصر، كل ذلك أصاب تلك القوى الرجعية بالوهن، وجرف التيار رواسب العادات البالية والتقاليد الجامدة، التي كانت سائدة أيام العهد العثماني. والنائية عن المنطق والتعليل الاجتماعي المستنير. فعندما أقام المعهد العلمي مهرجاناً شعرياً باسم (سوق عكاظ) ببغداد عام ١٩٢٢، وارتأى إسهام الفتاة العراقية فيه، أعلن عبد الرحمن النقيب، رئيس الوزارة آنئذ، تبرمه بهذه الخطوة، خصوصاً بعد علمه أن الفتاة التي اختيرت للمهمة كانت حفيذة استاذة الشيخ داوود، الذي تلقى عليه دروس الحديث والأصول. كما روى محمد جميل بيهم في كتابه "فتاة الشرق" أنه إنان زيارته ببغداد آنئذ، كلف بإلقاء محاضرة

نسائية الموضوع في منتدى التهذيب، لكن ثابت عبد النور (حيزبوز) زاره ناصحاً بالعدول عن عزمه، خشية اغتياله. إلا أنه لم يكثر التحذير، بل حظيت المحاضرة بالإقبال عليها، حتى من السيدات برغم منعهن من ذلك.

ومما يعكس بعض مواقف القوى المحافظة ردود الفعل التي تلت إلقاء قصيدة الشاعر الرصافي عام ١٩٢٢ على مسرح سينما الوطني بمناسبة حفلة تمثيلية، مهاجماً بعنف المحافظين والمتعصبين، منها:

لقد غمطوا حق النساء فشدوا

عليهن إلا خسسرجت بغطاء

الم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم

على الذل شبنوا في حسجور إماء

أقول لأهل الشرق قول مؤنب

وإن كان قولي منسخط السفهاء

إلا إن داء الشرق من كبرانه

فبعداً لهم في الشرق من كبراء

واقبح جهل في بني الشرق أنهم

يسمون أهل الجهل بسالعلماء"<sup>(٢)</sup>

فتصدى له بعنف مماثل الحاج عبد الحسين الأزري:

أكريمة الزوراء لا يذهب بك الـ

نهج المخالف بسينة الزوراء

أو يخذعك شاعر بخياله

إن الخيال مطبوعة الشعراء

حصروا علاجك بالسفور وما دروا

أن الذي حـصـروه عين الداء

أسفينة الوطن العزيز تبصرني

بالقـر لا يفررك سطح الماء

وحديقة الثمر الجني ترصدي

عبث اللصوص بسيلة ليلاء

فاتخفت جريدة (دجلة) موقف العداء من الرصافي بشكل

حملة، ورفع رجال الدين المضابط، وأصدروا الفتاوى، بيد أن

انصار الرصافي أزروه بمشاطرته الرأي في نشر المقالات الداعية إلى الاهتمام بتعليم المرأة وثقيفها، وإصدار مجلات نسائية منها (ليلي) لبوليننا حسون عام ١٩٢٢ التي لم تجرأ على البوح بالدعوة للسفور، بل على التقيض نفت ذلك في عددها الثالث<sup>(١)</sup>.

فكان الرصافي بذلك أفضل من معاصره ومنافسه الزهاوي. تلك كانت أوليات حركة التملل لنبد الحجاب والإقبال على السفور، لكن معالها اتضحت، وأهدافها استقرت بعد مساهمة مدرسة البارودية للبنات في استقبال الأمير غازي وفق منهاج الاحتفال الذي أعدته حكومة ياسين الهاشمي. إذ كانت أعمار البنات دون سن الخامسة عشرة، وملابسهن بزي الكشافة. لكن الأوساط المحافظة هاجت وماجت لهذا الحدث الغريب، فهاجمت صحيفة (لم يذكرها الأستاذ خيرى العمري في كتابه "حكايات سياسية" - وهو المرجع الذي منه استقيت الجانب العراقي من هذا البحث) مديرة تلك المدرسة، واعتبرت عملها خروجاً على الفضيلة والآداب. وخف الكاتب حسين الرحال بالرد على مثير الاتهام "جميل المدرس" المقتنع بلقب "المنزوي"، فتطور الأمر إلى أخذ ورد وجدل ونقاش، وأخيراً أفضى إلى "معركة حمامية الوطيس" بين دعاة السفور ودعاة الحجاب، جال في مضمارها الكتاب والخطباء والشعراء، دعاة السفور قلة من الشباب، لا يتجاوزون أصابع اليد عدداً كمصطفى علي ومحمود أحمد السيد وسامي شوكة وعوني بكر صدقي وسليم فتاح وحسين الرحال، إزاء دعاة الحجاب الكثرين، منهم السادة محمد بهجة الأثري ومحمد رشيد (المدرس في جامع الحيدر خانة) وسلمان الشواف ومصطفى عزت عبد السلام وتوفيق الفكيكي و خليل إسماعيل ومصطفى القاضي ورفيق نوري السعيد وحسين الظريفي والملا عبود الكرخي الذي - برغم استيعاب "مجرشته" بعض صور يؤس المرأة العراقية وتعاستها واضطهادها وامتهانها - أثر الهجوم العنيف على الشباب الواعين الداعين إلى السفور، متهما إياهم باللاسونية والإباحية والإلحاد<sup>(٢)</sup>!

من الصحف التي أزرت حرية المرأة والدعوة لسفورها جريدة (العراق) التي أفسحت صفحتها الأولى لعرض قضية السفوريين بحماسة والدفاع عنها بحرارة، بدا فيها أثر وأسلوب قاسم أمين

واضحين، بيد أنهم بعضهم عكس في مناقشاته أثراً للفكر اليساري المتأثر بنظرية تنازع الطبقات، وروح العطف على الحركة الكمالية التركية. رخصت هذه الصحيفة بافتتاح نادي النهضة النسائية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤، وعنده السفوريون ظفراً لهم وخيبة لخصومهم. ومجلة "الصحيفة" التي أصدرها حسين الرحال في ٢٨ كانون الأول ١٩٢٤، نصف شهرية، وتولى تحريرها مصطفى علي، وكثيراً ما اجتمع محرروها وأنصارها ليلاً في (مقهى النقيب) بمجلة قنبر علي للتداول. وهذه المجلة، على صغر حجمها وبساطة إخراجها، رجت المحافظين، وزعزعت بعض الإعتبارات السائدة آنذاك، بفضل ما عرضت من أحدث الآراء في التاريخ والأدب، والنظريات في السياسة والاقتصاد، وأطلعت الجمهور العراقي على جوانب من نهضة المرأة في تركيا ومصر، وترجمات نظريات السوبرمان، ومن الذين انضموا إليها فيما بعد محمد بسيم الذويب الذي نشر فيها قصيدته في الدعوة إلى السفور، والمربي الكبير ساطع الحصري الذي نشر فيها محاضرات قيمة في علم النفس وتاريخ التربية. وبعد عودة صدورهما في أعقاب توقفيهما، كتب محمود أحمد السيد في عددها الأول منذراً المحافظين قائلاً: "عننا نحن إلى ساحة الجهاد في سبيل الشعب والحرية الفكرية والحق فيها أثر وأسلوب قاسم أمين واضحين، بيد أن بعضهم عكس في مناقشاته أثراً للفكر اليساري المتأثر بنظرية تنازع الطبقات، وروح العطف على الحركة الكمالية التركية. رخصت هذه الصحيفة بافتتاح نادي النهضة النسائية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٤، وعنده السفوريون ظفراً لهم وخيبة لخصومهم. ومجلة "الصحيفة" التي أصدرها حسين الرحال في ٢٨ كانون الأول ١٩٢٤، نصف شهرية، وتولى تحريرها مصطفى علي، وكثيراً ما اجتمع محرروها وأنصارها ليلاً في (مقهى النقيب) بمجلة قنبر علي للتداول. وهذه المجلة، على صغر حجمها وبساطة إخراجها، رجت المحافظين، وزعزعت بعض الاعتبارات السائدة آنذاك، بفضل ما عرضت من أحدث الآراء في التاريخ والأدب، والنظريات في السياسة والاقتصاد، وأطلعت الجمهور العراقي على جوانب من نهضة المرأة في تركيا ومصر، وترجمات



عن أحرار الفكر نظير تولستوي، وكتابات عن نظريات السوبرمان، ومن الذين انضموا إليها فيما بعد محمد بسيم الذويب الذي نشر فيها قصيدته في الدعوة إلى السفور، والمرئي الكبير ساطع الحصري الذي نشر فيها محاضرات قيمة في علم النفس وتاريخ التربية. وبعد عودة صدورهما في أعقاب توقفها، كتب محمود أحمد السيد في عددها الأول منذراً المحافظين قائلاً: "عدنا نحن إلى ساحة الجهاد في سبيل الشعب والحرية الفكرية والحق والمثل الأعلى... عدنا أقوياء بأنفسنا... أقوياء بقلوبنا وأقلامنا... سننقد الآراء والتقاليد... سنسعى لكشف قناع الرياء في المجتمع عن ميراث العصور، سنزهد في الباطل ونسحقه سحقاً... سنرفع للمرأة الظلومة راية تعليمها وتحريرها، وذلكم واجبنا الأكبر"<sup>(٢٧)</sup>.

وكذلك جريدة (صدى الوطن) التي كتب سليمان الصفواني بعددها (٤٨) لسنة ١٩٢٩ قائلاً:

"لقد كنا نعلق آمالاً جساماً على نادي النهضة النسائية في بغداد، بأن يخلق كتلة قوية من الشابات المتعلّقات في العاصمة، ويجهر بطلب الإصلاح العلمي والاجتماعي للمرأة العراقية أسوة بأخواتها في مصر وسوريا وجاراتها تركيا وإيران، ولكن - والأسف ملء الفؤاد - لم نجد حتى الآن سيدة أو أنسة عراقية تمثل مجتمعهما كزعيمة في المؤتمرات النسوية العامة كالسيدة هدى شعراوي في مصر وغيرها في الأفطار العربية والشرقية، وعسى أن تبعث هذه الكلمة في نادي النهضة روح العمل والجرأة والثبات".

ومثلها (الحاصد) التي نشرت في عددها (١٣) لسنة ١٩٢٢ هذه الكلمة بشأن انعقاد المؤتمر النسائي في بغداد في تشرين الثاني ١٩٢٢: "الأول مرة في التاريخ، تحظى بغداد، بانعقاد مؤتمر نسائي كهذا... وللمرة الأولى يتاح للمرأة العراقية مثل هذه الفرصة النافذة، فهل لها أن تنتهزها بدراية وذكاء؟"

ومما جاء في صحيفة (العالم العربي) بعددها (٢١٢) الصادر في ٢٩/١١/٢٤، مقال حسين الرحال مناقشاً مشكلة السفور والحجاب:

"الحجاب عادة دور الإقطاعيات، وعادة الطبقة الأرستقراطية في الدور المذكور، والنساء المتحجبات عندنا منسوبات إلى أسر من أنقاض الدور الإقطاعي والمتشبهات بهن. أما

بنات الشعب الصميمات، فليس بمتحجبات، ولا يمكن أن يتحجبن. إن الحرم والحجاب ليس لهما وجود في طبقة الشعب، وسيزولان عندما تسود طبقة الشعب، وتكون هي الحاكمة كما جرى في تركيا ومصر"<sup>(٢٨)</sup>.

ومما نشرته جريدة (العراق) لصطفى علي بعددها (١٢٨٤) لسنة ١٩٢٤، رده على حملة الحجابيين:

"على رسلكم أيها الصاخبون... أستم الذين ضيقوا على الأستاذ الزمناوي، حظروا عليه الخروج من داره أياماً؟ أو لستم الذين أحسوا تلك الضجة على الأستاذ الرصافي بعد أن تلا قصيدته (مرأة في الشرق) وأعدوا له المضابط والفتاوى بخروجه علناً ومروقه منه... ويحكم لنا بمارقين ولنا بكافرين ولنا بملحدين فيما كتبنا وما دعونا وندعو إليه".

ومما نشرته لسامي شوكة بعددها (١٢٧٠) لسنة ١٩٢٤ نقاشه: "إن المطالبين في بقاء تستر المرأة وأسرارها يكون طلبهم منطوقاً زيد، ومعتدلاً أكثر، إذا ما طلبوا إلغاء التعليم ورفع التهذيب والبقاء على الحالة الهمجية".

ومما نشرته لفتاة غسان بعددها (١٢٧٩) لسنة ١٩٢٤ تهكمها: "يقول أولئك المستبدون إن البرقع والحجاب ليس معناه الأسر، فأرجو منهم أن يجربوا ولو أسبوعاً، واحداً، بل يوماً واحداً، ويتفضلوا بوضع البرقع الأسود المعلوم على وجوههم، ويلبسوا العباءتين المهودتين على أكتافهم وفوق رؤوسهم..."

ومما نشرته لعوني بكر صدقي بعددها (١٢٩٢) لسنة ١٩٢٤ نقاشه لخليل إسماعيل: "الحجاب، يا سيدي خليل، من العوائد القديمة البالية التي ابتليت بها هذه الأمة، والتي يجب أن تسعى للتخلص منها، فهي عرضية، لا محذور في إلزاقها أبداً، وهي عادة، إن وقع عليها الإجماع في العصور الماضية، فليس من العقل أن نتمسك بها بينما نعلم أنها صائرة إلى الزوال لا محالة"<sup>(٢٩)</sup>.

ومن الصحف التي ناصرت المتمسكين بالحجاب جرائد (البدائع) و (المفيد). لكنها بشكل محايد. و (الاستقلال). أما جريدة (العالم العربي) فقد اتخذت موقفاً متأرجحاً بين الطرفين المتصارعين، فهي إن نشرت مقالاً لأحد السفوريين، استدركت قائلة إنها نشرته عملاً بحرية النشر، مما نفى على عدم

إيمانها بدعوة التجديد والتحرير. ومائلها في هذا النهج الرجراج (المفيد) كذلك. فمما جاء في (البدائع) لصاحبها داود العجيل مقالة للأستاذ محمد بهجة الأثري، رئيس تحريرها، وأحد أقطاب الداعين للحجاب، ولقبه الرصافي في مجالسه بـ (بوليس السماء)، قال فيها:

"ها أنتم أولاً تتظاهرون بنصرتها والدفاع عنها... بينما السيدات الفاضلات المصونات يتبرأن من ثرثرتكم ونقيصكم... وير أن إلى الله من التبرج والسفور ومن كل من يدعوا إلى الخلاعة والفجور، ويعذون الحجاب نعمة، ما أجل منها نعمة... فهل أنتم عن غيكم منتهون؟ ألقوا حبل نساكنكم على غاربهن ودعوهم سافرات... ودعونا نفعل بهن ما نشاء، إن شئنا قتلناهن وإن أردنا وأدناهن، فلستم علينا بمسيطرين".

ومما نشرته (المفيد) بعددها (٢٣٩) لعام ١٩٢٤ مقالة لجميل المدرس - شقيق الكاتب فهمي المدرس - مناقشاً فيها دعاة السفور، ومقارناً حال المرأة قبل الاحتلال البريطاني وبعده:

"انظر قليلاً إلى الأخلاق والعفة التي كانت موجودة عند البنت العراقية قبل الاحتلال وبعده... ناشدتك الله، أين كانت مخبوءة قبل هذه السنين المشؤومة إلجواريب الخزيمة؟ والعباءة الواحدة القصيرة؟ والفسطاط القصير فوق الركبة؟ والنقاب (البوششي) أرق من هواء النسيم؟" "خذوا العبرة من النصاري واليهود مع أننا لا يمكننا أن نوجه اللوم عليهم... ورغماً على هذا لا نجد اليوم فرقة كشافية أنانية في مدارسهم كمدارسنا الأنانية. كانت البنت اليهودية العراقية قبل الاحتلال تسدل على وجهها نقاباً خفيفاً جداً كالذي تلبسه اليوم أكثر بنات الإسلام المتبرجات، ومن ثم شعروا بمضاره فأبدلوه بواحد أثخن!"

كما نشرت بعددها (٢٥٥) لعام ١٩٢٤ تهكم مصطفى عرت عبد السلام من فتاة غسان التي اقترحت أن يجرب الرجال الحجابيون وضع البرقع الأسود على وجوههم:

"حنانيك يا فتاة غسان! أراك تريدن قلب النظم الاجتماعية والشرائع. فافعلي ما تشائين، وطبقني بالفعل وأعيري عبائتك وبرقعك للفكيكي لنرى صدق دعواك فنرى الفكيكي برقعته، ونراك سافرة ونقول سبحان الذي يغير ولا

يتغير...". وتوفيق الفكيكي ذيل مقالاته الكثيرة في نبذ السفور تارة (بفحل قحطان) وتارة (بفحل نزار) وقد عد السفور لوز من التبرج!"

أما جريدة (الاستقلال)، مع صلتها الوثيقة بالحزب الوطني الذي رفع لواء المعارضة منذ أوائل الحكم الوطني حتى دخوله عصبة الأمم، فقد انتقدت بعنف المؤتمر النسائي العربي الثاني الذي انعقد في بغداد في تشرين الثاني ١٩٢٢، بباعث من تلميح إحدى الخطيبات إلى السفور، فقالت بعددها (١٧٢٩) لعام ١٩٢٢:

"إذا كانت الثمرة المرجوة من هذا المؤتمر هي رفع هذا البرقع عن وجوه نساء هذا الشرق العربي، فهو دون ما عناء أو تعب، جهد مقضي عليه إن عاجلاً أو آجلاً، ومثله كمثله الحشرات التي تأكل نفسها بنفسها حتى تموت وتفتني".

وأمام هذا النقد، الثاني عن الموضوعية، المتسم بقصر النظر والجمود، اضطر المؤتمر إلى إعادة النظر في جدول الأعمال، وأقصى عنه مناقشة السفور خشية المشكلات، ولو أن جدواً كانت في خلق الصلة بين الحركة النسائية في العراق مع الحركات المماثلة في الأقطار العربية والجاورة.

ولعل من الطريف مقارنة موقف جريدة (العراق) مع موقف جريدة (الاستقلال) في هذا المجال. فحين اتخذت الأولى موقف الداعي إلى سفور المرأة، ولم تتزحزح عن هذه الدعوة، التزمت الثانية حيالها موقف الصمت، حتى إذا افتتح نادي النهضة النسائية عام ١٩٢٤، ورحبت به (العراق)، تجاهلته جريدة (الاستقلال)، ولم تأت على ذكره إلا بعد أن خطبت سيدة بارزة مكنية الإشاعات القائلة بأنه يناصر الدعوة إلى السفور، فأكدت في عددها (٥٠٧) الصادر في ١٩٢٤/١١/٢٧ أن المقالات التي صدرت تلك الأيام بتوقيع "فتاة غسان" الذي هو اسم مستعار لإحدى كريمات الشيخ أحمد الداوود (عميد حزب الأمة آنذاك) غير صادرة عن تلك العائلة الكريمة التي لا تتود الخوض في هذا الموضوع! بينما جريدة (العراق) في عددها (١٢٧٠) لسنة ١٩٢٤ عدت تأسيس النادي فتحاً جديداً، ورحبت به قائلة: "... ونسر جداً بأن تحفزت المرأة العراقية، وقامت تريد إذاعة النهضة النسائية في المجتمع، ونعد تأسيس هذا النادي النسائي - الذي هو

أول ناد عرفته عاصمتنا المجيدة . فتحسباً جديداً لنهضتنا الاجتماعية<sup>(١٠١)</sup>.

ونقارن أيضاً مقال (الاستقلال) الأنف نصه بشأن المؤتمر النسائي الثاني بمقال (العراق) عن روح اليأس والتردد الذي هيمن على نادي النهضة النسائية، محاولة شد لزره ودعمه للثبات أمام العاصفة، ويعتبر من أجراً مقالاتها في هذا الصدد، لأنها طالبت الحكومة بتعزيد النادي، أنحت باللوم على الحكومة لتقصيرها في هذا المجال، ناعته موقفها بالحياد وعدم الاكتراث:

"إننا لا نوافق السيدات المصونات، أركان نادي النهضة النسائية، على المداراة التي يقمن بها حيال الرجعية التي تقف حجر عثرة في طريقهن وهن يردن انبعاث المرأة العراقية ونشرها من مدافن الإهمال والعبودية، لأن الطغمة الرجعية جامدة متحجرة تكره الحركة... وإذا نحن استقصينا العلة في تأخرنا الاجتماعي برغم شوقنا الشديد إلى الحضارة والتجديد، وجدناها في الحكومة. فإن حكومتنا مقصرة في هذا الباب تقصيراً كبيراً، فهي قاعدة عن تعزيد الحركة التجديدية ومن جملتها الحركة النسوية، وهي تظهر عدم الاكتراث أو الحياد في هذا الأمر، بينما نرى الحكومات في الأقطار الشرقية الأخرى هي التي تقوم بأعباء التجديد والحركة الاجتماعية والأدبية"<sup>(١٠٢)</sup>.

والمعروف عن رشيد عالي الكيلاني، عندما كان أستاذاً للعقوبات، انحيازهم إلى العجائبيين نظير يوسف العطار أستاذ الأحوال الشخصية - نقيض رؤوف الجادرجي - أستاذ القانون الدولي - وحكمت سليمان أستاذ المالية، وتوفيق السويدي أستاذ القانون الروماني الذين انحازوا إلى السفوريين<sup>(١٠٣)</sup>.

أما موقف الأحزاب من الاتجاهين، فمع أن موضوعهما (حرية المرأة - الدعوة إلى السفور - منحها حقوقها السياسية) برز مشكلاً اجتماعياً في تركيا وإيران ومصر آنذاك، فالأحزاب العراقية آنئذ: "حزب التقدم برئاسة محسن السعدون، وحزب

الامة برئاسة الشيخ أحمد الداوود، وحزب الشعب برئاسة ياسين الهاشمي. وحزب النهضة برئاسة الحاج أمين الجرججي، والحزب الوطني بزعامة جعفر أبو التمن، وغيرها وقفت حيال التطورات الاجتماعية موقفاً سلبياً، متجاهلة الاتجاهين المتضاربين المتناحرين.

كما أن البلاط أيام فيصل الاول لم يتخذ موقفاً حيال موضوع سفور المرأة وحريتها، فقد أبدى أحياناً الدعم، وأخرى التراجع عند بروز نقمة الرأي العام وسخطه، وقد يكون لهذا التذبذب في الموقف عامل التأثير ببعض القربين من البلاط - فالملك (علي) كان يحمل شقيقه على مناهضة السفوريين بينما رستم حيدر وساطع الحصري شجعا على دعمهم. أما دار الاعتماد البريطاني، فكان من سياساتها عدم التعرض إلى ما يمس التقاليد والقيم والمعتقدات السائدة في البلد، لكنها شجعت ظاهرياً تعليم المرأة تشجيعاً محدوداً، كما أن موقف الإنكليز المناهض للحركة الكمالية في تركيا - التي كانت آنئذ قبلة أنظار السفوريين - تم على عدم تشجيع النهضة النسائية، وتحريرها من الجهل والتخلف والحجاب. ولعل تصريح وكيل المعتمد السامي في خطاب القاه في إحدى المناسبات، ناعته تركيا - منبت الحركة الإصلاحية الكمالية - بأنها "قد سقطت في تلك الغواية الغربية"<sup>(١٠٤)</sup>. متناسياً أنه أحد أولئك الغربيين من أصحاب الغواية! وهذا الكلام كان متوقفاً آنذاك من ممثل دولة استعمارية كبرى. كان من شأنها الإبقاء على أحوال التخلف والجمود والاستبعاد في البلاد التي تروم استغلالها، وكان خير مخدر للرجعيين والمحافظين ومثبط للتقدميين والمتحررين في البلدان الخاضعة لنفوذها.

ومن الجدير بالذكر أن الأصوات النسائية التي ارتفعت في مجال تحرير المرأة، كانت أصوات الأنسة رفيعة الخطيب التي ناقشت إذا كانت الشريعة الإسلامية تمنع السفور، والأنسة أمينة الرخال التي نادت بوجوب استقلال المرأة اقتصادياً، وجميلة الجبوري التي شاركت في المؤتمر النسائي الشرقي الأول في دمشق في تموز ١٩٢٠، وقبلها أصوات أسماء الزهاوي،

ونعيمة السعيد، وماري عبد المسيح وزير وفخرية العسكري من هيئة نادي النهضة النسائية<sup>(١)</sup>.

لقد اعتري مفهوم السفور تطور تدريجي. ففي أوائل الدعوة له كان مفهومه لا يتعدى إزاحة النقاب عن الوجه، فكانت المرأة تعد سافرة إذا تجرنت من البرقع، بينما أضحي مفهومه فيما بعد وحتى الآن بروزها للعيان بلا عباءة وبرقع، وهذا المفهوم يواكب تطور المجتمع المتجه صوباً تقصير الشقة بين مجتمع الرجال ومجتمع النساء. فالهوة بين المجتمعين كانت عميقة أيام كانت الدور مشطورة إلى شطرين: (الحرم) والديوخانة، والحدائق تخصص أياماً معينة لدخول الإناث، وأياماً أخرى لدخول الذكور. ودور الخيالة، فعلت نظير ذلك، والنوادي كانت حتى أعوام خلت مقصورة على الرجال، خلاف ماهي عليه الآن. مفتوحة للجنسين في آن معاً. ولم تكن الجرائد قبلاً تحسن التمييز بين كلمتي (كريمة) و (عقيلة)، بل حتى بعض الوزراء في ذلك الحين، التبس عليهم هذا المدلول<sup>(٢)</sup>!

أما من هي العراقية الأولى التي طرحت النقاب وبرزت سافرة، فقد اعتذر الأستاذ خيرى العمري عن التصريح بذلك، وعذره أنه لا يروم "التورط كما تورط غيره في حكم قساطع بهذه المسألة" لانعدام الدليل على ذلك، لكنه يستدرك بأن بغداد قبل عام ١٩٣٢ ربما لم تخل ممن أرحن النقاب عن أوجههن، وأن قرينة حكمت سليمان قد تكون من بينهن، في حين كانت أكثر الريفيات سافرات الوجوه<sup>(٣)</sup>.

وما كاد العقد الثالث من هذا القرن ينتصف، حتى كانت صيحة عبد الرحمن البتاء القائلة:

أيها القوم أصلحوا أنفسكم

خاب من رام سفور الوجه خاباً

قد تبدلت سدى كصرخة في فندق، نظير صيحة حسين ظريف الأعظمي في أبياته:

لئن زعموا أن السفور تجندا

فإني لأبى في الحساية التجندا

إذا كان تحجيب النساء تقيناً

فإني لأهوى للنساء التقيناً

وإن كان تمهيد السفور من الهدى

لعمر الهوى إني لأبشراً للهدى<sup>(٤)</sup>

وغدا نقس المعركة التي نشبت بين السفور والحجاب أثراً بعلين، غب ارتفاع راية الأول وانخفاض راية الثاني، وبات ما رافقها من ضجيج واصطخاب في ذمة التاريخ.

وكمثل على حسن الاستقرار والاستشفاف، أورد ما يأتي من مقال عنوانه (المرأة - ماضيها - حاضرها - مستقبلها) بقلم حسين محمود، نشرته مجلة (العصور) المصرية في عددها الثالث من مجلداتها الأول، الصادر في كانون الأول من عام ١٩٢٧ أي قبل نصف قرن ونيف:

"فالتطور لا بد منه، والانقلاب لا محالة واقع. لهذا كان الواجب علينا أن نوجه خطى هذا الانقلاب في وجهة يستفيد منها الجموع... ولقد أخذت فكرة السفور في الانتشار، ولم يفد الجدل في القضاء عليها. وبدأ الجامدون يقللون من غلوائهم ضد تعليم المرأة تعليماً رافياً...". (ص ٢٧٤).

## حجاب الرجال في عصر سفور النساء!

لا جدال أن المرأة في غالب أقطار العالم المتحضر، في العصر الراهن، تظهر للملا سافرة الوجه، خلا أقطاراً أو أصقاعاً نائية عن زخوف الحضارة ووسائل المنية الحديثة، لا يعتد بها من حيث عدد السكان والرقعة الجغرافية. لكن من أغرب الغرائب في هذا العصر هو تحجب الرجال. فكيف وأين ذلك؟!

إنهم رجال قبيلة "الطوارق" الذين يحيون ويقضون نحبهم بدون إزاحة الحجاب الأسود عن وجوههم، حتى في أثناء تناولهم الطعام، بينما نساؤهم يستخدمون الحجاب! يقطنون منطقة "الهوجار" جنوبي الجزائر في الشمال الأفريقي، ويحيون كما عاش أسلافهم قبل قرون.

رجال الطوارق ذاتهم يجهلون البشاعة على تغطية وجوههم بالثام، ولا يعرفون له تعليلاً غير العادة المتوارثة من

قرون خلت. وإذا حاول فرد نزع اللثام عن الطوارقي المثلث، فمصيره القتل! وتعلل الأساطير إرتداء الحجاب أو اللثام بأن أصل الطوارق يعود إلى "جن" كبير إقترن بأنسية، فنسلا أولاداً مشوهين السحنة، فسترُوا أوجههم باللثام. واستناداً إلى استاذ في مدرسة ابتدائية من أبناء الطوارق، م الهدف من اللثام إخفاء الضم، لاعتقادهم أنه مدخل رمق الحياة، فعليهم حمايته من

الأرواح الشريرة! لكن أليس فم النساء مدخل أرمامهن كذلك؟ وأكبر عيب، بل خطيئة لا تغتفر في "الهورجار" أن ترى امرأة تغر رجل. لذا فهم يتنازلون طعامهم وشرابهم من تحت اللثام بدون أن يخلعوه، وطوله (١٥) متراً، ويستر كل الوجه خلا العينين<sup>(٣١)</sup>!

## الهوامش

- (١) قاسم أمين. الأعمال الكاملة. ص ٦٢. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، ١٩٧٦.
- (٢) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٥٢.
- (٣) المصدر السابق ص ٥٤.
- (٤) ديوان مجنون ليلى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٢٩.
- والأغاني للأصفهاني ج ١
- (٥) الأغاني. للأصفهاني ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٩.
- (٦) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٥٦.
- (٧) الأغاني / ج ١ ص ١٧٢.
- (٨) الأغاني / ج ١ ص ١٧٢.
- (٩) الأغاني للأصفهاني ج ٦ ص ٥٢. ١٧.
- (١٠) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ج ٥ ص ٦٠. ٦١.
- (١١) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٦٠. استناداً إلى الأغاني ج ١ ص ١٨٢ و ج ١ ص ١٨٤.
- (١٢) المصدر السابق نفسه ص ٦١. استناداً إلى الأغاني للأصفهاني والمعهدي ج ٢ ص ١٢٢ و ١١٦.
- (١٣) المصدر السابق نفسه ص ٦٢ (تاريخ زيدان).
- (١٤) جرجي زيدان. المصدر المذكور سابقاً. ج ٥ ص ٦٤.
- (١٥) المصدر السابق نفسه. ص ٦٥ بالاستناد إلى (الأغاني) و (الفرج بعد الشدة) و (ترهين الأسواق) و (ألف باء) ج ٢ ص ٧٧.
- (١٦) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٥٢.
- (١٧) الأغاني / ج ١ ص ١٧٢.
- (١٨) الأغاني. للأصفهاني ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٩.
- (١٩) جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج ٥ ص ٥٦.
- (٢٠) قاسم أمين. تحرير المرأة. الأعمال الكاملة (مذكور في هامش (١) ج ٢ ص ٤٦).
- (٢١) المصدر السابق نفسه، ص ٤٧.
- (٢٢) محمد البنداري (مذكور في هامش ١٨) ص ١٠٢. ١٠٣.
- (٢٣) قاسم أمين (تحرير المرأة) ص ٤٥ (٢٢) تحرير المرأة ص ٨٦ و ٨٧.
- (٢٤) مجلة (العصور) المصرية، عدد أكتوبر ١٩٢٧، ص ١٢٠. أنظر كذلك ص ٧٩ من تحرير المرأة.
- (٢٥) حنا الفاخوري (تاريخ الأدب العربي) ص ١٠٣٦. المطبعة البوليسية. بيروت، بدون تاريخ.
- (٢٦) المصدر السابق، ص ١٠٣٧.
- (٢٧) ميخائيل صوايا. أحمد فارس الشدياق. ص ١٦١. ١٦٢، دار الشرق الجديد. بيروت ١٩٦٢.
- (٢٨) عيسى فتوح. أديب إسحق باعت النهضة العربية. ص ١٨٢. ١٨٦.

- مطبعة كرم، دمشق، ١٩٧٦
- (٢٨) ولي الدين يكن - مناهل الأدب العربي - مختارات رقم ٤ - مكتبة صابر، بيروت، بدون تاريخ.
- (٢٩) مي زيادة - باحثة البادية، دراسة نقدية - ص ١١٨ - ١٥٠، مؤسسة نوفل، بيروت ١٩٧٥
- (٣٠) المصدر السابق، ص ١١٣
- (٣١) المصدر السابق، ص ١١٤
- (٣٢) المصدر السابق، ص ١١٥
- (٣٣) المصدر السابق، ص ١١٦
- (٣٤) المصدر السابق، ص ١١٦ - ١١٨
- (٣٥) المصدر السابق، ص ٦٩ - مقتبس من نص باحثة البادية الموسوم (النسائيات)
- (٣٦) المصدر السابق، ص ٥٦
- (٣٧) المصدر السابق، ص ١٢٤
- (٣٨) المصدر السابق، ص ٥٤ / ٥٥
- (٣٩) محمد البنداري (مذكور في الهامش ١٨) ص ٦٥ - ٦٦
- (٤٠) قاسم أمين (مذكور في الهامش رقم ١) تحرير المرأة، ص ٥٤
- (٤١) المصدر السابق، ص ٥٧
- (٤٢) المصدر السابق، ص ٥٨
- (٤٣) المصدر السابق، ص ٥٩ - ٦٠
- (٤٤) المصدر السابق، ص ٦٠
- (٤٥) المصدر السابق، ص ٦٢
- (٤٦) المصدر السابق، ص ٦٧
- (٤٧) المصدر السابق، ص ١٥٢
- (٤٨) المصدر السابق، ص ١٣ - ١٤
- (٤٩) محمد البنداري (مذكور في هامش ١٨) ص ٥٥
- (٥٠) المصدر السابق، ص ٥٦ - ٦٩
- (٥١) المصدر السابق - أنظر الصفحات ٧٠ - ٨٦
- (٥٢) أنظر مقال خيرى العمري (معركة السقور في العراق) في كتابه (حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث) ص ٩٢ - ١٤٥، دار الهلال ١٩٦٩.

## مصادر البحث

- ١- الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دراسة وتحقيق الدكتور، محمد عمارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٦
- ٢- المرأة ومركزها الاجتماعي في الدولة، محمد البنداري، دار عزت خطاب - القاهرة
- ٣- تاريخ التمدن الإسلامي - جرجي زيدان
- ٤- بناة النهضة العربية - جرجي زيدان، دار الهلال
- ٥- الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني، دار مكتبة الحياة - بيروت ج ٢، ٦٥٠
- ٦- عائشة تيمور - لمي زيادة - مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٧٥
- ٧- باحثة البادية - لمي زيادة - مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٧٥
- ٨- أدب إسحق - لعيسى فتوح - مطبعة كرم - دمشق ١٩٧٦
- ٩- حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث - لخيري العمري - دار الهلال ١٩٦٩
- ١٠- تاريخ الأدب العربي - لعنا الفاخوري - الطبعة السادسة - المكتبة البوليسية - بيروت - لبنان - مجهولة التاريخ
- ١١- أحمد فارس الشدياق - ليخائيل صوايا - دار الشرق الجديد - بيروت - ١٩٦٢
- ١٢- اسمى طوبى - عبر ومجد - الطبعة الأولى - مطبعة قلفاظ - بيروت ١٩٦٦
- ١٣- مجلة (العصور) المصرية - العدد (٢) المجلد (١) تشرين الأول ١٩٣٧ والعدد الذي يليه.
- ١٤- دهبان المتنبي - شرح الشيخ ناصيف اليازجي - مجهول المطبعة والتاريخ
- ١٥- تاريخ اليعقوبي - دار صابر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٠



# الجاحظ والدرس الصوتي ((اللغات))

احمد ابراهيم صاعد

الصوت جوهر لا عرض، قال في ذلك: ((والصوت آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً، ولا متثوراً، إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون، مع الإشارة، من الدل والشكل، والتقليل والتثني))<sup>(١)</sup>.

ومن يمعن النظر في المضمونات اللغوية في الفقرة السابقة يجدها، لا تنأى عما ألفه البحث اللغوي الحديث إن لم يكن قد سبق إليها الجاحظ. ولا أريد التوسع في هذا لأن له حلقة في غير هذا البحث. سواء ما يتصل بالهدف أو الاتجاه أو الفكر.

بل كان سباقاً إلى مجالات تطبيق علم اللغة، وحقوقه مثل ((علاج عيوب الكلام، والترجمة، وعلم اللهجات، وعلم المعاني، وعلم الخط وتعليم اللغات، وعلم اللغة التقابلي...))<sup>(٢)</sup>.

كان له حظ وافر في المجالين النظري والتطبيقي؛ فقد وقف على كثير، من الظواهر اللغوية، فأقبل عليها بالشرح والتحليل والشاهد والمثال حتى جعلنا نسمع الجاحظ، وكأنه أحد علماء اللغة المعاصرين الذين يتكلمون في أنظمة اللغة الحية، وقوانينها، وظواهرها. وأصولها، وفروعها.

ولما كان الميدان اللغوي الذي سلكه الجاحظ واسعاً في أبوابه ارتأيت أن أقصر بحثي هذا على جانب واحد هو ((اللغات في الدرس الصوتي لدى الجاحظ)).

اللغات : مفرد لها لغة، بضم اللام، وهي ذات خطر في الوحدات الصوتية؛ لأنها تؤدي، إلى فقدان بعض تلك الوحدات، ومن ثم

عرفت الاوساط الأدبية، والفكرية، الجاحظ أديباً ومفكراً متميزاً بثقافة واسعة، متعددة الآفاق والمشارب، كما عرف بطابعه الأدبي، والبلاغي، وفنه الكتابي، فهو صاحب مدرسة في الكتابة والأدب والفكر، لها أسلوبها المتميز، بالأسهاب والتكرار، والأصالة، والعمق.

هو تلميذ البصرة التي تمتد بجذورها الأدبية إلى أبعد من سوق البرند، وتمتد بجذورها الفكرية إلى أبعد من حلقة واصل بن عطاء. تتلمذ على يد النظام "الفكر المعتزلي".

فهو عالم بالأدب، فصيخ، بليغ، صاحب التصانيف المشهورة. وإمام من أئمة المعتزلة، صاحب الفرقة التي عرفت باسمه ((الفرقة الجاحظية)).

توسع الباحثون في أبحاثهم في حياته الأدبية، والفكرية، ووضعوا في تلك الحياة الخصبة توالييف عظيمة النفع، جمة الفوائد، ولم يقتصر ذلك الأمر على البحث في ادب الجاحظ وفكره على العقلية العربية، بل شغل العقل الاستشراقي<sup>(٣)</sup>.

أما الأوساط اللغوية فكانت في نظرها، في فكر الجاحظ اللغوي ضئيلة؛ إذ جاءت كتابات متناثرة في أفق الجاحظ اللغوي الرحيب ولا أرى سبباً، في ذلك، غير أن أفكاره في اللغة، كانت عقوداً موزعة في كتبه، ورسائله، ونظراته هنا وهناك، فلم يضع كتاباً في اللغة مثل كتابات أقرانه، ومعاصريه.

لقد سبق أبا الفتح<sup>(٤)</sup> في نظرية نشوء اللغة<sup>(٥)</sup>، كما كان من السباقين إلى الفصل والتمييز بين صنفين من الدراسات النحوية، وإلى الدعوة إلى تيسير الدرس النحوي، وإلى القول: بأن



تعود الى تغير المعنى نتيجة حلول وحدة صوتية، محل أخرى. هذا من حيث أثر الوحدة في البنية الصوتية، والدلالة المعنوية. والان ينقلنا البحث الى تعريف اللثة وحدها فنقول: اللثة: هي (( حنسة في اللسان أو ثقل فيه ))<sup>١٩</sup> أو هي (( غدول المرء بحرف الى آخر )) وهذا القول الأخير للزهري. والجاحظ يحدد اللثة بالثقل في الكلام، يقول: (( ويقال: في لسانه حنسة، إذا كان الكلام يثقل عليه ))<sup>٢٠</sup>.

إذا الحنسة ناشئة عن ثقل في الكلام، ونسبوا الحنسة الى اللسان، لأنه من الأعضاء المهمة في صنع الكلام ويكون ذلك، بتدويره ومداه، وارتفاعه، وانخفاضه، وتقدمه، وتأخره. هذا بالإضافة الى صلته بالأعضاء الأخرى كالطبق واللثة، والاسنان، واللهاة.

وأشار الجاحظ الى خطر اللثة في البيان، واضطراب الكلم فقال: والذي يغتري اللسان، مما يمنع البيان أمور: منها اللثة))<sup>٢١</sup>.

فاللثة لا يقتصر خطرها على كونها مجالاً لإثارة الضحك أو فقدان وحدة صوتية يصحبها تغير المعنى بل هي ذات خطر في البيان، والفصاحة التي تعد أحدي مكونات البيان، والإفهام.

### اقسام اللغات:

يرى الجاحظ أن اللغات بحسب الخصائص المميزة لها تنقسم قسمين. وهذا التقسيم ناشئ عن ملاحظة دقيقة، لما تتصف به اللثة من مجال صوتي يعود الى تحقيق معنى، أو لا يمكن أن يكون حرفاً في بنية خاصة، وإنما يكون صوتاً مجرداً، أو وشوشة.

### القسم الأول

وهي اللثة التي لا يمكن تصويرها بالخط، أي، ليس بالامكان تحويلها الى حروف مسموعة أو مكتوبة، إنما هي أصوات لا يمكن تمثيلها بالحروف. قال الجاحظ بشأن هذا النوع من اللغات: (( فأما التي على الشين المعجمة، فذلك شيء لا بصورة الخط: لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من الخارج والمخرج لا تحصي، ولا يوقف عليها ))<sup>٢٢</sup>.

ويثير الجاحظ في تفسيره للثة هذه عدة قضايا صوتية هامة هي:

١- إن تلك اللثة ليس باستطاعة الألف أن يمثلها في وحدة

صوتية (فونيم)، فهي صوت مجرد أو وشوشة، كما قلت، لا ينتج عنها أثر في المعنى أو البنية الصرفية (مورفيوم).

٢- وإن تعدد المخرج الذي أشار اليه الجاحظ، هو تعدد الصفات لأن الصفات الصوتية، من جهر، الى همس أو شدة، أو رخاوة أو استعلاء... هي التي تتعدد، أما المخرج فعددها ثابت.

هذا ما يتصل بالاصول المتمثلة بحروف: أي، رموز، أما إذا كان ما يعنيه الجاحظ أصواتاً مجردة. وأظن ذلك الذي كان يريده. فهي لا تعد بمخرج.

ولم يقف الأمر لدى الجاحظ عند اللثة في الوحدات الصوتية في اللغة العربية، بل كان قد امتد بملاحظاته الثاقبة الى ما يتصل بخصائص علم اللغة التقابلي، كما نبهت سابقاً، فراح يكشف عن تلك اللثة التي يمكن أن نسميها صوتية مجردة في السنة الأمم الأخرى، وحياتهم اللغوية.

فهو يبين تلك اللثة في لغة العجم، بل يراها أكثر خصوصية في لغة (( الخوز )) يقول: وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم، وليس ذلك في شيء، أكثر منه في لغة (( الخوز ))، وفي سواحل البحر، من أسياف فارس، ناس كثير، كلامهم يشبه الصغير ))<sup>٢٣</sup>.

ورأى ذلك أصواتاً مجردة، ليس للقلم عليها حيلة في تصويرها، فقال: فمن يستطيع أن يصور كثيراً، من حروف الرزمة والحروف التي تظهر في فم الجوسسي، إذا ترك الإفصاح، عن معانيه وأخذ في باب الكناية، وهو على الطعام ))<sup>٢٤</sup>.

والمعاني التي يقصدها الجاحظ من رزمة، وعدم إفصاح تلحق الفارسي، وهو على الطعام هي (( الرطانة، والأصوات البهمة التي يديرها في خيشومه، وحلقه، غير مصحوبة بحركة لسان أو شفة ))<sup>٢٥</sup>.

### القسم الثاني

وهي اللثة التي يمكن تسميتها بالمصورة استناداً الى قول الجاحظ فيها، وتحديددها إياها.

وهذا القسم ذو خطر في الوحدات الصوتية، وفي نفس صاحب اللثة؛ لأنها تؤدي الى إبدال وحدة صوتية، مكان أخرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى، تكون ذات عيب مثير للضحك أو للسخرية

ممن ظهرت فيه اللثغة.

وهذا النوع هو الذي جعله الجاحظ ممكناً تصويره بالحرف. وخصه بأربعة أحرف هي<sup>(١)</sup>:

١. السين.

٢. القاف.

٣. اللام.

٤. الراء.

الحبشي.

يقول الجاحظ مستعرضاً موضع اللثغة: كقولهم لأبي يكسوم: (أبي يكتوم)، وكما يقولون: بثرة، إذا أرادوا: بشرة، وبتم الله، إذا أرادوا: بسم الله<sup>(٢)</sup>.

ومما سمعته في تجربتي قولهم: التلام عليكم، إذا أرادوا: السلام عليكم. وقولهم: فلان ما ثاء، إذا أرادوا: فلان ما ساء.

### الحرف الثاني [القاف] واللثغة العارضة له

القاف صوت موضع اختلاف بين الأقدمين والمحدثين، من حيث الخصائص الصوتية، فيصفة الأقدمون، بالجهر، وبصفة المحدثون بالهمس<sup>(٣)</sup>. وهو كذلك ينطق به مجيدو القراءات الآن في مصر، على الرغم من أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها إحدى الأصوات المجهورة<sup>(٤)</sup>. وهو من الأصوات الشديدة.

وما يحدث لهذا الصوت في الختجرة بات أمراً غير معلوم، على الرغم من تطور السرس الصوتي، واعتماد علماء الأصوات التجارب الحديثة في المختبرات الصوتية. فالأجهزة غير قادرة على وصف ما يحدث له في هذا الموضع<sup>(٥)</sup>.

أما الحرف الذي يبدل منه فهو حرف ((الطاء))، والطاء: حرف مجهور شديد، طبعي. فهو يشاكل حرف ((القاف)) لدى الأقدمين في صفة الجهر، ويشاكله لدى المحدثين، في صفة الشدة. فهل هذه المشاكلة الصوتية بين الحرفين هي التي سمحت بهذا التبادل. ولكنه يبقى تبادلاً مفروضاً، له نتائج غير المحمودة في الدلالة المعنوية، ويبقى يحمل صفة من صفات العيوب النطقية. ولا يغفل الجاحظ عن الأمثلة التطبيقية في عرضه للثغة التي تعرض لهذا الحرف فيقول: فإن صاحبها، يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: قلت له، وإذا أراد أن يقول: قال لي، قال: طال لي<sup>(٦)</sup>.

### الحرف الثالث [[اللام]] واللثغة العارضة له

اللام صوت يتميز بالجهر والرخاوة، وهو صوت منحرف، وهو من الأصوات التي توصف بأنها مائعة.

واللثغة العارضة له ثنائية. فهو يبديل عند الألتغ إما ((ياء))

وذكر الجاحظ لهذه الأحرف على هذا النحو غير مرتبط بناحية صوتية، أو قساعدة صوتية. ولكن يظهر لي أنه آخر الحرف الذي يتعرض للثغة ثنائية أو أكثر، وهو صوت ((الراء)). ولم يكن الإبدال بين الحرف الذي فقده الألتغ من معجمه الصوتي والحروف الأخرى، التي حلت محله، على قدر واحد، ولا درجة صوتية واحدة، وإنما يختلف من حرف إلى آخر من حيث القدر والدرجة.

ولشارة الجاحظ إلى هذه الأحرف وتخصيصها باللثغة، لم يكن على سبيل الحصر.

### الحرف الأول [[السين]] واللثغة العارضة له

السين في الوصف الصوتي: صوت مهموس رخو، يستحيل في حالة الوقف، دون حالة الوصل<sup>(٧)</sup> وهو من المجموعة الأسلية وهي ((السين، والصاد، والزاي)) وتسمى أحرف الصفير وهي المصاحب إلتاجها صفير.

ويبدل هذا الحرف بحرف هو ((الطاء)) عند الألتغ، كما أشار إليه الجاحظ<sup>(٨)</sup>. فالطاء وحدة صوتية موجودة في المعجم الصوتي لدى الألتغ، في حين نجده فاقداً للوحدة الصوتية التي هي ((السين)).

وكلا الحرفين ((السين)) و ((الطاء)) يشترك في الخصائص الصوتية، كالههمس، والرخاوة. ولهذا السبب. كما اظن نشأ التبادل بين الصوتين، لكنه تبادل مقيد، لا يخضع لإرادة الألتغ.

ونزودنا الجاحظ بأمثلة نطقية من الواقع الاجتماعي الذي ظهرت فيه مراقبته، بدقة. وموضع التطبيق يظهر في أسماء شخصيات، كشخصية أبي يكسوم، وأبو يكسوم هذا، كنية إبرهة

وإما ((كافا)).

والصوت الاول ((الياء)) يتحد مع اللام، في صفتي الجهر والرخاوة، فكل منهما رخو مجهور، يشكل وحدة صوتية أساسية في اللغة العربية.

ومثل الجاحظ لهذه اللغته لفظتان هما: ((اعتينيت، والجمل)) قال: فإن من اهلها، من يجعل ((اللام)) ((ياء)) فيقول بدل قوله: ((اعتلت)) ((اعتينيت))، وبدل ((جمل)) ((جمي))<sup>(٣)</sup>.

والصوت الثاني هو ((الكاف)). وهو صوت شديد مهموس لا تجمع صفة صوتية أو مخرجية، مع صوت اللام، فليس بينهما قرابة صوتية يمكن بها أن يفسر هذا الابدال، وإن كان قسرياً.

والتعامل مع الاصوات المهموسة يتطلب جهداً عضلياً أكثر من التعامل مع الاصوات المجهورة، وإنتاجها، فكيف انتقل اللسان من وحدة صوتية في إنتاجها بسهولة إلى وحدة في إنتاجها جهد عضلي؟

ومثل هذه اللغته رجل اسمه عمر أخو هلال، ولا يهمن من هو عمر، إنما الذي يهمن الوسط العامل لهذه اللغته فيقول الجاحظ: كالذي عرض لعمر أخي هلال، فإنة إذا أراد أن يقول: (ما العلة في هذا)، قال: مكبكة في هذا؟<sup>(٤)</sup>.

### الحرف الرابع [[الراء]]. واللغته التي تعرض له.

واللغته التي تعرض لهذا الحرف رباعية، كما يراها الجاحظ، لذلك يعد هذه الحرف أكثر الحروف غرضة للغات.

والراء صوت مجهور، رخو، ذلق، لأن ذلق اللسان يطرق اللثة عدة طرقات لكي يتكون هذا الصوت.

وبحكم الموازنة التي أجراها الجاحظ بين هذا الحرف، وحرف اللام وجد أن اللغته المتحققة فيه، تضعف على عدد لغته ((اللام)) فاللام يعرض له لغتان، في حين أن حرف ((الراء)) تعرض له أربع لغات.

وهذا الحكم الذي قال به الجاحظ، لا يبد من أنه متأب عن استقرار ودقة في الملاحظات الصوتية، لما يجري في الوسط الذي كان يشغل الجاحظ، من ظواهر صوتية.

ويميز بين اللغات العارضة لهذا الحرف. فبعضها أقبح من بعض، فاللغته، بالغين أقل قبحاً يقول: ((وإما اللغته في الراء

فتكون بالياء والطاء والذال والغين، وهي أقلها قبحاً وأوجدها في ذوي الشرف وكبار السن وعلمائهم وبلغائهم))<sup>(٥)</sup>. ولم يفسر لنا سبب القبح أكثر أو أقله، فعلى الرغم من أن مخرج الغين أبعد من مخرج صوت ((الذال))، وكل منهما يحتاج إلى جهد عضلي متقارب لأنهما من الحروف المجهورة، فالغين أقل قبحاً في رأيه. وربما التفسير في ذلك يكون بإمكان معالجة اللغته؛ لذلك وصف اللغته بصوت ((الغين)) بالقبح القليل.

والوسط الذي يتعرض لهذه اللغته، ويكون أكثر قبحاً وشناعة في ظهور اللغته عليه، هو وسط كبار السن، وبلغائهم، وأشرافهم وعلمائهم.

وأول الحروف التي تعرض لحرف ((الراء)) هو حرف ((الياء)) والياء حرف مجهور رخو، فهو مشابه لحرف ((الراء)) في صفاته الصوتية فلا غرابة في حلوله محل حرف ((الراء)) الذي فقدته بجديّة اللغ الصوتية.

وموضع المثال الذي اختاره الجاحظ لأظهار اللغته لفظة ((عمرو)) فقال: فمنهم من إذا أراد أن يقول: ((عمرو))، قال: ((عني)) فيجعل ((الراء)) ((ياء))<sup>(٦)</sup>.

وثاني الحروف هو حرف ((الغين)). والغين من حروف الاستعلاء وهو صوت مجهور رخو، ولعل هذه الصفة الصوتية المشتركة بين الحرفين: أي، بين ((الغين)) و ((الراء)) هي التي جعلت الاستعارة الصوتية بينهما ممكنة لدى الأثنغ، وإن كان الإبدال خارجاً عن الترحيح الصوتي: أي: الاختيار.

واتخذ الجاحظ المثال السابق لأجراء اللغته عليه وهو لفظة ((عمرو)) إذ قال: ((ومنهم من إذا أراد أن يقول ((عمرو)) قال: ((عنع))، فيجعل ((الراء)) ((عينا))<sup>(٧)</sup>.

وثالث الحروف في هذا الموضع هو حرف ((الذال)) والذال كأي وحدة صوتية أساسية، في اللغة العربية، انتقل إليها الأثنغ بعد فقدانها الوحدة الصوتية ((الراء)).

والذال صوت مجهور، رخو، ذلق، فهو من المجموعة الصوتية للراء التي تسمى (المجموعة الذلقية).

والمثال في هذا الموضع لهذه اللغته هو نفسه الوارد، في الموضعين السابقين، وهي لفظة ((عمرو)) يقول الجاحظ: ((ومنهم من إذا

أراد أن يقول ((عمرؤ)) قال: ((عمرؤ))، فيجعل ((الراء)) ذالاً. ويمثل الجاحظ لهذه اللغته بجنس آخر من الكلام هو الشعر وتكته يجعله مداداً لللغات الأربع، التي تعرض لهذا الحرف ((الراء)):

قال: ((وإذا أنشد قول الشاعر: واستبدت مرة واحدة

إنما العاجز من لا يستبد  
ورابع الحروف في هذه اللغته هو حرف ((الظاء)). والظاء صوت رخو منجهور، لثوي، فهو يشترك في الصفات الصوتية القائمة في صوت ((الراء))، لذلك يمكن تفسير انتقال لسان الألتغ إلى هذه الوحدة الصوتية، وإن كان انتقالاً مقيداً.

وشاهد الجاحظ لهذا الصوت هو النص الشعري السابق يقول<sup>(١٢)</sup>: ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة، فإذا أراد أن يقول: واستبدت مرة واحدة

إنما العاجز من لا يستبد  
قال: واستبدت مظلة واحدة

إنما العاجز من لا يستبد  
**صفات اللغات من حيث القبح**

يميز الجاحظ بحسه وذوقه اللغوي، بين لغة وأخرى، فيما يتبينه من قبح، فيرى لغة قبيحة، وأظنها استحققت هذا الوصف من الجاحظ؛ لأنها موضع للسخرية، والضحك أو لأنها تعرض لكبار السن والجم، كما مر سابقاً من رأي له.

فهو يعرض اللغات في معرض التفاوت، ويصفهن على النحو الآتي:

١. اللغة الحفيرة يقول فيها ((واللغة التي في الراء، إذا كانت بالياء، فهي أحقرهن، وأوضعهن لذي المروءة))<sup>(١٣)</sup>.

٢. اللغة الثانية التي تكون أقل أثراً من الأولى هي ((التي على الياء))<sup>(١٤)</sup>.

٣. اللغة الثالثة التي تكون أقل قبحاً من الثانية هي ((التي على الذال))<sup>(١٥)</sup>.

٤. اللغة الرابعة وهي التي وصفها الجاحظ بأنها أنسرهن

هي ((التي على الغين))<sup>(١٦)</sup>: والسبب في كونها أنسرهن، أنها لم تكن عصية بل يمكن تجنبها بالمران وطول التهذيب فصاحبها لو ((تكلف مخرج الراء على حقها، والإفصاح بها لم يك بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً))<sup>(١٧)</sup>.

وما وجده الجاحظ من الفوارق بين اللغات في صفة القبح يكمن في أن الجهاز الصوتي لا يستطيع بعض أعضائه إنتاج بعض الوحدات الصوتية، مهما تكلف صاحب اللغة. وأتى من جهد.

وشاهد الجاحظ في ذلك الواقع اللغوي لبعض الأفراد ومنهم محمد بن شبيب المتكلم وهو من وسط الجاحظ الفكري فكان هذا الرجل إذا أراد يقول: ((عمرؤ، على الصحة، قاله))<sup>(١٨)</sup>.

### تعدد اللغات

ربما تعدد اللغات في الوسط الحامل لها - أعني بالوسط: الشخص - وذكر الجاحظ، لنا، وسطاً حاملاً غير لغة، وسمى ذلك الوسط بأنه هو ((شوشى)) وأراد أن يقربه لنا فنسب صخبته إلى عبد الله بن خالد الأموي، فقال: ((وربما اجتمعت في الواحد لغتان، في حرفين، كلغة ((شوشى))، صاحب عبد الله ابن خالد الأموي، فإنه كان يجعل ((اللام)) ياء، و((الراء)) ياء. قال مرة: مؤياي ويى ايني، يريد: مولاي ولي الري))<sup>(١٩)</sup>.

ويرى الجاحظ أن المصاب بلغتين، لا يمكنه الإصلاح منهما يقول: ((فأما من تعثر به اللغة في ((الضاد)) وربما اعترأ أيضاً في ((الضاد)) و((الراء))، حتى إذا أراد أن يقول: ((مضر)) قال: ((ميني)) فهذا وأشباهه لا حقون بـ((شوشى))<sup>(٢٠)</sup>.

وشوشى اعترته لغتان.

### ما هو أقل من اللغة.

لم يكتف الجاحظ بوصف اللغات، التي تكون مسببة عن فقدان وحدات صوتية في المعجم الصوتي للألتغ، بل وصف بعض الأمراض الكلامية التي تكون أقل خطراً وأثراً في حياة أصحاب تلك الأمراض، فتتبعها، ووصفها كما ظهرت له.

[١] الخبسة: يوصف بها الشخص ((إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حد الفأفاء، والتمتمام))<sup>(٢١)</sup>.

قال الأصمعي في حد التتمام، والفأفاء: ((إذا تتعج اللسان في

التاء، فهو متمم، وإذا تتعتع، في الفاء، فهو فافاء))<sup>(١١)</sup>.

وقال الفيومي: ((تمتم الرجل، متممة، إذا تردد في التاء فهو متمم<sup>(١٢)</sup> وقال أبو زيد في تعريف التمام ((هو الذي يعجل في الكلام، ولا يفهمك))<sup>(١٣)</sup>.

أما الفافأة: فهي التردد في الفاء، كما فسالة الفيومي، والرجل فافاء<sup>(١٤)</sup>. وقال السرقسطي: الفافأة: حبيسة، في اللسان<sup>(١٥)</sup>.

فكل من الحبسة، والفافأة، والتممة، ثقل في اللسان ولكن الحبسة أقل أثراً منهما، في النطق.

وقال أبو الزحف في ذم الفافأة، والتممة<sup>(١٦)</sup>.

لست بفافاء ولا متمم

ولا كثير الهجر في الكلام

٢. العقلة: ويوصف بها الشخص ((إذا انعقل عليه الكلام))<sup>(١٧)</sup>

بمعنى: ((حبس لسانه عن الكلام: أي منع فلم يقل عليه))<sup>(١٨)</sup>.

٣. اللكنة: وهي خاصة بالعجم الذين يتعلمون العربية

فتعاورهم عند الكلام، بالعربية الطبيعية الأولى، أي طبيعة الاصوات الأعجمية. وعرفها الجاحظ بقوله: ((إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب))<sup>(١٩)</sup>. وقال في بيان أثر الاصوات الأعجمية في إخراجها للاصوات العربية. و((جذبت لسانه العادة الأولى إلى الخرج الأول))<sup>(٢٠)</sup>.

ويقول الفيومي في حذم للألكن: ((والألكن الذي لا يفصح بالعربية))<sup>(٢١)</sup>.

واللكنة خاصة بالأعاجم، كما قلت، والأدلة على ذلك: قول الفيومي السابق، وقولا الجاحظ، وقد سبق أحدهما في حذم اللكنة أما القول الآخر فهو ((وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من الأعاجم))<sup>(٢٢)</sup> وقوله في ما يعتري اللسان مما يمنع من البيان: (...) وخلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم، ومن يتشأ من العرب مع العجم/٦) البيان والتبيين ٧/ ط هرون عام ١٩٤٨م.

ويمكن أن يضاف إلى ما تقدم من أدلة على أن اللكنة صفة خاصة بالأعاجم، ما قدمه الجاحظ من شواهد وأمثلة، كانت قد وقعت له في أوساط أعجمية، زنجية، ورومية، وصقلبية.

ويرى الجاحظ أن الاصوات إذا تمكنت من الخارج كان لها الحكم الخاص، ومعنى ذلك الحكم: أن الرومي إذا تكلم بالعربية

عرف من مخارجة للاصوات العربية أنه رومي فهو يقول: وقد يتكلم المغلاق، الذي نشأ في سواد الكوفة، بالعربية المعروفة، ويكون لفظه متخيراً فافاءً ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي، وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم إعرابه، وتخبر الفاضل، في مخرج كلامه، أنه خراساني<sup>(٢٣)</sup> ويقول في موضع آخر عن السندي، ((ألا ترى أن السندي، إذا جلب كبيراً، فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل ((الجيم)) ((زايًا))، ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس، وبين عنجر هوازن خمسين عاماً. وكذلك النبطي الفخ، خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي الفخ، يجعل ((الزاي)) ((سيناً)) فإذا أراد أن يقول: ((زورق)) قال: ((سورق))، ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول: ((مشعل)) قال: ((مشمل))<sup>(٢٤)</sup>.

وقدم لنا تجربة صوتية كان يجريها النحاسون في عصره يكشفون، بها، عن الجنس الرومي الأصيل، والجنس الرومي المولد.

وملخص التجربة أن تأمر الجارية بأن تلفظ إحدى اللفظتين الآتيتين أو كليهما وهما ((ناعمة، وشمس)) فإن نطقت بحرفي العين، والسين، فهي جارية مولدة، وإن لم تجبها طليعتها إلى ذلك، فهي جارية غير مولدة.

ولكن من شرط النطق بتينك الكلمتين أن يكون ثلاث مرفعت متواليات<sup>(٢٥)</sup>. لكي يحقق الامتحان وتصدق التجربة.

ويتخذ نماذج بشرية تتمثل فيهم اللكنة، وربما كانت تلك النماذج عربية، لكنّها نشأت منذ طفولتها في أرض ومجتمع غير عربيين أو نشأت في مجتمع غير عربي ولكن الأرض التي أفلتها عربية.

ومن بين تلك النماذج زياد الأعجم الذي كان يجعل السين)) ((شيناً)) ((والطاء)) ((تاء)) فيقول ((فتى زاده الشلتان)) يريد: ((فتى زاده السلطان)).

ومن بينها: سحنم عبد بني الحساس الذي وقعت له اللكنة بحضرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يتشدق بصيدته التي أولها:

عنيزة وندع إن تجهزت غاديا

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر رضي الله عنه: لو قد امت الإسلام على الشيب لأجزتك، فقال له: ما سعرت: يريد ((ما سعرت)) جعل الشيب المعجمة سينا غير معجمة<sup>(١٧)</sup>.

وهذا مثال من شخصيات الجاحظ التي تمثلت اللفظة فيهم لكنه شخصية عربية تعود بأصلها إلى قبيلة نمر العربية، أسره الروم وهو صغير فتسب إلى الروم فقبل فيه: صهيب الرومي. كان صهيب يقول: ((أنت لهائن)) يريد ((أنت لحائن)). وهذه لفظة رومية، ارتضخها صهيب، لأنه عاش في بلاد الروم أسيرا.

وعبد الله بن زياد يرتضخ لفظة فارسية، لأنه نشأ في الأساورة، ويؤيد هذه النشأة أنه كان في آل زياد غير واحد يسمى شيرويه.

وهذه علامة على الصلة الاجتماعية بين آل زياد والفرس التي تتبعها صلات لغوية بالضرورة.

ومن أمثلة اللفظ التي رواها الجاحظ ما وقع بين تاجر وكاتب، والمشهد الذي عرضه يمكن أن يوظف لغرض مسرحي، وهذا ما يسعى إليه المسرحيون من الأفادة من إمكانات علم اللغة وطائفة في خدمة المسرح.

أما المشهد الذي نقله الجاحظ: ((وبعضهم يروي أنه أملى على كاتب له فقال: اكتب: ((الهاصل الف كز)) فكتبها الكاتب، بالهاء، كاللفظ بـها، فأعاد عليه الكلام، فأعاد الكاتب، فلما فطن لاجتماعهما على الجهل، قال أنت لا تهسن أن تكتب، وأنا لا أهسن أن أملى، فاكتب ((الهاصل الف كز)) فكتبها بالميم معجمة<sup>(١٨)</sup>.

ومن أصحاب اللفظ أبو مسلم الخراساني وهو فارسي وكان إذا أراد أن يقول: قلت لك، قال: قلت لك.

والصقلي يجعل الذال المعجمة دالا في الحروف)) فله لفظة الخاصة التي تميزه من الرومي والفارسي في لفظاتهم.

## ٤. الحكلة:

يقول فيها الجاحظ: ((هي نقصان آلة المنطق)) وعجز أداة اللفظ: حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال<sup>(١٩)</sup>. ومعنى ذلك: هو التناقض والتباطل في الكلام يقال: ((احتكل فلان، تعلم

العجمية بعد العربية))<sup>(٢٠)</sup>. والحكمة في اللسان، كالعجمة<sup>(٢١)</sup>.

والحكمة خاصة بالعربي الذي تعلم العجمية بعد العربية وهي على خلاف اللفظة.

## ٥. اللفظة:

وهي حبسة في اللسان، قال المبرد (ت٢٨٥هـ): هي الريح تمنع الكلام، فإذا جاء شيء منه، اتصل<sup>(٢٢)</sup>. وقيل فيها: إنها غريزة وقيل: إذا عرضت للشخص تردد كلمته، ويسبقه نفسه، وقيل: إنها ادغام في غير موضع الادغام<sup>(٢٣)</sup>.

فمنع الكلام أو التردد في إخراجها إذا عرضت اللفظة للشخص شيء واحد.. وربما يكون تفسير ذلك: أن كمية الهواء تعارض إنتاج الصوت اللازم.

أما ما عبروا عنه فيها بـادغام في غير موضع الادغام فمعناه على ما يحتمله اللفظ: عدم تطابق ما تفرضه السواكن والمتحركات، التماثلات أو المقاربات.

ويمكن أن يقال فيها: بأنها عدم القدرة القامة على إخراج الأصوات أو بعضها من مخارجها، بحيث يشوب ذلك عجمة، وربما يكون ذلك متأثرا من العجلة.

## ٦. اللفظ:

الاعياء في الكلام المصحوب بالبطء لذلك يقال: لف فلان وعين فلان، ويطو في الكلام: إذا تكلم ملا لسانه فمه.

وقال أبو عبيدة في بيان اللفظ: ((ادخال الرجل كلامه بعضه في بعض))<sup>(٢٤)</sup> وأنشد قول الشاعر:

كان فيه لفظا إذا تخلق

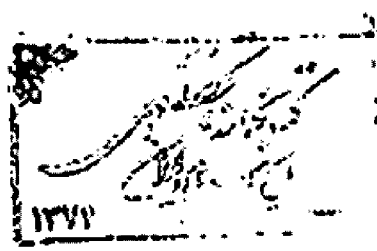
من طول تحببــــــــــــــــــــــــيس وهن وأرق

ويظهر لي أن اللفظ ناشئ عن عدم ممارسة الكلام: لأن الجاحظ قال: ((كأنه لما جلس وحده، ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك، أصابه لفظ في لسانه))<sup>(٢٥)</sup>.

فاللفظ من أمراض الكلام الخاصة باللسان ناشئ من عدم ممارسة الكلام.

## علاج اللغاف:

ما الطرائق التي يراها الجاحظ مجدية ومفيدة في علاج



اللغة، وما اللغات التي يمكن علاجها، كما تبيننت له؟ وما اللغة المستعصية؟

يمكن الإجابة عن الأسئلة السابقة بتحديد بعض الطرائق، إما بالتخلص من الصوت الذي وقعت عليه اللغة أو عن طريق المران والتدريب حتى تستجيب الطبيعة لذلك الصوت . وقبل التفصيل لهاتين المسألتين، لابد من الامعان في أهمية الكلام، واثره في النفوس، وإثارة الانتباه الى التكلم فقد ذكر تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: ((الرحمن علم القرآن خلق الانسان علماً البيان) وقال تعالى: ((هذا بيان للناس)).

ونذكر سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ((مال فريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الاحلام))<sup>(١)</sup>. ويسعى الانسان في حياته الى غاية الافصاح بالحجة ووضوح الدلالة ((لتكون الاعناق اليه اميل، والعقول عنه أفهم والنفوس اليه أسرع))<sup>(٢)</sup>.

والفصاحة والبيان من مسالك الحجة على الخصم ((وليس اللجاج، والتمتاع، والألثغ، والفافاء، وذو الحبسيسة، والحكلة، والرتة، وذو اللفف، والعجلة، في سبيل الخصر في خطبته والغني في مناضلة خصومه، كما أن سبيل المضح عند الشعراء، والبكيء عند الخطباء، خلاف سبيل السهب الثرثار والخطل المكثار))<sup>(٣)</sup>. والآن نقفل القول فيما أشرنا اليه من التخلص من اللغات.

**الطريقة الأولى:** وهي طريقة ذات صلة قوية بمفردات اللغة، وهي لا تتأتى إلا لأرباب الكلام، وذوي البيان، والفصاحة؛ فإذا أردنا أن نتجنب اللغة فعلياً أن نحمل ثروة لغوية يمكننا من احوال لفظة مرادفة لا تقع عليها لغة، محل اللفظة التي تصحبها اللغة، وهنا يظهر الجانب اللغوي، وأهميته، في علاج اللغة، ولا سيما المترادف اللفظي، وهذا ما يجب على المعنيين بأمر اللغات وعلاجها، الأخذ به.

ومن فصحاء العرب، وأبينائهم من كان بفصاحته يتخلص من اللغة، وخير مثل على ذلك واصل بن عطاء ((فإنه كان قبيح اللغة، شنيعها ولغته في حرف الراء)) فعلى الرغم من قباحة تلك اللغة كان يتجنبها بإبدال كلمة محل أخرى.

يروى الجاحظ أن بشاراً هجا واصلأ، فرد عليه واصل بأبين كلام، لم ترد فيه لفظة في بنيتها حرف الراء، قال: ((أما لهذا الأعمى الملحد المشتف الكنى بأبي معاذ من يقتله. أما والله لولا أن الغيلة سحبة من سجايا الغالية، لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله، في جوف منزله، وفي يوم حقله، ثم كان لا يتولى ذلك، منه إلا عقيلي أو سدوسي))<sup>(٤)</sup>.

هذا التمكن من البيان ومن المفردة اللغوية جعل أبا حفص عمر بن أبي عثمان الشمري، يقول: ((ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا، وأنتما للذي تريان من سلامته، وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف، مع امتناعه من حروف كثير الدوران في الكلام. ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار، وابن برد، والمرعث، جعل المشتف بدلاً من المرعث، والملحد بدلاً من الكافر، وقال: لولا أن الغيلة سحبة من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية، ولا الغيرية، لكان الراء، وقال: لبعثت اليه من يبعج بطنه ولم يقل: لأرسلت إليه. وقال: على مضجعه، ولم يقل: على فراشه))<sup>(٥)</sup>.

فأنت ترى أن الجاحظ ذكر الفاظاً عنداً من المترادفات اللفظية، وإن كان حاكياً لغیره، لكنه كان يحكم النبه على هذا الأسلوب والمقرر له، وسأكرر المترادفات منفصلة عن النص لكي تكون في موقع النظر، والى التمييز أقرب.

المرعث: المشتف

الكافر: الملحد

أرسلت اليه: بعثت اليه

فراشه: مضجعه

وذكر عبارة هي: الغيلة سحبة من سجايا الغالية، ولم يقل المنصورية والغيرية.

ومثل ما تقدم ما أورده الجاحظ مثلاً على القدرة اللغوية في امتلاك واصل للمفردة المرادفة أنه إذا أراد أن يقول: البر قال القمح أو الحنطة))<sup>(٦)</sup>. على الرغم من معرفته بالفرق بين البر والقمح من حيث الفصاحة. فالبر لغة حجازية والقمح لغة كوفية، وقد تكلمت عائشة رضي الله عنها بالبر إذ قالت: (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذم البرة السمراء حتى فارق



(الدنيا)).

ويشير بيان واصل بن عطاء اعجاب قطرب النحوي (ت ٢٠٦هـ)،  
اذ يحمل الاعجاب هذا النحوي على سؤال عثمان البري فيقول:  
(وسألت عثمان البري: كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف  
كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالقمر  
والبدر، ويوم الأربعاء، وشهر رمضان، وكيف كان يصنع بالمحرم،  
وصفر وربيع الأول، وربيع الآخر، وخمادى الآخرة ورجب،  
فقال: مالي فيه قول إلا ما قال صفوان<sup>(٣١)</sup> :

ملقن ملهم فيما يحاوله

جُم خواطــــــــــــــــــــــر ذُجواب آفــــــــــــــــــــــــاق  
ماذا يكشف لنا سؤال قطرب، وهو سؤال يثير العجب من تمكن  
واصل من المفردة اللغوية. فواصل إن تمكن أن يدير الكلام على  
الترادف اللفظي، فكيف يمكنه أن يتجنب فرض اللغة مما ليس  
فيه ترادف؟

إذا النشاط اللغوي له أثر كبير في اتقاء خطر اللغة.

### الطريقة الثانية:

كثرة التتبع، والمران على الصوت الذي تعرض للغة يمكن  
صاحب اللغة من معالجتها، قال الجاحظ في هذا النوع من  
اللغات: ((إن صاحبها، لو جهد نفسه جهداً، وأحد لسانه، وتكلف  
مخرج الرء على حقها والافصاح بها، لم يك بعيداً من أن تجيبه  
الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً))<sup>(٣٢)</sup>. وقال في موضع  
آخر مما يكشف عن أثر التدريب في إزالة اللغة وهو يتحدث عن  
اللغة التي كانت تعثر محمد بن شبيب المتكلم أحد رجال  
المعتزلة: ((كان اذا شاء أن يقول: عمرو، ولعمري، وما أشبه ذلك  
على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيو لذلك،  
فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو  
احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان  
يستقيم))<sup>(٣٣)</sup>.

وهذا ما تدعو إليه أرقى المعاهد العلمية في معالجة اصحاب  
الأمراض اللسانية.

### الطريقة الثالثة تجنب الصمت:

استطاعت اللغة العربية بسياقاتها المتعددة أن تتخلص من

الصمت وأثره في بلاغة المتكلم وحسن بيانه أو في بنية الكلمة.  
فإذا ما التقى الصمت والسكون الذي يولد التقاء ساكنين، توجهت  
اللغة العربية بأحدى سياقاتها الى معالجة هذه الظاهرة!  
بطريق المجيء بهمزة الوصل.

ومرافقة الصمت له خطره وأثره في اللسان والتوائه فقاضي  
الازارقة يزيد بن جابر يقال له الصوت؛ لأنه لما طال صمته،  
ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوي، ولا يكاد يبين (( وهذا  
محمد بن الجهم البرمكي اعتراه مثل ذلك ((ايام مجاربة الرط من  
طول التفكير ولزوم الصمت))<sup>(٣٤)</sup>.

## الهوامش

١. انظر نزهة الالباء في طبقات الادباء لعبد الرحمن بن محمد  
الانباري ص ١٢٢ تحقيق د. ابراهيم السامرائي مطبعة المعارف  
بغداد ١٩٥٩

٢. انظر الجاحظ لشارل بلات ترجمة الدكتور ابراهيم  
الكيلاني دار البقعة دمشق ١٩٦١

٣. ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٢٩٢هـ).

٤. المراد بهذا: نشوء اللغة الصوتي. فهناك نظرية ترى أن اصل  
نشوء اللغة هو الاصوات كخبر الماء، وصرير الباز، وعواء الذئب.  
٥. البيان والتبيين ١/ ٧٩ ط ٢ تحقيق عبد السلام هارون  
مؤسسة الخانجي، مصر.

٦. دراسات في علم اللغة د. فاطمة محمد محبوب (المقدمة هـ)  
دار النهضة العربية، مصر.

٧. المصباح المنير للفيومي ٢/ ٢١٦ تحقيق مصطفى السقا، البابي  
الحلي.

٨. المصباح المنير للفيومي ٢/ ٢١٦.

٩. البيان والتبيين ١/ ٢٩.

١٠. المصدر السابق ١/ ٧١.

١١. البيان والتبيين ١/ ٢٤.

١٢. البيان والتبيين ١/ ٢٤.

١٣. البيان والتبيين ١/ ٢٤.

١٤. المعجم الوسيط ٤١٤/١ بتصرف. مجمع اللغة القاهري.
١٥. البيان والتبيين ٢٤/١
١٦. الخصائص لابن جني ٢٢٨/٢ ط ٢ دار الكتب القاهرة ١٩٥٥.
١٧. البيان والتبيين ٢٤/١
١٨. الاصوات اللغوية الدكتور ابراهيم أنيس ص ٨٤ ط ٥ / ١٩٧٥ مكتبة الأنكلو المصرية.
١٩. الاصوات اللغوية الدكتور ابراهيم أنيس ص ٨٤ ط ٥ / ١٩٧٥. الأنكلو المصرية والصوت اللغوي الدكتور احمد مختار عمر. والاصوات الدكتور كمال محمد بشر.
٢٠. الكلام انتاجه وتحليله الدكتور عبد الرحمن ايوب ص ٢٥٥ طبعه الكويت.
٢١. البيان والتبيين ٢٤/١
٢٢. هكذا وردت في النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان. واللغة التي كانت موضع كلام الجاحظ هي ابدال اللام ياء فقط، فلماذا جاء القاء بدل الكاف؟
٢٣. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٤. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٥. البيان والتبيين ٢٧/١
٢٦. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٧. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٨. البيان والتبيين ٢٥/١
٢٩. البيان والتبيين ٢٥/١
٣٠. م. ن
٣١. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٢. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٣. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٤. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٥. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٦. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٧. البيان والتبيين ٣٦/١
٣٨. البيان والتبيين ٣٧/١
٣٩. م. ن
٤٠. المصباح المنير ٨٥/١
٤١. المصباح المنير ٨٥/١
٤٢. المصباح المنير ١٤٠/٢
٤٣. المصباح المنير ١٤٠/٢
٤٤. البيان والتبيين ٢٨/١
٤٥. البيان والتبيين ٢٩/١
٤٦. المصباح المنير ٧٤/٢، والمعجم الوسيط ٦٢٩/٢ ط ٢ / ١٩٨٥
٤٧. البيان والتبيين ٤٠/١
٤٨. البيان والتبيين ٤٠/١
٤٩. المصباح المنير ٢٢١/٢ والبيان والتبيين ٧١/١
٥٠. البيان والتبيين ٦٩/١
٥١. البيان والتبيين ٧١-٧٠/١
٥٢. ينظر البيان والتبيين ٧٢/١
٥٣. البيان والتبيين ٧٢/١
- \* وهذا ما يسميه الأوروبيون ((الفريغون)) أنظر دراسة الصوت اللغوي د. احمد مختار عمر ص ٢٢٤
٥٤. البيان والتبيين ٧٢/١
٥٥. ينظر / البيان والتبيين ٤٠/١
٥٦. المعجم الوسيط ١٩٦/١
٥٧. المصباح المنير للفيومي ٢٢٢/١
٥٨. المصباح المنير للفيومي ٢٢٢/١، والمعجم الوسيط ٢٢٩/١
٥٩. المصباح المنير للفيومي ٢٢٢/١
٦٠. البيان والتبيين ٢٨/١
٦١. البيان والتبيين ٢٨/١
٦٢. البيان والتبيين ٨/١
٦٣. البيان والتبيين ٧/١
٦٤. البيان والتبيين ١٢/١
٦٥. البيان والتبيين ١٦/١
٦٦. البيان والتبيين ١٦-١٧/١
٦٧. البيان والتبيين ٢٢/١
٦٨. البيان والتبيين ٢٢/١
٦٩. البيان والتبيين ٣٦/١
٧٠. البيان والتبيين ٢٧، ٢٦/١
٧١. البيان والتبيين ٢٨/١



# النثر وأساليب بناء الخبر في كتاب [طوق الحمامة] لابن حزم الاندلسي

د. لؤي حمزة عباس

كلية الآداب . جامعة البصرة

## الطوق والخبرة: مقدمة

يغتنى كتاب (طوق الحمامة) بتجربة لا تقف عند نوع أدبي معين، على الرغم من اندراجها ضمن تأليف الحب والعشق، ولا تنغلق على زمن بعينه، على الرغم من شبه انقطاعها على زمن مؤلفه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (٢٨٢ - ٤٥٦هـ / ٩٩٢ - ١٠٦٤م) بما تنهاه إليه وما وقّع له من صنوف الحوادث وهي تعدد لكثرتها واختلافها وغمرة مروياتها مادة الكتاب الأولى، مثلما لا يركن إلى كيفية محددة للكتابة تتكرر في كل باب، فثمة تنوع بين يقتضيه اعتماد الكاتب على تجربته الشخصية، وهي تتسع مرة وتضيق أخرى، وما حدث به أصحاب له ثقات، رجال ونساء، وما أدركه من أخبار الأمم وهي قليلة نادرة، كل ذلك جاء مشفوعاً بالشعر المؤلف في معظمه من قبل صاحب الكتاب في مراحل سابقة له قريبة من أزمنة وقوع الأخبار أو بعيدة عنها، بما يؤكد الصلة بين تجربتين: حياتية وإبداعية، حتى غدت الأخبار في أحيان كثيرة مسوغاً لإدراج الشعر الذي لم يبق منه أيدي الناسخين وذوائقهم غير (العيون) "، بما لا يدع مجالاً للشك بأن كتاب (طوق الحمامة) ينهل من حياة صاحبه بغير حدود، ساعياً إلى تدوين العديد من وقائعها العاطفية، والسياسية، والاجتماعية، ليكون، بذلك، سفرًا نلمح من خلاله سيرة صاحبه فهو "من بعض

نواحيه" ترجمة ذاتية" تصور شجاعة صاحبها في الحديث عن نفسه وعن مجتمعه، كما تدل على نوع دقيق من الاستبطان النفسي، ومن دراسة عارضة لنفسيات الآخرين "١". كما نلمح من خلال هذه السيرة حياة طبقة اجتماعية بعينها، عاش ابن حزم في كنفها وخبر دواخلها واطلع على أسرارها، منذ أول تربيته في حجور النساء اللاتي علمنه القرآن، ورويته كثيراً من الأشعار ودرّبته على الخط، فلأزمهن زمناً طويلاً مستمعاً منهن الأخبار بما هيا له معرفة واسعة بعالمهن، وهي المعرفة التي شكّلت مادة أساساً من مواد الكتاب، مثلما نرصد تقلب الزمان على صاحبه مع تبدل السياسة وتغير أحوالها في اندلس القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث تبدو أحوال ابن حزم مرآة لانعكاس الحياة السياسية، كما يبدو كتابه سجلاً لبعض منعطفاتها، وربما كان للسياسي دور مؤثر في صياغة كل من العاطفي والاجتماعي وتوجيه حضورهما داخل الكتاب، فالطبيعة الموسرة لنشأة ابن حزم ابننا لوزير الحاجب الأول المنصور تيسن أبي عامر، ومن بعده وزير الحاجب الثاني المظفر عبد الملك بن أبي عامر، هيأت له تربية خاصة ونمت فيه ذوقاً ترك أثره ملحوظاً في الكتاب، لا بطبسيغته الموضوعية فحسب، بل بالطبقة الاجتماعية التي عمل على رصدها وتدوين بعض تفاصيل حياتها "٢"، ومنحته فرصة الاقتراب من مصدر

الحدث ومعاينة ظلاله الاجتماعية، وقد عمل ذلك على توجيه سرد (طوق الحمامة) لاستدعاء قيمه الخاصة والاحتكام إلى قوانينه في ظل استراتيجية (سرد السيرة)، على الرغم من كونه لا يقدم سيرة تنشغل بال (أنا) وتنصرف على نحو كلي لاستعادة تجاربها، وإن كان "ينهض من حيث المرجعية على أنا بعينها، لها وجودها المشخص وكيانها الحي، وهويتها المميزة ومنجزها المعروف"<sup>11</sup>، لكنها ترصد ضمن منظور عام من دون أن يفقدها ذلك حضورها ويؤثر في رغبتها بالانشغال بتجاربها "في خضم تاريخ جمعي تتحرك في إطاره وتتشكل ضمن إيقاعه ونبضه"<sup>12</sup>، مثلما يعمل على توجيهها توجيهها نزاعيا بين ما يسعى إلى قوله وما قاله السرد العربي من قبل مشكلا قيمه ومحتكما إلى قوانينه، فإذا كان السرد قد ارتبط في الذهنية العربية بأدب السوق والأباطيل، بما يجيب عن عدم اعتناء العرب به وعدم إيلائه درجة من الاهتمام تقابل مركزية الشعر في الثقافة الكلاسيكية<sup>13</sup>، فإننا نلاحظ المسلك الخاص الذي يعتمده كتاب (طوق الحمامة) في تنظيم وحداته وإنتاج قيمه من خلال مقتربات تلتقي في فضاء الاسناد وتتفرق عنه، بما ينقل أخبار الكتاب من سرد العوام الذي يفتقر "إلى مدلول ثقافي يسند مدلوله اللغوي"<sup>14</sup>، وهو يشكل المادة الأولى للسرد العربي، إلى سرد الخواص من خلال أركانه الثلاثة: الراوي والمروي له، فالراوي هو ابن حزم نفسه، العالم الفقيه صاحب المكانة المعروفة، يستغرق حضوره الشخصي الكتاب تبعا لما يكون بينه وبين المروي له من مكاتبة وطلب واستجابة. إن تقارب الرتبة بين الراوي والمروي والمروي له يحرك السرد ضمن دائرة شبه مغلقة ينبعث فيها من الذات إلى خدينها، حيث يشكل الآخر بعضاً من تاريخ الذات، وهو يتحرك ضمن مساحتها، ويشهد على تحولاتها، بما يرفع عنها الشعور بالكلفة أو الخشية أو التصنع الذي يمكن أن يخالجها في حال مخاطبتها من هو أعلى منها، لتتبع، عندئذ، مجالا متسعا للحركة والاختيار، وتؤمن لسردها مدلولاً ثقافياً يحافظ فيه على امتيازها الطبقي وسلوكه الأخلاقي ونظريته الحكمية بما يسند مدلوله اللغوي، فلم يجد ابن حزم حاجة لابتكار أبي الفتح آخر أو شهرزاد أخرى ينوب أو تنوب عنه في

توجيه القول ورواية الأخبار، فالأخبار تستند إلى صاحبها مكتفية بما عاش وعرف وشاهد وسمع وتستمد من علته ومما عرف عنه مصداقيتها، مثلما تستمد من شهرة من تروي عنهم خصوصية عالمها، فلا مكذب ولا لصوف ولا محتالين ولا سحرة ولا منجان، بل عالم من رياش أسدل عليه ستار الراحة والرخاء وازدانت مقاصيره بالجواري والرياحين، يتحول مع تحول السياسة وتبدل أزمانها، الأمر الذي يحرك المروي له في الفضاء الشخصي للراوي، فالراوي يدون ما عاشه ابن حزم على نحو مباشر، وما سمعه من أصحاب له ثقات، نافضا عن كاهله مسؤولية أن يؤسس "فضاء غريباً له جاذبيته وحججه وفتيته"<sup>15</sup> بهدف إيقاع القارئ في غواية السرد، إن صدقية مروي (طوق الحمامة) أهم مما يمكن أن ينطوي عليه من عجائبية تدفع أخباره من الرئي والعيش إلى التخيل مما يقلل من واقعية ما يروي ويغيب سمة التجربة الانسانية عنه، مثلما يحرم الكتاب من أحد تطلعاته المؤثرة في نشدان حياة صاحبه التي تعد محاولة إحيائها واستعادة بعض من فصولها، ولو عبر عالم من الكلمات هفوه وغايته.

إن شعوراً واضحاً بالفقد والاعترا ب يخطو جنباً إلى جنب مع أخبار الكتاب وحكاياته حتى ليصبح ظللاً لها، وقد يتواسج معها فيبدو، عندئذ، مسوغاً من مسوغات التفات المؤلف لموضوعه وسبباً في الاستجابة لطلب تأليفه، ليدون ابن حزم في (طوق الحمامة) سيرة اعترا بيه عن مكانه وزمانه مصرحاً بهذا الاعترا ب مرة ولمنحاً مرة أخرى، وهو في اعترا بيه يحقق لكتابه اعترا باً نوعياً يمكننا أن نحدد بالنظر لفاعلية العلاقة بين أركان العملية السردية بعضاً من سماته ونؤشر تطلعه لإنجاز جانب من حياة صاحبه وسيرة اعترا بيه وهو يؤدي دور الراوي وينمي علاقة مؤثرة بين كل من المروي والمروي له، ضمن رصد عام لحياة الأندلس ومتغيراتها، يعني به على نحو تفصيلي ويؤسس من خلاله معارفه وتجاربته وأنماط خبرته مما يتعدى ثبات النوع وسجن خصائصه لاجتراع نوع غير مقصص عنه، يظل مغيباً تحت حيلة النوع الأول، فالنوع حيز يوضع بداخله الكتاب، كما لو كان يرتب بين كثير من الكتب، وفي ترتيبه هذا

نسيان له وتغيب من دون أن يغير هذا الترتيب من طبيعته أو يعمل على إعادة تنظيم وحسب داته، وهو ما منح كتاب (طوق الحمامة) خصوصيته بين كتب الحب، ففي الوقت الذي يشير أبو بكر محمد بن داود الاصبهاني (٢٥٥/٢٩٧هـ / ٨٦٨ - ٩١٠م) في مقدمة كتابه (الزهرة) إلى أنه "اقتصر على القليل من الاخبار، لأنها قد كثرت في ايدي الناس، فقل من يستفيدها"<sup>(١)</sup>، يشير ابن حزم إلى التزامه "الوقوف عند حدك، والاقتصار على ما رأيت، أو صح عندي بنقل النقات، ودعني من اخبار الاعراب والمتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا"<sup>(٢)</sup>، والفرق واسع بين النهجين، على ما بينهما من تقارب واتفاق في عدم اعتماد الاخبار السابقة عليهما، فأبو بكر يقتصر في كتابه على القليل من الاخبار لشيوعها بين الناس، مما يسوغ كون كتابه (الزهرة) لنموذجاً في الاختيارات الشعرية التي تنشغل بموضوع معين ينقسم على ابواب، ويدون ابن حزم في كل باب من ابواب كتابه طيفاً واسعاً من الاخبار تتحدد خصوصيتها بتجربته الشخصية التي تعد مركزاً لانتظام الاخبار وتواليها وغايته في ذلك "رسم صورة واقعية من حياته هو ومن حياة الناس ببلده حول موضوع واحد هو "الحب"<sup>(٣)</sup>.

فخير أبي بكر مستبعد ومترك لعمومه وذيوعه، خير يتقدم فيه الموضوعي على الذاتي فيتناقله (الآخر) على اختلاف طبقاته جزءاً من مروياته وأسماره وبعضاً من ثقافته، وخير ابن حزم مقرب ومذكور لخصوصيته وارتباطه بسيرة صاحبه، خير يتقدم فيه الذاتي على الموضوعي فتستحضر (الذات) بعضاً من طبيعته وجزءاً من سيرتها، وهي انما تسعى بتوثيقه وعلانه والاحتفاء به لتوثيق حياتها واستعادة وجه عزيز من تجاربها.

### التجربة بين النثر والشعر:

يعمل التصور السابق على خلخلة هوية الكتاب: مثلاً يؤثر في إمكانية تجنيسه تبعاً لفاعلية وحداته وهي تنقسم انقساماً شكلياً بين نثر وشعر، ليخرجه من مؤلفات (الاعراض الشعرية) التي حددها الدكتور أحمد جاسم النجدي في كتابه (منهج البحث الادبي عند العرب)، فلم يكن الغرض الشعري لدى ابن حزم "أساساً من أسس التحديد"<sup>(٤)</sup> إذ تأخر الشعر عبر محاولة

الكتاب رصد التجربة الشخصية لصاحبه والانشغال بحياة الاندلس والاندلسيين والاحاطة بجانب مؤثر من جوانبها، حتى غداً تابعاً لمتبوع: دافعاً للنثر، متمثلاً بوحداته الخيرية، إلى مقدمة الاهتمام، ومرد ذلك إلى علاقة كل منهما بالمعنى، إذ يظل جلاء المعنى ووضوحه هدفاً من اهداف الكتاب، ولكل من النثر والشعر طريق مخالف للآخر للوصول إلى المعنى، كما يؤكد أبو اسحق الصابسي في معانيته طريق الاحسان في منثور الكلام ومنظومه "لأن أفخر الترسل هو ما وضع معناه وأفخر الشعر ما غمض قلم يعطك عرضه الا بعد ملاحظة منه لك، وعرض منك عليه"<sup>(٥)</sup>. فالشعر يخضع بناءً على ذلك لإرادة النثر في توجههما لإنجاز هدف الكتاب وتحقيق غايته في تقديم صورة (واقعية) عن حياة صاحبه، تسهم كنانة النثر ووثائقيته بإنجاز هذه الصورة أكثر مما يكون بمقدور استعارية الشعر ومجازيته ان تحققها، بما لا يلغي دور الشعر، على الرغم مما يحدد له من موقع ثانوي، ولا يقصر من مهمته في "تحويل التجربة النثرية إلى حقيقة شعرية، حيث يخوض القارئ الآفاق المتعددة للتجربة الواحدة"<sup>(٦)</sup>، مما يلاحظ على نحو خاص في سعي الخبر إلى تأكيد العلاقة بين التجربتين الواقعية والإبداعية، والعمل على تقديم الثانية بوصفها نموذجاً قادراً على استعادة الاولى وتنظيم حضورها داخل الكتاب، فتكون، بذلك، باباً للدخول إلى تفاصيل التجربة الواقعية والتقاط سماتها والوقوف على خصائصها من خلال العناية بأركان الخبر والاهتمام بمقوماته البنائية، لتظل (الآفاق متعددة للتجربة الواحدة) غاية من غايات العناية بالشعر، فمن الممكن ان يقول النثر كلمة الكتاب ويضيء اهدافه العلنية منها وغير العلنية، لكن ذلك لن يؤدي إلى اكتمال تجربته الجمالية في سعيها لخوض غمار الشعر والتفوق فيه إلى جانب النثر، كما سينقص من قدرة صاحبه ويقلل من اهميته في إحدى (الصناعتين)، بما يقارب بين التجربتين ويكشف عن قوة العلاقة بينهما وهما يتوجهان لتنظيم الصلة بين (التأريخي)، خصوصاً تاريخ دولة الاندلس، فيبدو ابن حزم مشغولاً بوقائعها وتحولاتها، وأثر هذه الوقائع والتحولات في نفسه وبيئته، وبين (الإبداعي)، ليمثل الكتاب، في إحدى خلاصاته المؤثرة، وجهاً من

وجود السيرة الشخصية لمؤلفه ووجهها من وجود اغترابه، مثلما يمثل شهادة ناصعة لجانب من علاقة المنقف بالسلطة في حالي قربه منها وإقصائه عنها، فهل يبدو الحب، بعد ذلك، غاية الكتاب وهدفه الاثير...؟

يعلن ابن حزم في تمهيد الكتاب سبب التأليف، وهو إجابته طلب صديق عزيز عليه وفي له كلفه أن يصنف له رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه، وهو مع موافقته يعلن تحفظه على الخوض في مثل هذا الموضوع عاتاً إياه من اللغو "والأول بسنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به ربح القلب"<sup>(٣)</sup>، لكنه يواصل على الرغم من تحفظه تقليب وجوه الموضوع في ثلاثين باباً، مبتدئنا ببعض من اقوال الصالحين تدعو لحسن التفتي في سبيل حسن التوقي، مثلما تدعو لإراحة النفوس "فإنها تصدا كما يصدا الحديد"<sup>(٤)</sup>، فهل تكفي مثل هاتين الدعوتين، إضافة إلى إجابة طلب الصديق، لتعليل إنشغاله بموضوع الحب وهو الفقيه الورع والعالم المعروف...؟

يمكن أن نعد ما تقدم أسبانياً (موضوعية) يقدمها ابن حزم في أول كتابه مراعياً أصول التأليف وأخلاقياته التي تتوجه لتنظيم العلاقة بين المؤلف والقارئ في ميثاق معلوم، إذ يتطلب وجود التمهيد إجابة عن أسئلة عدة من بينها سبب التأليف، أو أسبابه، من دون أن تكون الأسباب المذكورة أسباباً نهائية، ليس من سواها في تسويغ تأليف الكتاب، وهو ما يدعو للبحث في الأسباب التي يمكن أن يشير إليها الكتاب على نحو مباشر، إشارة صريحة معلنة خارج حدود التمهيد وأصوله وأخلاقياته، مثلما يمكن أن يكشفها على نحو غير مباشر عبر منهجية التأليف، وطريقته، وأسلوب تنظيم وحداته، وهي تعمل على تدوين أسبابها في كلمة لا تقل فصاحة عن سابقاتها وإن كانت أقل وضوحاً منها.

ويمكن ملاحظة ارتفاع نبرة الحنين إلى ما كان وظهورها على صوت المؤلف، والعمل على استعادة حياة منقضية عبر أكثر عواطفها رقة وأقربها إلى التمتع والرخاء استعادة جمالية تنحو نحو المكاشفة والتوثيق، ولا سيما أن الكتاب ينتجز بعد زمان من (نبسو الديار، والجلاء عن الأوطان، وتغول الزمان، ونكبات

السلطان، وتغير الإخوان، وفساد الأحوال، وتبدل الأيام، وذهاب الوفر، والخروج عن الطارف والتالد، واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد، والغربة في البلاد، وذهاب المال والجاه، والفكر في صيانة الأهل، والولد، واليأس عن الرجوع إلى موضع الأهل، ومدافعة الدهر، وانتظار الأقدار)<sup>(٥)</sup>، الأمر الذي يدفع إلى تمييز الأخبار الخاصة بابن حزم تميزاً بنائياً من سواها من أخبار الأندلس والأندلسيين أو الأخبار العامة كما سندرسها على نحو تفصيلي. إلى جانب تقديم الأخبار نفسها، في نزاع النثر والشعر، لتشغل موقعاً مركزياً في منهجية الكتاب، ولتعد الوحدة الأساس التي يستند إليها بناؤه وتتشكل من خلالها رؤياه. فهل يمكن أن تكشف هيمنة الخبر فضلاً عن علاقته بالشعر، أو علاقة الشعر به، عن أسباب آخر تعلن مسؤوليتها عن تأليف الكتاب والانشغال بموضوعه...؟

### مهمتنا الشعر:

لقد أنيطت بالشعر، في عملية تأليف الكتاب وتنظيم عمل وحداته، مهمتان أساسان تستمدان فاعليتهما من وضوح الصلة بين النثري والشعري أولاً، ومن السياسة التي توجه حضورهما داخل الكتاب ثانياً، وهما:

١. إعادة إنتاج التجارب النثرية.

(أو)

٢. التعليق عليها.

ولا يؤدي النص الشعري داخل (طوق الحمامة) سوى مهمة واحدة، إعادة إنتاج (أو) تعليق، وتغيب المهمة الثانية حال توجه النص الشعري لإحداهما، فالشعر بطبيعته لا يراهن على لغة الموضوع ولا يلتصق به في محاولة إنتاجه نصاً أدبياً قادراً على كشف أبعاد الواقعة الحياتية وإضاءة أعماقها ولما يعمل على إنتاج معناه الخاص بما يمثل إعادة إنتاج للتجارب النثرية أو مناسبة للتعليق عليها، وهو يقترح في المهمتين مسافة فاصلة تبعده عن الواقعة وتقلل من إنشغاله بالتجربة وتفصيلاتها، على العكس من النثر الذي يكون قريباً إلى درجة كبيرة منها، ويمكن الإشارة إلى الفرق في تلقي الواقعة وإعادة إنتاجها بين كل من النثر والشعر تبعاً لعلاقة الواقعة بالتاريخ أو موقعها منه،

فالخبر يتوجه للواقعة بوصفها حدثاً ضمن تاريخ معلوم، يعمل ابن حزم في أحيان كثيرة على كشف موقعه في تاريخ الأندلس، لا على سبيل تأكيد مصداقية ما يروي من أخبار فذلك امر محكوم بشخصية المؤلف وتميزه بالصدق والأمانة في ما عرّف من تأليفه، بل لتحديد بعض من فصول سيرته والربط بين تحولاته الشخصية وتغير الأحوال السياسية في البلاد، بما يعلل اعتماد التاريخ بشكله التفصيلي عبر ذكر السنة والشهر وأحياناً اليوم داخل بعض الأخبار الخاصة بالمؤلف وغيابه عن سواها، مثلما يُشار إلى توجه النص الشعري إلى التجربة الخيرية بهدف معاينة الواقعة، فالخبر يتميز بتوجهه توجهاً مباشراً للواقعة، أما الشعر فيتأكد في توجهه لتجربة الخبر في سبيل التقاط الواقعة والوقوف على بعض تفاصيلها، كما في المثالين الآتيين:

يقدم ابن حزم في (باب الرقيب) خبراً يعمل على التقاط تفاصيل الواقعة ابتداءً من علاقته الشخصية المباشرة بالموضوع، فهو لا يكتفي بكونه راوياً مجرداً، بل يعمل على ذكر وسيلة إحاطته بالواقعة ومعرفة لها من خلال المشاهدة، بما يعزز موقعه منها، لينتقل إلى (المكان) الذي يرتبط ارتباطاً عضوياً بموضوع الباب، فالرقيب والمراقبة لا يكونان إلا بالتسلل إلى عزلة العاشقين وخللة توحيدهما وانفرادهما لتستحيل الخلوة إلى مكان عام يصعب فيه البوح وبث الشكوى، لنلاحظ من جديد حيوية موقع الراوي الذي ينتقل من دور المشاهد السلبي إلى مشارك يعدل الرقيب إليه ويحيط الجلوس معه، وهي مناسبة لمعاينة حال العاشق، رصده والتطلع إليه، بعد الانتقال بالخطاب إلى (المخاطب) الذي توجه نحوه رسالة الخبر:

"ولقد شاهدت يوماً محبين، في مكان قد ظننا أنهما انفردا فيه، وتأهباً للشكوى، فاستحلّيا ما هما فيه من الخلوة، ولم يكن الموضع حمى، فلم يلجأنا أن طلع عليهما من كانا يستثقلانه فرآني، فعدل إليّ، وأطال الجلوس معي، فلو رأيت الفتى الحب، وقد تمارج الأسف البادي على وجهه مع الغضب، لرأيت عجباً"<sup>١٣٠</sup>.  
يعمل الشعر على إعادة إنتاج ما تقدم بعد عتبة نثرية تنظم العلاقة فيها بين الشعر والنثر، وتوطد الصلة بين محمول كل منهما، على الرغم من عدم ذكر القطعة الشعرية كاملة، بحسب

تصريح المؤلف، والاكتفاء ببيتين منها ينشغلان بالرقيب وحاله من وجهة نظر العاشق الذي يروي البيتين على لسانه وهما يسعيان لترجمة مشاعره وكشف عواطفه:

"وفي ذلك أقول قطعة، منها:

يطيل جلوساً وهو أثقل جالس

ويبدي حديثاً لست أرضى فنونه

شمام ورضوى والكام ويذبل

ولبنان والصنمان والحرب دونه"<sup>١٣١</sup>.

يمكن ملاحظة العلاقة بين الخبر والنص الشعري في النقاط الآتية:

١. تطابق التجربة بين الخبر والنص الشعري.
٢. تطابق الشخصيات بين الخبر والنص الشعري، على الرغم من اكتفاء النص الشعري بشخصيتي العاشق والرقيب بن بئين شخصيات الخبر الأربع: العاشق، والمعشوق، والراوي، والرقيب، بما يؤكد اهتمامه بإعادة إنتاج الموقف والانشغال بمعنى الحدث عبر ما يؤديه الشعر من تمثيل يركز على الجانب الشعوري الذي تنطوي عليه الواقعة.
٣. تباين الضمير بين الخبر والنص الشعري، بما يمنح كلا منهما شخصيته الموضوعية على الرغم من انشغالهما بواقعة واحدة.
٤. تباين الزمن بين الخبر والنص الشعري، على الرغم من اقتراب حاضر الشعر من ماضي النثر ليلتقيا عند نقطة دلالية واحدة.

ويقدم ابن حزم في (باب السفر) خبراً يعتمد إيصال معلومة مباشرة إلى القارئ، والأمر يتطلب افتتاح الخبر بفعل المعرفة من دون تحديد صريح للزمن حيث يتقارب الفعل المضارع (أعرف) مع الماضي الناقص (كانت)، لتتضح المعلومة وتضاء الكيفية التي تعتمد الحمامة من خلالها رسولا بين عاشقين:

((وإني لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤذبة، يعقد الكتاب في جناحها))<sup>١٣٢</sup> ليتوجه الشعر للتعليق على الخبر منفصلاً عنه مسافة ملحوظة، بعد عتبة نثرية شبيهة بسابقتها، يلتفت في البيت الأول عن المعنى المباشر للخبر مستذكراً النبي نوحاً (ع) وتخيره للحمامة، ليعلق على تجربة الخبر في البيت الثاني عبر وجهة نظر العاشق الذي لم يرد ذكره



في الخبر، مزاجاً بين الجمالة والرسائل التي تعقد في قوادمها:  
"وفي ذلك أقول قطعة، منها:

تخيرها نوح، فما خاب ظنه

لديها وجاءت نوح بالبشائر

سأودعها كتبك إليك فهاكها

رسائل تهدي في قوادم طائر<sup>(١)</sup>

ويمكن ملاحظة العلاقة بين الخبر والنص الشعري في النقاط  
الآتية:

١. التباين النسبي للتجربة بين الخبر والنص الشعري.

٢. تباين الشخصيات بين الخبر والنص الشعري.

٣. تباين الضمير بين الخبر والنص الشعري.

٤. تباين الزمان بين الخبر والنص الشعري.

تحدد العلاقة بين الخبر والنص الشعري في كل من المثالين  
مستويين من مستويات الترابط والاتصال يعتمدان بالأساس  
على المشاكلة النصية بين كل منهما، وهي تحقق في المثال الأول،  
إعادة إنتاج الوقائع النثرية شعراً، أكثر من تحققها في المثال  
الثاني، التعليق عليها، ولا سيما ما يتعلق منها بالواقعة نفسها  
وملاحظة انشغال كل من الخبر والنص الشعري بالتقاطها  
والوقوف على تفاصيلها، من دون أن ننسى أن المسؤول الأول عن  
إنتاج الواقعة داخل الكتاب هو الخبر، بتحويلها إلى تجربة نثرية  
تشير عبر الكيفية التي تصاغ بها، والكمية التي تحملها من  
المعلومات إلى فاعلية الخبر وقدرته على إنتاج الواقعة في تجربة  
تغدو حال دخولها الباب وانتظامها في منظومته الخيرية  
مسؤولة عن إسهام الواقعة في بلورة معنى الباب ومنحه  
المصادقية التي تؤكد لها الواقعة بوصفها حدثاً تاريخياً، لتحدد  
المشاكلة النصية، بعدئذ، بمقدار ما يحقق النص الشعري من  
تقارب مع الخبر نفسه، ولا سيما ما يتعلق منه بالعناصر  
السردية من شخصيات، وحدث، وزمان، ومكان، ومن حوار  
ووصف بدرجة أقل، وهو ما لا يحققه النص الشعري على نحو  
تفصيلي مع تطلعه لإنتاج تصور الخاص للتجربة من دون  
اهتمام بالمسافة التي تنشأ بينه وبين الواقعة لينتج، في الغالب<sup>(٢)</sup>  
مقارنة غير ملائمة مع الحكايات المروية<sup>(٣)</sup>.

## نرائية المواقف النصية

تنتظم وحدات الكتاب النثرية والشعرية في علاقات  
تركيبية تحقق لكل باب من الأبواب فاعلية شكلية أو سياقية  
خاصة به، بحسب كمية الأخبار ونوعية اشتغالها ضمن محاور  
الوقائع الشخصية لابن حزم، أو الوقائع الاندلسية، حيث يكون  
ابن حزم في غالب الأحيان مرويأ له، أو الوقائع العامة التي  
تتباين معها طرائق ولساليب رواية الخبر بحكم تباين طرائق  
ولساليب وصولها لابن حزم. ويمكن لهذه الفاعلية أن تغيب عن  
بعض الأبواب بغياب الأخبار نفسها مثل (باب الإشارة بالعين) أو  
(باب المخالفة)، فتغيب عن الباب الأول وحدتا النثر والشعر على  
السواء، وتغيب الوحدة النثرية عن الثاني ويحضر النص الشعري  
تقترح، هذه الفاعلية، ترتيبها الخاص ضمن النظام الكلي  
للكتاب من دون أن تخرج على هذا النظام في تشكيل أولوياتها، إذ  
يظل الشعر دائراً في فلك النثر على امتداد الكتاب، مع تغير  
ترتيب الوحدات النثرية والشعرية لكل باب من أبوابه، أي أن  
النثر يحقق دعامة يتأسس عليها القول الشعري في مضمار يتغير  
تغيراً جزئياً عبر تحريك الوحدات الشعرية في ظل مركزية  
الوحدات النثرية وفاعلية حضورها، إن النثر وهو يشكل علة  
حضور الشعر وسبب وجوده يقدم في كل مرة جانباً من التجربة  
ينهض الشعر على استلهاها والحركة ضمن مجالها الزمني،  
فالقول الشعري يحتكم إلى ما ضوئية التجربة التي صيغت في خبر  
يقوم بالأساس على استعادة واقعة معلومة، لذلك تكون تراكيب  
لغوية مثل:

وفي ذلك أقول

فقلت في ذلك

وفيه لقول قطعة، منها

وفيه لقول من قصيدة طويلة

وفي مثله أقول من كلمة طويلة

إننا بالتحول من النثر إلى الشعر، وعتبة لاستعادة التجربة  
النثرية أو التعليق عليها شعراً، ويمكننا أن نجعل تراتبية المواقف  
التي تشغلها النصوص الشعرية في المساحة النصية للأخبار في  
ثلاث نقاط هي:

١. الموقع الأول: يستحضر الشعر بعد إحدى العتبات النصية المذكورة فور الانتهاء من ذكر الخبر، وهو الموقع الذي تقدم من خلاله جل النصوص الشعرية في استجابتها لإرادة الخبر وهو يبدأ وينتهي عند نقطتين معلومتين، وفي محاولتها لتوسيع أفقه وفتح مداه النصي، بما يمثل مناسبة يستعيد فيها ابن حزم الكثير من نصوصه الشعرية مؤكداً إمكانيته في إعادة إنتاج الأخبار، ومن قبلها الوقائع الحياتية، شعراً على اختلاف تجاربها "فالشعر لديه يستطيع أن يستوعب كل شيء، حتى مذهبه الفقهي، وتعاليمه الخلقية"<sup>(١)</sup>، وهو الموقع الأضعف للشعر داخل الكتاب، فليس ثمة وشائج قوية تنظم العلاقة بين الخبر والشعر غير الوشائج الدلالية، بما يمنح الشعر مسوغاً للاشتغال على التجارب الخبرية والانشغال بها، أو بأحد جوانبها، بعد أن ينتجز النثر مهمته ويقول كلمته، كما في المثال الآتي:

"واني لأعلم فتى وجارية، كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه، فكانا يضطجعا إذا حضرها أحد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش، ويلتقي رأسهما وراء المسند، ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان، وكأنهما إنما يتمددان من الكلل، ولقد كانا بلغا من تكافئهما في المودة، أمراً عظيماً، إلى أن كان الفتى المحب ربما استطال عليها. وفي ذلك أقول:

ومن أعاجيب الزمان التي

طلعت على السامع والقائل

رغبة مسركوب إلى راكب

وذلة المسؤل للسائل

وطول مأسور إلى أسير

وصولة المقتول للقائل

ما إن سمعنا في الوري قبلها

خضوع مأمول إلى أمسل

هل هاهنا وجه تراه سوى

وتواضع المفعول للفاعل...؟"<sup>(٢)</sup>

فالشعر يكتفي بجانب من جوانب التجربة النثرية التي توافرت على عدد من العناصر السردية في إنتاج واقعيتها وبناء

خبرها من شخصيات، وإن كانت غير معلومة أو مسماة، ومن زمان، وإن كان مؤطرا بالفعل الماضي الناقص، ومن مكان، يبدو واضحاً بحكم وضوح أحد لوازمه (المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش)، ومن حدث يوحد العناصر السردية ويؤمن تواسجها للإبلاغ عن محتوى الخبر الذي يتعدى بمحاولته التعبير عن قوة الرغبة وقدرتها على دفع صاحبها إلى تجاوز الموانع واختراق المحظورات الدلالة المباشرة لـ (باب الوصل) وقد انتظم ضمن أخباره، ليوجه الشعر عنايته إلى جانب واحد من جوانب الحدث عاداً إياه (من أعاجيب الزمان) وهو (رغبة مسركوب إلى راكب) و (ذلة المسؤل للسائل) و (طول مأسور إلى أسير) و (صولة المقتول للقائل) و (خضوع مأمول إلى أمل) و (تواضع المفعول للفاعل)، وهي جميعها كنايات عن تسليم الجارية للفتى الذي (ربما استطال عليها)، بما يحدد من فاعلية حضور الشعر ويقلل من قدرته على الارتفاع إلى مستوى الخبر عبر النظر إليه من زاوية واحدة يختارها النص الشعري ليبني تجربته من خلالها، الأمر الذي يتغير مع الموقع الثاني تغيراً شكلياً.

٢. الموقع الثاني: يقطع الشعر، بعد إحدى العتبات المذكورة، مجرى الخبر، ثم تتواصل الحركة السردية للخبر بسعد انتهاء النص الشعري ويستمر تصاعد حدثه، فعلى الرغم مما ينشئه هذا الموقع من تواسج بين الشعر والنثر، يظل تأثير الأول محدوداً لا يحال مجرى الخبر ولا يغير من أهدافه ومقاصده، بل ينتقل بموقعه النصي من آخر الخبر كما في الموقع الأول إلى نقطة مختارة في منحنى حركته لينشغل بالتعليق على تفصيل محدد من تفصيلاته، وقد يكتفي بتفصيل واحد فيقطع انسياب الخبر في نقطة معينة، أو يمتد لأكثر من تفصيل فيتكرر عندئذ قطع الخبر في أكثر من نقطة، يبدو هذا الموقع أكثر رقياً من سابقه فهو فضلاً عن مواشجته بين النثر والشعر يعمل على تقطيع الخبر للحد من امتداد مساحته النصية، مثلاً يعمل على التنويع بين الشعراء إلى جانب النصوص الشعرية لصاحب الكتاب، كما في أبيات عبد الرحمن بن سليمان البلوي في أحد أخبار (باب الهجر)<sup>(٣)</sup>، أو في أبيات العباس بن الأحنف في خبر

(نعم) ضمن (باب السلو)<sup>(١١)</sup>، ويمكن معاينة أحد نماذج هذا الموقع كما في المثال الآتي:

"واني لأعرف جارية اشتد وجدها بفتى من أبناء الرؤساء، وهو لا علم عنده، وكثر غمها وطال أسفها، إل أن ضنيت بحبه، وهو بفرارة الصبي لا يشعر، ويمنعها من إبداء أمرها إليه الحياء منه، لأنها كانت بكرًا يخاتمها، مع الإجلال له عن الهجوم عليه بما لا تدري لعله لا يوافق. فلما تمادى الأمر، وكانا الفين في النشأة، شكت ذلك إلى امرأة جزلة الرأي، كانت تثق بها لتوليها تربيتها، فقالت لها:

عرضي له بالشعر، ففعلت المرة بعد المرة وهو لا يأبه في كل هذا. ولقد كان لقنا ذكيا لم يظن ذلك فيميل إلى تنقيش الكلام بوهمه. إل أن عيل صبرها، وضاق صدرها، ولم تمسك نفسها في فعدة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين، ولقد كان يعلم الله عفيفا متصاونا بعيدا عن العاصي، فلما حان قيامها عنه بدرت إليه فقبلته في فمه، ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه بكلمة، وهي تنهادى في مشيها، كما أقول في أبيات لي:

كأنها حين تخطو في تأودها

قضيبي ترجسة في الروض مياض

كأنما خللها في قلب عاشقها

فقيه من وقسحها خطر ووسواس

كأنما مشيها مشي الحمامة لا

كدأ يعاب ولا يظء به بأس

فبهت وسقط في يده، وفت في عضده، ووجد في كبده وعلته وجمة، فما هو إل أن غابت عنه، ووقع شرك الردى، واشتعلت في قلبه النار وتصغلت أنفاسه، وترادفت أوجاله وكثر قلقه، وطال أرقه، فما غمض تلك الليلة عينا، وكان هذا بسوء الحب بينهما دهرًا، إل أن جذت جملةتها يد النوى، وإن هذا لمن مصائد إبليس، ودواعي الهوى التي لا يقف لها أحد، إل من عصمه الله عز وجل".<sup>(١٢)</sup>

ينجز الخبر مهمته في إضاءة الواقعة ومتابعة مختلف تفاصيلها، ما يتعلق منها بالشخصيتين الرئيسيتين، غير المذكورتين الاسمين، والمعرفتين بحسب وظيفتيهما وموقعيهما

الاجتماعيين: جارية وفتى من أبناء الرؤساء، وبحسب ما يتطلبه انجاز الواقعة من صفات خاصة بكل منهما يقدمها السرد عبر ما يدلي به من تعالق سببي: الجارية حبيبة (لأنها) كانت بكرًا يخاتمها، تجل الفتى، والفتى لا يشعر (لأنه) بفرارة الصبي، وهما (معًا) كانا الفين في النشأة، ليقدّم الخبر في إشارة من إشارات تفوقه السردى إرصادًا لما سيقع من حدث لاحق عبر جملة توجه توجيها فكريا فتبدو، أول وهلة، غريبسة على السياق، نابية عنه، وهو يصرح بعدم رغبة الجارية ب (الهجوم) على الفتى، لكنه الفعل الذي سيقع بعد مسافة سردية معلومة فيحقق الإرصاد إشارته وينجز السرد تقدمه باعتماد تقنية تطور أسلوب رواية الخبر وتزيد من تركيبه، حتى دخول المساعد: امرأة جزلة الرأي، ذات علاقة خاصة بالجارية، تثق بها لتوليها تربيتها، ووقوع المساعدة عبر اقتراح التعريض بالشعر الذي لم يؤد نتيجة تذكر بسبب عدم ذهاب الظن بالفتى، ليتحول الحدث بإقدام الجارية على تقبيل الفتى، ولينشغل السرد، بعدها، بحال الفتى ومعاينة أوصافه بتأثير من اشتعال النار في قلبه، ولتؤدي الوحدات الزمنية، من جانب آخر، دورها في كشف الواقعة وملاحظة منتهى، فلم يستغرق سريان الحب في صلب الفتى سوى (ليلة)، وهي الليلة التي كانت بداية لعلاقة امتدت بينهما (دهرًا)، لينتهي الخبر نهايتين:

١- الأولى: داخلية، تنبع من الخير نفسه وتنظم علاقته بالباب الذي يكون فيه، وهي نهاية عضوية يكتمل بها السرد وتغلق بالوصول إليها دائرته، فافتراق المحبين بعد (أن جذت جملةتها يد النوى) فعل ينجز مهمة الخبر ويصل به إلى نقطة لا يتحرك بعدها.

٢- الثانية: خارجية، ترتبط بالمؤلف نفسه وتشير لخلق وثقافته ومعتقداته (وإن هذا لمن مصائد إبليس، ودواعي الهوى التي لا يقف لها أحد إل من عصمه الله عز وجل)، وهي نهاية عضوية ينتقل من خلالها المؤلف من موقع الراوي إلى موقع الموجه، مستعيداً صوت العليم صاحب الخبرة الذي يفتتح بعلمه وخبرته أبواب الكتاب، وهذه النهاية، بحكم خارجيتها، لا تتدخل بمجرى السرد ولا تنبثق عنه ولا تؤثر فيه.

من خلال المعاينة السردية للخبر وملاحظة اكتماله بذاته يمكن الإشارة إلى الدور الوظيفي الثانوي الذي يؤديه الشعر وهو يقطع مجرى السرد بعتبة تعمل على تشبيه وجه واحد من وجوه الخبر، تهادي الجارية في مشيها بعد أن قبلت الفتى، والمقطع لا يكتفي بـ (كاف) التشبيه في عتبه (كما أقول في أبيات لي)، بل يتكرر على امتداد القول الشعري فاتحة لكل بيت من أبياته الثلاثة: كأنها حين تخطو، كأنها خلفها، كأنما مشيها، بما يشير لاعتباطية النقطة التي يوقف السرد عندها، وهو إيقاف ربما دعا إليه حضور النص الشعري وتطابقه مع أحد أوجه الخبر.

إن ما ينتج من تنويع جزاء التجسؤ من النثر إلى الشعر والعودة إلى النثر مرة أخرى، هو تنويع شكلي يوسع المساحة الجمالية للخبر في تشككه النصي من غير أن يضيف ما يخدم حركة وحداته ويسهم بتلاحم عناصره أو تطور مجرى حدثه وينتقل به من حال إلى حال، بعكس الموقع الثالث الذي يحقق الشعر فيه تقدماً على الصعيدين الشكلي والوظيفي.

٢. الموقع الثالث: يقترح الشعر، بعد إحدى العتبات المذكورة، صلة أكثر قوة بالخبر ونشد وضوحاً، وهو الموقع الذي تغيب المسافة فيه بين النثر والشعر، أو تكاد، لينشأ نوع من التقارب الوظيفي بين كل منهما، إذ ينشد الشعر وظيفة تقرب من وظيفة النثر نفسه وهو ينقل خبراً معيناً ويضيء واقعة معلومة، وهو بالنتيجة أرقى المواقع الثلاثة وأكثرها تلاحماً بين جانبي النص الشعري الشكلي والوظيفي، وذلك متأت من وضوح دور المؤلف الذي يكون حاضراً داخل الخبر، بما يفسر هيمنة هذا الموقع على الأخبار الخاصة بابن حزم، كما ستدرس لاحقاً، فيصعب انفصال ابن حزم الشاعر عن ابن حزم الناثر، وإن عمل الأخير على رصد وتوجيه طيف واسع من الأخبار على اختلاف آفاقها، خاصة وعامة، أندلسية وغير أندلسية، معاصرة لمؤلفها وغير معاصرة، وقد يتعلق الخبر بالتجربة الشعرية نفسها فينشغل النثر عندئذ باستعادة هذه التجربة بوصفها خبراً شخصياً يتطابق بمنتهجه الشعري مع هدف الباب وغايته، كما في المثال الآتي من (باب فضل التعطف):

"وإني أذكر أنني ذعيت إلى مجلس، فيه بعض من تستحسن الأبصار صورته، وتألف القلوب أخلاقه، للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه، فسارعت إليه وكان هذا سحرًا، فبعد أن صليت الصبح، وأخذت زيني، طرقتني فكر، فسنحت لي أبيات، ومعني رجل من إخواني فقال لي: ما هذا الإطراق...؟ فلم أجبه حتى أكملتها، ثم كتبتها ودفعتها إليه، وأمسكت عن السير حيث كنت نويت. ومن الأبيات:

أراقك حسن غيبه لك تأريق

وتريد وصل سره فيك تحريق

وقرب مزار يقتضي لك فرقة

وشيكا ولولا القرب لم يك تفريق

ولذة طعم يعقب لك علقماً

وصاباً، وفسخ في تضاعيفه ضيق"<sup>(١١)</sup>

يتجلى ما بين النثر والشعر من رابط موسوعي لا يقف عند حدود الباب وما يفترضه من تقارب وتمثيل في كل منهما، بل بما يقارب بين التجريبتين ويعمل على توحيدهما حتى ليشكلا تجربة واحدة تتحرك من النثري إلى الشعري في مواجهة موضوعها والتعبير عن أبعادها الشعورية، فيكون فعل إنجاز النص الشعري بديلاً عن فعل الخبر الذي اقتطع نتيجة لما طرقت من فكر، مثلما يكون مكملًا لمعناه، إن مناسبة المقام فتعدى مناسبة القصيدة لتخلق نوعاً من التلاحم بين النثري والشعري، الوجه الذي يمكن أن نجد له صورة أخرى عبر (تكليف) ابن حزم أن يقول شيئاً في مناسبة الخبر كما في (باب قبج المعصية)<sup>(١٢)</sup>، بما يقارب بين تجربتي الخبر والنص الشعري وهما ينظران إلى جهة واحدة، والمؤلف، على العموم، شاهد من شهود الواقعة مثلما هو راويها نثراً ومعيد انتاجها شعراً. ومما يذكر في هذا الموقع سعي المؤلف للتدخل شعراً بين عاشقين، كما في الخبر الآتي:

"وإني لأعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد، وقد بلغ بها حب فتى من إخواني جداً من أبناء الكتاب، مبلغ هيجان المرار الأسود وكادت تختلط، واشتهر الأمر وشاع جداً حتى علمناه وعلمه الأباعد، إلى أن تدوركت بالعلاج. وهذا لما يتولد عن إدمان الفكر، فإذا غلبت الفكرة، وتمكن

الخلط السوداوي خرج الأمر عن حد الحب إلى حد الوله والجنون، وإذا أغفل التداوي في الاول، إلى المعاناة، قسوي جداً، ولم يوجد له دواء سوى الوصال.

ومن بعض ما كتبت إليه قطعة، منها:

قد سلبت الفؤاد منها اختلاسا

أي خلست قيعي شش دون فؤاد...؟

فأغثها بالوصل تحي شريفا

وتفر بـ\_\_\_\_\_الثواب يوم المعاد

وأراها تعترض إن دام هذا

من خلا خليها \_\_\_\_\_لى الأفق ياد

أنت حقاً متيم الشمس حتى

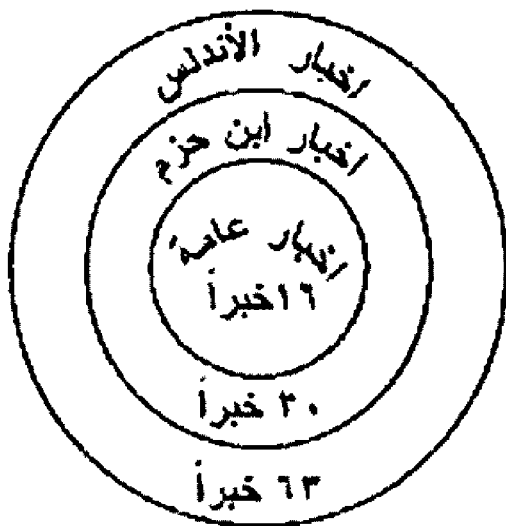
عشقهما بسين ذا الوري لك باد<sup>١٠١</sup>

إن ابن حزم قريب من الواقعة إلى درجة التماس مع شخصياتها، وهو قرب يمكن ملاحظته من جانبين، ينشغل الاول بالعرفه التي تنظم حضور الخبر في (باب الضنى) من خلال معرفته بالجارية يحددها بالصفة الشخصية والمرتبة الاجتماعية، ثم يضئ، حبسها لفتى من (إخواني جداً) أي أن الفتى يعرف بمقدار صلته بابن حزم قبل أن تضاف له صفة أخرى تزيد من قربيه منه (من أسفء الكتاب)، يخضع الخبر بعينئذ لنظر ابن حزم العالم في حديثه عن مبلغ هيجان المزار الاسود لدى الجارية، ليلتفت على نحو كامل عن الخبر شارحاً المرض ومبيناً أسبابه، حتى يصل إلى دوائه الوحيد وهو (الوصال)، ثم يتوجه إلى الجانب الثاني من بناء الخبر عبر كتابته للفتى المعشوق قطعة شعرية يذكر منها أربعة أبيات، وهو الجانب الذي يكشف قرب ابن حزم من الواقعة، فهو لا يكتفي برواية الخبر بما يتناسب وموضع الباب، أو بالإحاطة التفصيلية بعله العاشقة، بل يتدخل في محمول الخبر مشتبكا مع واقعه، ليصبح عندئذ شخصية بين شخصياته: عاشقة ومعشوق وبينهما شاعر يؤدي دور المساعد الناصح الذي يهدف إلى تغيير تجربة الخبر والانتقال به من حال إلى حال.

### أغلفة السيرة:

يشير التباين العددي بين اخبار كتاب (طوق الحمامة)، كما في

الجدول رقم (١)، إلى الانشغال الأساس للكتاب بطبيعة الحياة الاندلسية وتغيرات أحوالها، وهي تشكل امتداداً لأخبار المؤلف وفضاء لتجاربه المباشرة منها وغير المباشرة، مثلما تشير القلة العددية للأخبار العامة إلى سعي المؤلف لإنتاج كتاب في التجربة الاندلسية بشقيها الذاتي والموضوعي، وبطبيعتها الاجتماعية (أو التاريخية أو السياسية)، بما يترشح عنها من اشارات عاطفية ورؤى حكمية، إن امتياز التجربة الاندلسية تعلنه ثلاثة وستون خيراً تنقطع لالتقاط تفاصيل حياة الاندلس وإضاءة تجارب أناسها، مكملة بثلاثين خيراً يوقفها ابن حزم لتدوين وفائده واستعادة أوجه سيرته، وتراجع الاخبار العامة الستة عشر مشكلة إشارات الكتاب للتجارب الإنسانية ممثلة ببعض أخبار الأنبياء والحكماء ورجال التاريخ إضافة إلى خير ورد في سير ملوك السودان، لتكون الجسر الواصل بين تجربتين أندلسية وعامة، وهما تشكلان غلافاً للتجارب الخاصة بالمؤلف، فعلى الرغم من رغبة ابن حزم في كتابة بعض من فصول سيرته يلاحظ ورود أخباره الشخصية مغلقة أو مغطاة بأخبار الاندلس والاخبار العامة، فأخبار السيرة لا ترد كثيرة العدد إلى الدرجة التي تقف معها أول أخبار الكتاب ولا قليلته فتكون آخرها، إنها تختار منطقة وسطى، ومن حولها تتعدد الأخبار:



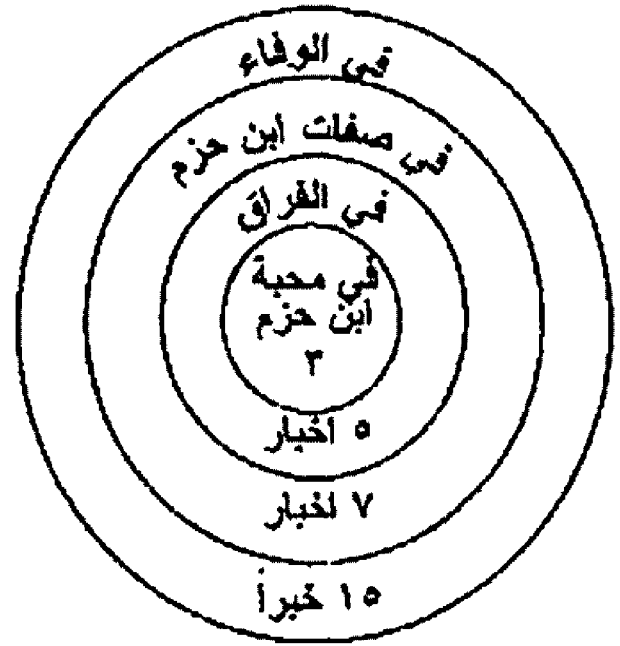
مثلما يشير تداخل الأخبار في كل باب من ابواب الكتاب وعدم انتظامها بحسب أنواعها الثلاثة إلى أولوية مناسبة الباب وهو يفتح مجالاً موضوعياً تتابع الاخبار داخله بصرف النظر عن أنواعها بما يشكل غطاءً آخر "تنبو السيرة فيه عن" موضوعها" نفسه، والا لوجدنا أنفسنا بإزاء كتابة تاريخية أو تقريرية<sup>١٠٢</sup>،

لتبدو السيرة في مرآة أخبارها وبحكم انتظام هذه الأخبار داخل المنظومة الخيرية للكتاب أسيرة موقفين متضادين: موقف الكشف والإعلان وموقف السر والإخفاء، وهما يتنازعان تاريخ صاحب الكتاب مثلما يتنازعان سيرته وهي ترتدي (الحب والعشق) نوعاً أدبياً تتكشف من خلاله أوتتخفي فيه، الأمر الذي يؤثر في آلية بناء أخبار ابن حزم على نحو خاص ويجسد على نحو ما علاقة الأخبار بالوقائع المنتقاة وأنماط صياغتها أولاً، وعلاقتها بتاريخ صاحبها ثانياً، لأن "التاريخ الفردي لا يعود إلا الواقع التمثيلي للسرد أو الحكاية، وليس بعد أصله ومرجعه الأخير"<sup>١</sup>، فابن حزم يدون بعضاً من وقائع ابن حزم ملتفتاً من نفسه إلى سيرته، من حضوره إلى غيابه، من حاضره إلى ماضيه، معلناً انتمائه، ومؤكداً انقسامه (أو تمرقه) بين صورتين تؤدي أخبار الاندلس والأخبار العامة وظيفته مهمة في المقاربة بينهما وفي التهيئة لتداخلهما.

إن الالتفات من الحاضر إلى الماضي لا يشكل انفصالاً عن الزمن الراهن وهجاء له، أو رثاء للذات عبر رثاء حاضرها فحسب بل إن الالتفات مسؤول عن المقارنة بسين لحظتين تاريخيتين عبر المؤالفة والمجاورة بينهما للوصول إلى لحظة ثالثة عميقة التأثير هي لحظة التفكير والتأمل والمراجعة، مثلما يكون هذا الالتفات عبر الكتابة فعل تعتد للزمن في سبيل الذهاب إلى هدف لا يتحقق إلا بكسر الحدود الزمنية والخروج عليها، فمن لحظة الأيمة راهنة يستعيد ابن حزم لحظات الذروة في حياة منفلة ناشداً المستقبل بحيث يمكن لكتابته أن تتحقق بأفعال قراءة ناجزة لا يكون فيها ظلاً متماهياً مع ظلال عسرات الكتاب العرب الذين انجزوا مدوناتهم في (الحب والعشق)، ولا صوتاً ذاتياً بين أصواتهم، بل يمكن أن ينجز بالتفاتته إنصاتها للذات، وإقامة مجازية لها في زمانها الخاص. إنه يكتب ذاته، بمعنى ما، معيداً تشكيلها بما ينتج من معايير كتابية ونظم خبرية لا تنفلت عن مرجعها ولا تمحو صلتها مع وقائع حياة صاحبها فهي تعمل بهما، بالمرجع والوقائع، ومن خلالهما على نقض الحاضر والحن من قدرته على إعادة ترتيب العالم، حيث يكون مركز الأمس، بفعل تحولات الحدث السياسي، هامشاً مقصياً من هوامش اليوم.

وحاشية ممحوة على متن الحياة الاندلسية. إن ابن حزم يخوض عبر إنجاز (طوق الحمامة) حربه الخاصة على ميدانه الخاص، مؤمناً لوجوده إمكانية التواصل والاستمرار بما تحققه الكتابة من تعديل على تراتبية زمنية قاهرة يكون فيها الماضي، حلم الذات وفردوسها، حاضراً لا يزول، بما يمكن أن تنجزه هذه الكتابة من استعادة لزمن غائب وتعزيز الإحساس به، فيبدو توزيع الأخبار، خصوصاً الشخصية منها، على النحو الذي يرد في الكتاب محملاً بالدلالة ومشحوناً بالرغبة في استعادة أزمنة الذات المعبرة عن رخائها وفتوتها وسعة ملكها وهو ما لا يتحقق بالتركيز على جانب واحد من المشهد بل بتقديم المشهد كاملاً بما فيه من تضادات وتحولات، من علو إلى انخفاض، ومن قدرة إلى عجز، ومن لقاء إلى فراق، ليواجه المادي بالموضوعي، وتبدل القيم في الميدانين السياسي والتاريخي بثباتها ورفعتها في الميدان الشخصي للمؤلف ورصيد وقائعه مثلما يشف عنها التوزيع الموضوعي لأخباره، كما في الجدول رقم (٢)، وهو يقدم أخبار الوفاء، ووقائعه على أخبار نشأة المؤلف وصفاته الشخصية، وأخبار الفراق على أخبار وقائع محبته، وفي سلم من القيم التي تكون الذات مركزاً لها، فإذا كان (الحب والعشق) موضوعاً للكتاب، ومسوغاً لاستعادة وقائعه، ومحوراً لأخباره، فإن ابن حزم يعمل على إثبات قيم محبته وما يقاربها وما يدور في فلكها لإنتاج مواقف وتنظيم علاقاته وصولاً لأعلى تطابق ممكن بين موضوع الخبر وموضوع الكتاب، حيث يقف ابن حزم إلى جانب من تنقل عنهم وقائع المحبة وتوصف تجارب عشقهم، وهو يتقدمهم لا بعدد الأخبار بل بأنواعها بما يمنحها مساحة مميزة بالمقارنة بمساحة سواها من الأخبار لما تحظى به من عناية تفصيلية، كأن ابن حزم لا يسعى من خلال هذه العناية إلى تذكر وقائع محبته وإعادة إنتاجها في وحدات خبرية فحسب، بل إلى إعادة خلقها وبعث الروح فيها، وهو يؤمن لها موقعاً مركزياً في التوزيع الموضوعي لأخبار محبته، فإذا كانت أخبار الشخصية قد اتخذت منطقة وسطى في التسلسل العددي لأخبار الكتاب، فإن أخبار محبته تقع موقع النواة التي تغلفها موضوعات أخباره الخاصة، وهي موضوعات لا تنتظم انتظاماً تصاعدياً أو تنازلياً

بحسب ما يقدمه الجدول التقريبي المرفق، بل إن تداخل هذه الأخبار وتجاورها داخل أبواب الكتاب يجعل مهمة تقسيمها تقسيماً موضوعياً ليست سهلة أو نهائية، لكنها بتداخلها وتواشج وقائعها تهيئ لنفسها شكلاً تتألى حلقاته بحسب أعدادها وصولاً لنواتها الممثلة بأخبار محبة ابن حزم:



### معلومات وخبرات:

تتصل أخبار محبة ابن حزم فيما بينها اتصالاً موضوعياً تنتظم فيه ضمن تسلسل كمي، بمقدار ما يحمل كل منها من معلومات تخص صاحب الخبر وتعنى بكشف بعض من جوانب سيرته، متتابعة في إدلائها بمعلوماتها بالطريقة التي تنظم عمل المعلومة بين الخبرين السابق واللاحق، فما يُذكر في الخبر الأول، وهو ينطوي على معلومة واحدة مفادها أن ابن حزم أحب في صباه جارية له شقراء الشعر، فما استحسن من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولوانه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه<sup>(١٣)</sup>، يتضمن بوصفه معلومة ناجزة وإبلاغاً مسبقاً في كل من الخبرين الثاني والثالث وهما يتوسعان بما يفضيان به من معلومات على المستويين الكمي والنوعي، كما أنهما يقتربان من الواقعة التاريخية التي تظل في الخبر الثاني شخصية إلى حد، وتنفتح مع الخبر الثالث على الحدث العام سماعية لتأرخته وتدوين تحولاته، من غير أن يؤدي ابن حزم وهو ينشغل بالواقعة وما حولها دور المؤرخ الذي يجعل منتهى غايته تدوين الأحداث، كما يعني، من جانب آخر، الرغبة في تأدية دور القاص

ووظيفته في تطويع أحداث التاريخ وتوجيهها لما يحلمح إليه قصه من أهداف وغايات، فعلى الرغم من اعتماده التتابع نسقاً تتلاحق عبره الوقائع وتنتظم الأحداث بما يقارب بينه وبين التسجيل التاريخي في تسلسل سرد مروياته يظل بعيداً عن هذا الشكل من التسجيل لتمرکز سرد (طوق الحمامة) حول شخصية الراوي/المؤلف الذي يعمل بوعيه الخاص وبرؤيته للأشياء على إعادة تقديم العالم، عالمه، بوقائعه المتباينة في درجة اتصالها به، لكنه يظل على نحو عام، على تماس واضح بـ...ها، من دون أن ينتقل بسرده إلى مشارف التخيل الذي يضطره، في سبيل إتقان دور القاص، إلى خلخلة واقعية وقائع والإخلال بمصداقيتها، لكن رابطاً بناتياً مهما يظل قائماً بين سرد (طوق الحمامة) من جهة والسرد التاريخي والقصصي من جهة أخرى وهو الوصف، وصف العالم من خلال وصف تفاصيله لإعادة خلقها وبعث الروح فيها لمواصلة الاحساس بها، بما يتطلب من انتباهات خبرية يسهم الخيال بنسب متفاوتة بإنتاجها من خلال تأنيث الأخبار، أخبار ابن حزم الشخصية منها على وجه التحديد، وإثراء عوالمها، كما أن ثمة رابطاً آخر سبقت الإشارة إليه يجمع بين سرد أخبار ابن حزم والسرد التاريخي دون السرد القصصي وهو تأكيد معظم هذه الأخبار، على اختلاف توزيعها الموضوعي، تأرخة وقائعها بما يشكل مفتاحاً للدخول من النصي إلى التاريخي، ويمنح الوقائع الخاصة فرصة الإطلال على الوقائع العامة وتثبيت تحولاتها، مثلما يسهم بتنظيم الحركة السردية، ويؤسس تحولات أحداثها بناء على المتغير التاريخي الذي يعد فاصلة ينحرف بعدها حدث ويتغير مجرى، إلى الدرجة التي يمكن ملاحظة عناية الأخبار الخاصة بتاريخها وقائعها بوصفها وسيلة من وسائل استمرار السرد وتناميها، لتتسع السيرة باتساع الحدث وتتعدد منظوراتها لذاتها وللعالم، كما في الخبر الثالث من أخبار محبة ابن حزم<sup>(١٤)</sup>، مثلما يسعى السرد لإنجاز ما يمكن من التوازن بين وظيفتيه الإبلاغية والإمتاعية إذ تنطوي الأخيرة على مجمل فعاليات الكتاب بوصفها شرطاً أول من شروط السرد، ابتداءً من العنوان بشقيه الجمالي والتفسيري وهو يختار تفصيلاً شكلياً من بين تفصيلات طائر الحمام، وربما كان التفصيل



الأقرب إلى النظر والسمة الأحب إلى القلب، بما يميز الحمامة من سواها من الطيور فقيل لها: ذات طوق، وهي الحلية التي أعطاها الله إياها، والزينة التي منحها إياها بدعاء نوح عليه السلام لحسن دالتها وطاعتها<sup>(١)</sup>، فضلاً عما تحمله الحمامة نفسها من معان ودلالات في موضوع الحب، وما يتضمنه ذكرها من إحياءات، وما تؤديه من وظائف لم يفت ابن حزم الحديث عنها في كتابه، ثم يأتي العنوان التفسيري لينفتح الكتاب على وعد من الإمتاع يتقوى في ذهن القارئ عبر تعطين من الخبرة: نمط عاطفي وآخر ثقافي، فالقراء على اختلاف مشاربهم ومعارفهم تجاربهم في المحبة ورغباتهم في اللفة والانتلاف، بما يشكل الإمتاع حاجساً في أذهانهم ورغبة تتحقق وتكون بتحقيق القراءة وتواصلها مقترنة بأفعال تجديد الرغبة والاكتشاف البنية على النمط الثاني من الخبرة، خبرة الثقافة التي تنظم حركة الكتاب في فلك النوع مهيئة أفق انتظار القارئ لوعد من الإمتاع يظل مفتوحاً بلا حواجز أو قيود، ليتحرك مؤشر الإمتاع داخل الكتاب بما يقترحه من أساليب وتقنيات متنقلاً بين النثر والشعر وهما يحملان معاً على تجسيد هذه الوظيفة وبلورة حضورها، جنباً إلى جنب مع الوظيفة الإبلاغية التي تحقق من خلال هيمنة الخبر حضوراً لا يقل عن سابقتها، إذا ما نظرنا إلى الخبر بوصفه فاعلية إبلاغ تنهض بالدرجة الأساس على مقدار وكيفية ما تنقله من معلومات من مرسل إلى مستقبل، وهي الفاعلية التي تتعدد منابع معرفتها بتعدد لاماطها وتختلف باختلاف تجاربها، من المرجعيات العامة كالآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، والأعلام، ومرجعيات الحياة الاندلسية المتضمنة سلوك المجتمع الاندلسي وأساليب حياته، والمرجعيات السياسية والتاريخية بما تنطوي عليه وما تؤذن به من تحولات، إلى المرجعيات الخاصة التي تتكشف من خلالها تجارب ابن حزم وثقافته ولاماط خبرته، وهو يعمل على الإفادة منها في حركته بين العام والخاص متنقلاً من سلوك المجتمع الاندلسي إلى نشأته الشخصية، ومن أساليب حياة هذا المجتمع إلى نظراته لحياة وسلوك المجتمع الانساني، مثلما تسهم معلوماته وخبراته الفقهية والطبية والتاريخية بتعزيز هذه الوظيفة كما يوضحها الجدول رقم (٢).

### تركيب:

١. تتضح خصوصية كتاب (طوق الحمامة) من خلال فاعلية حضوره في موقعين: فني وتاريخي، وعبرهما يمكن النظر إلى خصائصه التي تمكنه من تجلية غير اللساني في اللساني، إعلانه والإفصاح عنه، بما يهيئ له العمل داخل وخارج النوع الأدبي في آن، فهو يحافظ على وجوده بين مؤلفات (الحب والعشق) عبر حفاظه على حد أدنى من العناصر والسمات التي تشترك هذه المجموعة من النصوص في إبرازها<sup>(٢)</sup>، لكنه ينحرف حال دخوله في النوع لينظر إلى نفسه، مشتقاً من بين العناصر المشتركة خاصة، ومن بين السمات العامة سمات تمكنه من الالتفات إلى تاريخه، تاريخ صاحبه، مؤلفه وراوي.

٢. وإذا كان تاريخ الكتاب يتحدد عبر تاريخ النوع الذي يكون فيه، مواصلاً دائرة تأليفه ومعيداً تنظيم وحداته التي سبق ظهورها في مؤلفات النوع، فإن كتاب (طوق الحمامة) ينشغل، إلى حد كبير، بتاريخه معتمداً لحظته الزمنية نقطة شروع لا للذهاب إلى تاريخ النوع وإعادة تنظيم وحداته، بل لإضافة وحدات جديدة لم تدخل من قبل في مؤلفات النوع، ولم ينظر لها بوصفها وحدات مشتركة.

٣. في (طوق الحمامة) لا يكون النوع هو هو، مثلما لا يكون مؤلفه/راوي بين حاضِر الرواية وماضي المروي هو هو، إنه ينتج في اغترابه نصاً مغترباً لا يتحدد بالنوع ولا يستجيب لإرادته على نحو كامل، مثلما لا بهجره ولا ينفصل عنه، بما يؤثر في وحدته تأليفه ويغير من ترتيب أولوياتها، كما يؤثر في أركانه السردية بما يتعلق منها بمسألة (الإسناد)<sup>(٣)</sup> إسناد الخطاب إلى متكلم، وهي تتحرك بين الخاص والعام، بسين الذاتي والموضوعي، منتجة خطاباً مزدوجاً شخصياً غيرياً في أن:

• الراوي: يُعد (طوق الحمامة) خطاباً شخصياً؛

الراوي يتحدث باسمه.

• المروي: يُعد (طوق الحمامة) خطاباً مزدوجاً؛

شخصياً: الراوي يروي وقائعه الخاصة في أخبار تفتتح بـ:

إني لأخبرك عني

ولقد أذكرني هذا

أبركت

كان لي في بعض الزمن

- غير يا: الراوي يروي وقائع غيره بما يتطلب أن يكون:

- مروياً له: بما روي له من وقائع يعيد روايتها في كتابه

مفتتحاً أخبارها ب:

حدثني

أخبرني

سمعت

- راوياً: يروي وقائع وقعت لغيره وأحاط بها مباشرة

مفتتحاً أخبارها ب:

إنني لأعرف

ولقد رأيت

شاهدت

لعهدي

- المروي له: يساوي الراوي بالرتبة أو يقاربه فيها بما يمنحه

موقفاً داخل الكتاب ينقسم إلى:

- المخاطبة بقصد تعليل التأليف

- المخاطبة بقصد تنظيم الاتصال واستمرار السرد، يتحدد

ظهور المروي له في جمل مثل:

أعزك الله

وأنك لتجد

أخبرك

أعلم أن

فإن ظفرت به يدك

٤. ترتب فاعلية الأركان السردية على الكتاب مهمتين: خاصة

يقترّب من حدود السيرة وهو يلتفت إلى حياة صاحبه ملتقطة

بعض وقائعها وهي تصب على نحو مباشر في النوع، أو

تبتعد عنه لتصل إليه بعد مرورها بالسياسي ووقوفها

عند تحولاته، ومهمة عامة ينظر فيها إلى التجريبية

الاندلسية بتواشع حديثها التاريخي والسياسي

فضلاً عما يعتمد الكتاب من وقائع وأخبار إنسانية وهي،

على قسالتها، تساهم بإضاءة هدف الكتاب وتأمين مجاله

النوعي.

## الجدول

### جدول رقم [١]

#### ١. أخبار الأندلس

ت	الصفحة	الباب	استهلال الخبر
١	٤٩	الكلام في ماهية الحب	وأحدث ذلك ما شاهدناه بالأمس
٢	٥٥	الكلام في ماهية الحب	ولقد علمت فتى من بعض معارفي
٣	٥٦	الكلام في ماهية الحب	وهذه الصفات مخالفة لما أخبرني به
٤	٦٧	باب علامات الحب	ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً
٥	٦٨	باب من أحب في النوم	وذلك أني دخلت يوماً على أبي السري
٦	٧٥	باب من أحب من نظرة واحدة	حدثني صاحبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن إسحاق
٧	٧٨	باب من أحب من نظرة واحدة	إنني لأعلم فتى من أبناء الكتاب
٨	٨٢	باب من لا يحب إلا مع المطاولة	إنني لأعرف فتى من أهل الجدة
٩	٨٥	باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها	وأما جماعة خلفاء بني روان

وإنا أعرف فتى وجارية	باب التعريض بالقول	٩٠	١٠
ولعهدي ببعض أهل الحبة	باب المراسلة	٩٥	١١
ولقد حُبرت عن بعض السقاط	باب المراسلة	٩٥	١٢
ولقد رأيت كتاب الحب إلى محبوبه	باب المراسلة	٩٥	١٣
وإني لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة	باب السفير	٩٨	١٤
وإني لأعرف بعض من امتحن	باب طي السر	١٠٠	١٥
ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة	باب طي السر	١٠٢	١٦
وعلى مثل هذا	باب طي السير	١٠٢	١٧
فإني أدري من كان محبوبه	باب طي السر	١٠٣	١٨
وحدثني موسى بن عاصم بن عمرو	باب الإذاعة	١٠٥	١٩
وحدثني أبو دلف الوراق	باب الطاعة	١١٠	٢٠
واشفع من هذا أنه كانت لسعيد بن منذر	باب الطاعة	١١٢	٢١
ومن عجيب طاعة الحب لمحبوبه	باب الطاعة	١١٣	٢٢
ولقد سألتني يوماً أبو عبد الله محمد بن كليب	باب الطاعة	١١٤	٢٣
وإني لأعلم امرأة موسرة	باب المساعد من الاخوان	١٢٠	٢٤
وإني لأعلم امرأة جليلة	باب المساعد من الاخوان	١٢٠	٢٥
ولقد شاهدت يوماً محبين	باب الرقيب	١٢٢	٢٦
وإني لأعرف من هم أن يباطش رقيباً	باب الرقيب	١٢٢	٢٧
ولقد شاهدت من تلحف في استرضاء رقيب	باب الرقيب	١٢٣	٢٨
وإني لأعرف من رقب على بعض	باب الرقيب	١٢٤	٢٩
إني أعرف محبين	باب الرقيب	١٢٥	٣٠
ولقد شاهدت هذا بعينه	باب الواشي	١٢٧	٣١
وأقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري	باب الواشي	١٢٢	٣٢
وإني لأعرف جارية	باب الوصل	١٢٧	٣٣
ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله	باب الوصل	١٢٩	٣٤
وإني لأعلم فتى وجارية	باب الوصل	١٤١	٣٥
ولقد حدثتني امرأة أثق بها	باب الوصل	١٤٢	٣٦
وإنا أدركت بنت زكريا بن يحيى	باب الوصل	١٤٢	٣٧
ولقد حدثتني ثقة من إخواني	باب الوصل	١٤٢	٣٨
ومن بديع الوصل، ما حدثتني به بعض إخواني	باب الوصل	١٤٤	٣٩
وما رأيت قط هذه الصفة أشد تغلباً منها	باب الهجر	١٥٤	٤٠
ومن عجيب ما يكون فيها	باب الهجر	١٥٧	٤١

ومن أشنع ما شاهدته من الوفاء	باب الوفاء	١٦٢	٤٢
ولعهدي رجل من صفوة إخواني	باب الوفاء	١٦٢	٤٢
ولقد حدثتني امرأة أثق بها	باب الوفاء	١٦٤	٤٤
ولقد حدثتني القاضي يونس بن عبد الله	باب الغدر	١٦٩	٤٥
وأعرف من أتى ليودع محبوبه يوم الفراق	باب البين	١٧٧	٤٦
ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه	بابا البين	١٨١	٤٧
وأخبرني بعض إخواني	باب القنوع	١٨٧	٤٨
واني لأعرف جارية من ذوات المناصب	باب الضنى	١٩٨	٤٩
وحدثتني جعفر مولى أحمد بن محمد بن حدير	باب الضنى	١٩٨	٥٠
وأخبرني أبو العافية مولى محمد بن عباس	باب الضنى	١٩٩	٥١
ولقد حدثتني أبو السري	باب الموت	٢١٢	٥٢
وأنا أعلم جارية كانت لبعض الرؤساء	باب الموت	٢١٤	٥٢
ولقد أخبرني ثقة صديق من إخواني	باب فتح المعصية	٢٢٦	٥٤
واني لأعلم فتى من أهل الصيانة	باب قبج المعصية	٢٣١	٥٥
ولي كلمتان، قلتهما معرضاً	باب قبج المعصية	٢٣٢	٥٦
ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في غير ذات الله	باب قبج المعصية	٢٣٨	٥٧
فهذا خلف مولى يوسف بن قمقام القائد المشهور	باب قبج المعصية	٢٣٩	٥٨
ولقد أخبرني أبو بكر محمد ابن الوزير عبد الرحمن	باب قبج المعصية	٢٤٠	٥٩
حدثني أبو موسى هارون بن موسى الطبيب	باب فضل التعفف	٢٥٠	٦٠
ولقد حدثتني امرأة أثق بها	باب فضل التعفف	٢٥١	٦١
ولقد حدثتني ثقة من إخواني	باب فضل التعفف	٢٥١	٦٢
وحدثني أبو عبد الله محمد بن عمرو	باب فضل التعفف	٢٥٢	٦٢

### جدول رقم [١]

#### ب . الأخبار الخاصة بابن حزم

ت	الصفحة	الباب	استهلال الخبر
١	٦٥	باب علامات الحب	ولقد أذكرني هذا الفصل لوماً
٢	٧٢	باب من أحب بالوصف	بيني وبين رجل من الأشراف
٣	٧٢	باب من أحب بالوصف	ووقع لي ضد هذا
٤	٨٥	باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها	دعني أخبرك، أنني أحببت في صباي
٥	١٠٥	باب الإذاعة	واني لأعرف من أهل قرطبة

٦	١١٧	باب العادل	ووقع لي مثل هذا، وان لم يكن من جنس الكتاب
٧	١٢١	باب المساعد من الاخوان	ولقد شاهدت النساء
٨	١٢٢	باب الواشي	ولي، إلى ابي اسحاق ابراهيم من عيسى
٩	١٢٢	باب الواشي	وكان لي صديق مرة
١٠	١٢٨	باب الوصل	وعني، أخبرك، اني مارويت
١١	١٤٩	باب الهجر	ولقد عرض لي في الصبا هجر
١٢	١٥١	باب الهجر	واذكرني مثل هذا اني كنت مجتازا
١٣	١٥٢	باب الهجر	وكان لي في بعض الزمن صديقان
١٤	١٦٢	باب الوفاء	وكان لي مرة صديق
١٥	١٦٢	باب الوفاء	ومما يدخل في هذا الدرج، وان كان ليس منه
١٦	١٦٧	باب الوفاء	بالوفاء أيضا لفتخر
١٧	١٧١	باب البين	ولعهدي بصديق لي
١٨	١٧٢	باب البين	واذكر اني دخلت قرطبة
١٩	١٧٥	باب البين	ولقد نعى إلي بعض من كنت أحب
٢٠	١٧٨	باب البين	ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الأزمان
٢١	١٧٩	باب البين	دعني أخبرك
٢٢	١٨٢	باب البين	ولقد أخبرني بعض الوزراء من قرطبة
٢٣	١٩١	باب القنوع	ومما يدخل في هذا الباب أبيات لي
٢٤	٢٠٥	باب السلو	واني لأخبرك عني
٢٥	٢١٢	باب السلو	دعني أخبرك
٢٦	٢١٢	باب السلو	ومما يشبه ما نحن فيه
٢٧	٢١٥	باب الموت	وانا أخبرك عن أبي بكر أخي
٢٨	٢١٦	باب الموت	واما خبر صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى
٢٩	٢٢٩	باب قبج المعصية	وكان السبب فيما ذكرته
٣٠	٢٢٩	باب قبج المعصية	ولقد ضمنني البيت ليلة

## جدول رقم [١]

### ج . الأخبار العامة

ت	الصفحة	الباب	استهلال الخبر
١	٤٩	الكلام في ماهية الحب	ومما يشبه هذا أن أبا العيش
٢	٤٩	الكلام في ماهية الحب	وقد ورد من خبر عبد الله

ولهذا ما اغتم بقراط	الكلام في ماهية الحب	٥٢	٢
وذكر افلاطون ان بعض الملوك	الكلام في ماهية الحب	٥٢	٤
وقرأت في السفر الاول من التوراة	الكلام في ماهية الحب	٥٢	٥
وذكر عن بعض القافة	الكلام في ماهية الحب	٥٤	٦
واني لأعلم بعض من كان محبوبه	باب علامات الحب	٦٢	٧
ويحكى عن الحسن بن هانئ	باب طي السر	١٠٢	٨
وقرأت في سير ملوك السودان	باب المساعد من الإخوان	١٢٠	٩
وقد قال بعض الحكماء	باب الواشي	١٢٩	١٠
وروي عن زياد بن ابي سفيان	باب الوصل	١٤٠	١١
وحدثني أبو بكر محمد بن بقي الحجري	باب الغنى	١٩٧	١٢
وحدثني أبو القاسم الهمداني رحمه الله	باب الموت	٢٢٠	١٢
حكاية لم أزل أسمعها من بعض ملوك البربر	باب الموت	٢٢١	١٤
ولقد ذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى	باب قبح المعصية	٢٢٤	١٥
وحدثني ثعلب بن موسى الكلاذاني	باب قبح المعصية	٢٢٦	١٦

## جدول رقم [٢]

### النوزعة الموضوعي للأخبار الخاصة بابن حزم

الموضوع	استهلال الخبر	الباب	الصفحة	ت
	ولقد اذكرني هذا الفصل يوماً..	باب علامات الحب	٦٥	١
	بين وبين رجل من الأشراف..	باب من أحب بالوصف	٧٢	٢
	ووقع لي ضد هنا..	باب من أحب بالوصف	٧٢	٢
	واني لأعرف من أهل قرطبة	باب الاذاعة	١٠٥	٤
	ووقع لي مثل هذا، وان لم يكن من جنس الكتاب..	باب العاذل	١١٧	٥
	ولي، الى ابي اسحاق ابراهيم بن عيسى..	باب الواشي	١٢٢	٦
	وكان لي صديق مرة..	باب الواشي	١٢٢	٧
	ولقد عرض لي في الصبا هجر..	باب الهجر	١٤٩	٨
	وكان لي في بعض الزمان صديقان..	باب الهجر	١٥٢	٩
	ومما يدخل هذا الدرج، وإن كان ليس منه..	بابا الوفاء	١٦٢	١٠
	بالوفاء أيضاً افتخر	باب الوفاء	١٦٧	١١
	ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الأزمان..	باب البين	١٧٨	١٢

١٣	٢١٢	باب السلو	ومما يشبه ما نحن فيه ..
١٤	٢١٥	باب الموت	وأما أخبرك عن أبي بكر أخي ..
١٥	٢١٦	باب الموت	وأما خير صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى ..
١	١٢١	باب المساعد من الأخوان	ولقد شاهدت النساء ..
٢	١٢٨	باب الوصل	وعني، أخبرك أنني ما رويت ..
٢	١٥١	باب الهجر	وأذكر في مثل هذا أنني كنت مجتازاً ..
٤	١٦٢	باب الوفاء	وكان لي مرة صديق ..
٥	٢١٢	باب السلو	وعني أخبرك ..
٦	٢٢٩	باب قبح المعصية	وكان السبب فيما ذكرته ..
٧	٢٢٩	باب قبح المعصية	ولقد ضمنني المبيت ليلة ..
١	١٧١	باب البين	ولعهدي بصديق لي ..
٢	١٧٢	باب البين	وأذكر أنني دخلت قرطبة ..
٣	١٧٥	باب البين	لقد نعى إلي بعض من كتب أحب ..
٤	١٨٢	باب البين	ولقد أخبرني بعض الوراد من قرطبة ..
٥	١٩١	باب القنوع	ومما يدخل في هذا الباب أبيات لي ..
١	٨٥	باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها	وعني أخبرك، أنني أحببت في صباي ..
٢	١٧٩	باب البين	وعني أخبرك ..
٣	٢٠٥	باب الساو	وإني لأخبرك عني

### جدول رقم [٣]

### الوظيفة الإبداعية

ت	المعلومات	لنماطها	أنواعها
١	مراجعيات	مرجعية (عامة)	الآيات القرآنية، التوراة الأحاديث النبوية الأعلام
		معلومات وخبرات (خاصة)	الفقهية الطبية حكومية



٢	العضارة	الحياة الأندلسية (عامة)	السلوك العادات الأساليب
		التجارب (خاصة)	نشأة ابن حزم نظريته سلوكه
٢	السياسة والتاريخ	تحولات (عامة)	سياسية تاريخية
		تحولات (خاصة)	سياسية تاريخية

## الهوامش والاحالات

(١) يشير احد نساخ مخطوطة (طوق الحمامة) في الخاتمة إلى (حذف أكثر أشعارها، وإبقاء العيون منها، تحسيناً لها، وإظهاراً لحاسنها، وتصغيراً لحجمها، وتسهيلاً لوجدان المعاني الغربية من لفظها).

ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، حققه وقدم له: صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، مشروع النشر المشترك ١٩٨٦: ٢٦٥.

(٢) إحسان عباس، في الأدب الأندلسي: ٢٤١.

(٣) يصرح ابن حزم باهتمامه بطبقة معينة من طبقات المجتمع الأندلسي لا يحدد في أخباره عنها ولا يأخذ من سواها (وأما من دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً، ولكن لم نسمعهم لخفائهم).

ابن حزم الأندلسي، م. س، ١٩٩.

(٤) خليل الشيخ، السيرة والمتخيل، دار (لزملة) عمان ٢٠٠٥: ٩.

(٥) م. ن.

(٦) الطاهر روابني، شعرية الدال في بيئة الاستهلاك في السرد العربي القديم، عن كتاب: السيمبائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، باجي مختار، الجزائر ١٩٩٥: ١٣٧.

(٧) م. ن.

(٨) عبد الفتاح كليطو، المقامات، ت. عبد الكبير الشرفاوي، توبقال، الدار البيضاء ١٩٩٢: ٤٢.

(٩) أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، الزهرة، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمودي القيسي، مكتبة المنار، الأردن ط ٢/ ١٩٨٥: ٤٤.

(١٠) ابن حزم الأندلسي، م. س: ٤٤.

(١١) إحسان عباس، م. س: ٢٤١.

(١٢) د. أحمد جاسم النجدي، منهج البحث الأدبي عند العرب، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨: ٧٥.

(١٣) زياد الزعبي، رسالة أبي أسحق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر

- دراسة توثيقية نقدية، مج (لبحاث المرموك) الأردنية، م ١١ ع ١/١٩٩٢: ١٤٠.
- (١٤) ماري تيريز عبد المسيح، قراءة الأدب عبر الثقافات، دار (أزملة) عمان، ط ٢/٢٠٠٥/ ٢٦.
- (١٥) ابن حزم الأندلسي، م. س: ٤٢.
- (١٦) م. ن.
- (١٧) م. ن: ٢٦٤.
- (١٨) م. ن: ١٢٢.
- (١٩) م. ن.
- (٢٠) م. ن: ٩٨.
- (٢١) م. ن.
- (٢٢) إحسان عباس، م. س: ٢٤٢.
- (٢٣) م. ن: ١٤٥.
- (٢٤) ابن حزم الأندلسي، م. س: ١٤١.
- (٢٥) م. ن: ١٥٢.
- (٢٦) م. ن: ٢٠٦.
- (٢٧) م. ن: ١٢٧.
- (٢٨) م. ن: ٢٥٥.
- (٢٩) م. ن: ٢٢١.
- (٣٠) م. ن: ١٩٨.
- (٣١) عبد الله الشيخ موسى: الكاتب والسلطة، ت بشير السباعي، مصر العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٩، ٦٢.
- (٣٢) م. ن.
- (٣٣) ابن حزم الأندلسي، م. س: ٨٥.
- (٣٤) م. ن: ٢٠٥.
- (٣٥) ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٢، مج ١، ٤٩٢.
- (٣٦) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغربة، دار (الطليلة) بيروت، ط ٢/ ١٩٩٧: ٢١.
- (٣٧) م. ن: ٢٥.

#### المصادر والمراجع:

##### \* الكتب:

- (١) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والألاف، حققه وخدم له: صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، مشروع النشر المشترك ١٩٨٦.
- (٢) فبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، الزهرة، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمودي القيسي، مكتبة المنار، الأردن ط ٢/ ١٩٨٥.
- (٣) إحسان عباس، في الأدب الأندلسي.
- (٤) د. أحمد جاسم النجدي/ منهج البحث الأدبي عند العرب، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨.
- (٥) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق إبراهيم شمس الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠٠٢.
- (٦) خليل الشيخ، السيرة والتخيل، دار (أزملة) عمان ٢٠٠٥.
- (٧) الطاهر روابنيه، شعرية الدال في بيئة الاستهلال في السرد العربي القديم، عن كتاب: السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، منشورات جامعة عنابة، باجي مختار، الجزائر ١٩٩٥.
- (٨) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغربة، دار (الطليلة) بيروت، ط ٢/ ١٩٩٧.
- (٩) عبد الفتاح كليطو، المقامات، ت عبد الكبير الشرفاوي، توبقال الدار البيضاء ١٩٩٢.
- (١٠) عبد الله الشيخ موسى: الكاتب والسلطة، ت بشير السباعي، مصر العربية للنشر والتوزيع ١٩٩٩..
- (١١) ماري تيريز عبد المسيح، قراءة الأدب عبر الثقافات، دار (أزملة) عمان، ط ٢/ ٢٠٠٥.
- \* المجلات:
- (١) زياد الزعبي، رسالة أبي اسحق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر دراسة توثيقية نقدية، مج (لبحاث المرموك) الأردنية، م ١١ ع ١/ ١٩٩٢.

## انواع التفسير اللغوي في كتاب

(شرح قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام الأنصاري  
(ت ٧٦١هـ)

الدكتور ماهر جاسم حسن الأومري  
مدرس في كلية الامام الاعظم

### تمهيد

#### ١. ابن هشام الأنصاري: حياته الشخصية والعلمية:

هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن هشام الأنصاري الحنبلي النحوي، ولد سنة ثمان وسبع مئة، في ذي العقدة.

وأهم شيوخه الشهاب عبد اللطيف بن الرحل، وابن السراج، والفاكهاني، وابن جماعة، وغيرهم، وتعلم عليه جماعة من اهل مصر، وغيرهم، وتخرجوا به، وتفقه ابن هشام. رحمه الله. في بداية حياته على المذهب الحنفي، وفي رواية على المذهب الشافعي، ثم انتقل الى المذهب الحنبلي.

قرأ ابن هشام عدة علوم، ودرسها، وبرع فيها، ولا سيما علوم العربية التي كان علماً فيها، وفارس ميدانها، زد على ذلك علوماً أخرى كال تفسير، والفقه، وغير ذلك، وكان على علم جم، وإطلاع واسع، وصفات اخلاقية طيبة، وعقل نير، وغير ذلك من الصفات العلمية والشخصية والخلقية.

#### وأهم مؤلفاته:

#### ١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

#### ٢. قطر الندى وبل الصدى.

### مقدمة

ترجع صلتني بابن هشام وكتابه شرح (قطر الندى وبل الصدى) منذ كنت شاباً يافعاً أتردد الى العلماء متعلماً عليهم بعدد من العلوم الشرعية ومنها هذا الكتاب، فقد بدلت بحفظه متناً وشرحاً حتى كنت أكمله كله عن ظهر قلب، وأنا لم أتجاوز السادسة عشرة من عمري، عندها كانت بدايتي النحوية التأصيلية في هذا السفر المهم من كتب النحو، وفي أثناء ذلك بدلت احسن عمق ابن هشام في هذا العلم، ومنهجه العلمي الفريد في ذلك، الذي زاوج معه النهج القسري، فكان في الغالب منهجاً قرآنياً، وعند ذلك كنت أردد مقالة ابن خلدون. رحمه الله. الذي جعل فيها ابن هشام لنحى من سيبويه، وأنه كان على علم جم، وأنه من نحاة اهل الموصل طريقة فأتى من ذلك بشيء عجيب ملكة وإطلاعا، وكنت افعل ذلك خلال دراستي في هذا الكتاب، وتدريسه للطلاب فرأيت ساحة واسعة من تعامل ابن هشام مع القرآن ولا سيما تفسير آياته لغوياً تثبت جدارته في ذلك، فكانت هذه الدراسة، وهذا يقال أيضاً عن أغلب كتبه التي مزجت علم القرآن بالنحو، ولا سيما كتابه (مغني اللبيب) الذي وضعه ليقوم يحفظون القرآن خاصة والأمر مفتوح للباحثين والدارسين عاجلاً أم آجلاً ليدرسوا هذا الجانب القيم في كتبه ومؤلفاته.

### ٣. شرح الجامعة الصغير للشيباني في الفقه الحنفي.

#### ٤. شرح بانث سعاد.

#### ٥. شرح الشافعية لابن الحاجب.

وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة، وتوفي - رحمه الله - في ذي العقدة سنة إحدى وستين وسبع مئة، ودفن بمقبرة الصوفية بمصر<sup>(١)</sup>.

### ٢. كتابه [شرح قطر الندى وبل الصدى] وأهميته في علم التفسير:

أما كتابه (شرح قطر الندى وبل الصدى) فهو من أجل كتبه النحوية، ومن أشهرها، ويتضح من عنوانه أنه شرح لكتاب آخر هو متن المقدمة التي سماها: (قطر الندى وبل الصدى)، إذ يقول: وبعد: فهذه نكت حررتها على مقدمتي المسماة بـ (قطر الندى وبل الصدى) رافعة لحجابها، كاشفة لنقابها، مكملة لشواهدا، متممة لفوائدها كافية لمن اقتصر عليها وافية ببغية من جنح من طلاب علم العربية إليها<sup>(٢)</sup>، وقد نال هذا الكتاب أطراء القدامى والحديثين من ذوي الرأي والمكانة له، وثناءهم عليه، والإشادة بذكره<sup>(٣)</sup>.

أما منهج المؤلف في هذا الكتاب فقد قسمه على الموضوعات النحوية العامة مبتدئاً بتعريف الكلمة وبيان أقسامها وما يتعلق بها، مختتماً بموضوع همزة الوصل وما يتعلق بها، ومنهج العام في ذلك أنه يأتي بسنن المتن مصدراً أياه بحرف (ص)، ثم يأتي بالشرح له مصدراً له بحرف (ش)، وخلال الشرح يأتي بالمسائل الأساسية بالموضوع ذكراً الأمثلة والشواهد اللغوية المتنوعة أن وجدت مع ذكر أقوال اللغويين والنحويين وأحياناً المفسرين وغيرهم، إلى غير ذلك من الأمور الخاصة بمنهجه في التعامل مع المادة النحوية مما لا يتسع المجال لذكره في هذه الدراسة الخاصة بعلم التفسير اللغوي في هذا الكتاب.

أما منزلة هذا الكتاب في علم التفسير فإنها من الأهمية بمكان، ولا يخفى ذلك على دارسي هذا الكتاب، وقارئيه، فإنه قد فسر كثيراً من النصوص القرآنية تفسيراً لغوياً، وهو منهجه التفسيري

العام في هذا الكتاب، وذلك ليس غريباً على ابن هشام - رحمه الله - ذلك أنه اشتهر عالم لغوياً ونحويًا أكثر من اشتهاره بعلم التفسير، وسيرته العلمية وحياته الثقافية ومنهجه النحوي القرآني وكتبه القيمة في هذا الميدان، ولا سيما (مغني اللبيب) خير دليل على ذلك، ولذلك تعد مباحث التفسير اللغوي وأنواعه في شرح القطر أكثر المباحث التفسيرية وقد اتضح لنا ذلك بعد إحصاء مواضع التفسير في الكتاب إذ وصل عددها إلى ما يقرب من (١٢٨) موضع عدا مواضع التفسير الأخرى المتنوعة، وقد بلغ عدد مواضع التفسير عموماً ما يقرب من (١٧٦) موضع، زد على ذلك ما ستكشفه هذه الدراسة لنا في هذا الميدان، وهو وحده كاف للشهادة على ما قلناه.

والتفسير اللغوي في شرح القطر تمثل بعدد من الأنواع والأقسام والمباحث الخاصة به التي تعد أساساً لهذا المنهج الأصلي في التفسير كالتفسير النحوي والتفسير الدلالي، والتفسير الصوتي، وغير ذلك مما سنذكره في هذه الدراسة، وقد أثرنا تسمية كل نوع من هذه الأنواع بتسمية خاصة وإن لم ترد في كلام القدامى نصاً، ولكنها ورت ضمناً في كلامهم ومباحثهم في علم التفسير وهي تسميات اجتهادية وليست قطعية، وهو ما يتعلق - أيضاً - بمصطلح (التفسير اللغوي) الذي له أصالة وعمق في دراسات القدامى - رحمهم الله - ولأن هذه التسميات توافق مصطلح (التفسير اللغوي) الذي يتنوع بهذه الأنواع، زد على ذلك ما ذكره عدد من الباحثين المعاصرين من هذه المصطلحات الحادثة في مباحثهم ودراساتهم ولا سيما مصطلح (التفسير النحوي)، و(التفسير الإشاري)، و(التفسير العلمي)<sup>(٤)</sup> و(التفسير البياني)<sup>(٥)</sup>، و(التفسير الموضوعي)<sup>(٦)</sup>، وغير ذلك.

وقد ذكرنا هذه الأنواع حسب كثرتها وقلتها في شرح القطر، وهو منهجنا العام في البحث، مبتدئين بالتفسير النحوي الذي يعد أكثر الأنواع وروداً عند ابن هشام، لكننا قدمنا ذكر مصادره في التفسير اللغوي معتمدين على القول بتقديم المصادر على المباحث الخاصة بكل دراسة، لأن المصادر هي مفتاح كل دراسة، وباب كل ميدان يلجأ الباحث في عمله، زد على ذلك مباحث تفسيرية أخرى الحقناها بالتفسير اللغوي مما له صلة وثيقة به،

### ٣. معنى التفسير اللغوي وتأصيله ومؤلفاته:

التفسير اللغوي هو تفسير القرآن بلسغة العرب على وفق مدلولات الفاظها، وأساليب كلامها، وأصولها وقواعدها، وغير ذلك مما يتعلق به. هذ اللغة التي جعلها الله - لغة كتابه الكريم، فقد نقل ابن تيمية رحمه الله - (ت ٧٢٨هـ) عن ابن جرير الطبري رحمه الله - (ت ٢١٠هـ) ان ابن عباس (ت ٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد، بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله، فقلوه: ((وجه تعرفه العرب)) هو تفسير القرآن بما يرجع الى لسان العرب، والفاظها، وأساليبها، وأصولها، وغير ذلك مما يتعلق بها<sup>(١)</sup>.

والتفسير اللغوي إما عام، وإما خاص، فأما التفسير اللغوي الخاص - وهو التفسير المشهور عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في بداية نشأته - فهو التفسير الذي يتعلق بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول القضايا اللغوية عامة، أما التفسير اللغوي العام فيتناول القضايا اللغوية عامة من النحو، والإعراب، والصرف، والبلاغة، والشاهد اللغوي من الشعر والنثر، والمذاهب النحوية، والقراءات القرآنية، وغير ذلك مما يدخل في علوم اللغة عامة<sup>(٢)</sup> وقد توسع في الكلام على ذلك الزركشي<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - (ت ٧٩٤هـ) وهذا هو مفهوم التفسير اللغوي العام بعد توسعه، واتساع مفهومه عبر القرون.

أما تأصيل التفسير اللغوي، وبدايته فيمكن القول إن بدايته كانت في وقت مبكر من عصر الصحابة - رضي الله عنهم - ويعد ابن عباس - رضي الله عنهما - رائدا لهذا المنهج، ومؤسس له<sup>(٤)</sup> وهو أبرز ما في منهجه في التفسير<sup>(٥)</sup> وبعد اتساع الاسلام، ودخول القبائل العربية ذات اللهجات المتباينة إليه، ودخول أقوام اصحاب لغات مختلفة فيه بدئت الحاجة الى التفسير اللغوي تتسع شيئا فشيئا<sup>(٦)</sup>. ثم يأتي عصر التابعين، وتابعيهم - رضي الله عنهم - الذين كان عندهم التفسير اللغوي منهجا لا يقل أهمية عن المناهج الأخرى، وإن كان مختلفا عما كان عند الصحابة إذ زادوا عليه، وتوسعوا فيه، وبقيت اللغة ضابطا من أهم ضوابط التفسير عندهم<sup>(٧)</sup>. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة

التصنيف والتدوين في أوائل قيام الدولة العباسية، وفي هذه المدة توسع التفسير اللغوي<sup>(٨)</sup>، وتشعبت طرقه، وتعمقت مباحثه، وبدأ يأخذ صفة العموم، وأصبح التفسير اللغوي العام هو المنهج السائد للتفسير اللغوي، وظهرت التفاسير اللغوية بأنواعها كافة وموضوعاتها من التفاسير النحوية، والبلاغية، والبسيانية، وغيرها سواء أكان منهجها في التفسير اللغوي عاما أم خاصا<sup>(٩)</sup>.

وأما مؤلفات التفسير اللغوي، وكتبه فقد تعددت واختلفت اتجاهاتها ولا سيما ما كان في العصور التي تلت عصر التابعين، وتابعيهم، ويمكن ذكر أهمها، وأشهرها مع ذكر امثلة لكل اتجاه وميدان بما يأتي:

١. كتب غريب القرآن وبيان مبهمه ومشكله، مثل (غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وتفسير (المفردات في غريب القرآن) للراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ) وغيرهما.

٢. كتب معاني القرآن، مثل (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٧هـ) و(معاني القرآن) للأخفش (ت ٢١٨هـ)، وغيرهما.

٣. كتب الوجود والنظائر، مثل (الأشهاد والنظائر في القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، و(الوجود والنظائر في القرآن الكريم) لهارون بن موسى (ت ١٧٠هـ)، وغيرهما.

٤. كتب إعراب القرآن، مثل (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (ت ٢١١هـ)، و(إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس (ت ٢٢٨هـ) وغيرهما.

٥. كتب بلاغة القرآن، ونظمه، وبيانه، وأسلوبه، وإعجازه اللغوي والبياني، مثل (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت ٢١٠هـ)، و(النكت في إعجاز القرآن) للرماني (ت ٢٨٤هـ) و(سرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز) وكلاهما للجرجاني (ت ٤٧١هـ) وغيرهما.

٦. التفاسير اللغوية والنحوية، مثل (الكشاف) للزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، و(البحر المحييط) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، و(الدر المصون في إعراب الكتاب المكنون) للسبكي (ت ٧٥٦هـ) وغيرهما.

٧. كتب التفسير، ولا سيما ذات المنهج النقلي، والعقلي، والفقهية، والإشارية، وغيرها من المناهج المختلفة، مثل (جامع

البسيان عن تأويل أي القسيران) للطبري (ت ٢١٠هـ)،  
(و) التفسير الكبير) للرازي (ت ٦٠٦هـ)، و(الجامع لأحكام القرآن)  
للقسطلبي (ت ٦٧٨هـ)، و(روح المعاني) للآلوسي (ت ١٢٧هـ)  
و(محاسن التأويل) للقاسمي (١٩١٤م)، وغيرها.

ونجد التفسير اللغوي أيضاً في كتب العقائد، والفقه، والحديث  
النبوي، وأصول الفقه، ومشكل القرآن، والقراءات، والتجويد،  
ونجده أيضاً في المعجمات اللغوية، وكتب النحس، والصرف،  
والبلاغة، والصوت، وكتب لغوية أخرى، ففي هذه الكتب نجد  
إشارات، أو لمحات تفسيرية تمثل جانباً مهماً في التفسير اللغوي<sup>(١)</sup>.

### ١. مصادر ابن هشام في التفسير اللغوي:

لابن هشام الأنصاري رحمه الله. مصادر عديدة في التفسير  
اللغوي للقرآن اعتمد عليها في مادته التفسيرية، وقد بلغ عدد  
المواضع التي تعد مصادر له في هذا الميدان ما يقرب من (٢١)  
موضعا، وقد تنوعت هذه المصادر عنده، إذ ينقل عن المفسرين  
واللغويين والنحاة إلا أن نقله عن اللغويين وبخاصة النحاة كان  
أكثر من غيرهم ذلك أن كتاب (شرح قطر الندى) هو كتاب نحو  
بالدرجة الأساس، وليس كتاب تفسير، أو علم آخر، وهو ينقل  
عنهم قضايا متنوعة في التفسير اللغوي كالقضايا النحوية  
والدلالية وغير ذلك.

إن ابن هشام في نقله عن أولئك العلماء باختلاف اتجاهاتهم لم  
يكن ناقلاً محضاً فحسب، وإنما كان عالماً بما ينقل، محققاً ومدققاً  
لذلك وهو يناقش المسائل، وربما ينقدها أو يردّها ولا يقبلها  
وغير ذلك من الأمور التي اتصف بها، فقد اتضحت شخصيته في  
هذا الميدان.

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين أساسيين هما:

### [أ] المصادر المألوفة:

ونعني بذلك أن ابن هشام يذكر اسم العالم، أو الشخص أو  
المصدر الذي ينقل عنه، ويمكن إجمال هذه المصادر بما يأتي:

١- ينقل ابن هشام عن اللغويين ولا سيما أهل المعاني، والنحاة،  
وكما يأتي:

### ٢. أهل المعاني:

وهم الذين ألفوا في معاني القسيران لبسيان مدلول الفاظه،  
ومعرفة غريبه، وشرح ما أبهم، وغمض منها. من ذلك ما نقله  
عن الكسائي (ت ١٨٩هـ) في إعراب (من) في قوله تعالى (ولله على  
الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)<sup>(٢)</sup>، بأنها: شرطية  
مبتدأ وجواب الشرط محذوف، والتقدير من استطاع فليحج<sup>(٣)</sup>.

وهناك علماء معان آخرون نقل عنهم ابن هشام قضايا لغوية  
في التفسير اللغوي مثل: الفراء<sup>(٤)</sup> (ت ٢٠٧هـ)، والأخفش<sup>(٥)</sup>  
(ت ٢١٥هـ)، وغيرهما.

### ٣. النحاة:

وقد نقل عنهم قضايا نحوية تتعلق بالتفسير اللغوي، مثل  
ذلك ما نقله عن سيبويه (ت ١٨٠هـ) رحمه الله. في تفسير قوله  
تعالى (وكلا منها رغداً)<sup>(٦)</sup>، فقد ذكر أن مذهب سيبويه في إعراب  
كلمة (رغداً) إنما هو: حَسَال من مصدر الفعل المفهوم منه وأن  
التفسير: فكلا حالة كون الأكل رغداً<sup>(٧)</sup>. ويقصد بذلك. ابن  
هشام. أنه حال من مصدر الفعل (كلا)، وهو الأكل، وهذا المصدر  
يفهم من الفعل في الآية.

وهناك نحاة آخرون نقل عنهم ابن هشام، مثل: ابن السراج<sup>(٨)</sup>  
(ت ٢١٦هـ). رحمه الله. وأبي علي الفارسي<sup>(٩)</sup> (ت ٢٧٧هـ). رحمه  
الله. وغيرهما.

### ٤. المفسرون:

٢- قد ينقل ابن هشام عن المفسرين المشهورين قضايا تخص  
التفسير اللغوي أيضاً ومن ذلك ما نقله عن الزمخشري (ت ٥٢٨هـ)  
في قوله سبحانه وتعالى: (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)<sup>(١٠)</sup>، إذ  
قال: وروي أنه قيل لابن عباس. رضي الله عنهما. إن ابن مسعود  
. رضي الله. عنهما قرأ (وَنَادُوا يَا مَالِكُ) فقال: ما كان أشغل أهل  
النار عن الترخيم!! ذكره الزمخشري وغيره<sup>(١١)</sup>، ويلاحظ أن  
ابن هشام قد نقل قول الزمخشري من تفسيره الكشاف<sup>(١٢)</sup> ليكون  
هذا التفسير من مصادره في التفسير اللغوي.

### [ب] المصادر المجهولة:

ونعني بذلك أن ابن هشام. رحمه الله. لم يذكر اسم العالم، أو

الشخص، أو المصدر الذي ينقل عنه، ولم يصرح باسمه، ويمكن إجمال الكلام على ذلك بما يأتي:

١. استعمل ابن هشام عدداً من الألفاظ التي تدل على المصادر المجهولة، والأسماء غير المعروفة مثل: (بعضهم)<sup>(١)</sup>، و(غيره)<sup>(٢)</sup>، و(مفسرون)<sup>(٣)</sup>، و(زعموا)<sup>(٤)</sup>، و(قالوا)<sup>(٥)</sup>، و(جاء في التفسير)<sup>(٦)</sup>، و(قيل)<sup>(٧)</sup>، و(اجيب)<sup>(٨)</sup>، وغير ذلك.

٢. قد ينقل ابن هشام عن مفسرين مجهولين لا يصرح بأسمائهم مثل ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (أفلم ينأس الذين آمنوا)<sup>(٩)</sup>، في تفسير الفعل (ينأس) (يئس)، إذ قال: ومعناه - فيما قاله المفسرون - أفلم يعلم<sup>(١٠)</sup>.

٣. غالب ما ينقله ابن هشام عن هؤلاء الجهولين هو قضايا نحوية متعددة، وهذا ما يجعلنا نرجح أن هؤلاء هم من النحاة، وليسوا من المفسرين أو أصحاب المعاني، أو أصحاب الاختصاصات الأخرى. للسبب الذي ذكرناه آنفاً أن هذا الكتاب وضعه صاحبه ليكون كتاب نحو، وليس كتاباً في علم آخر.

٤. ربما يكون السبب في عدم ذكر أسماء هؤلاء الذين ينقل عنهم هو عدم معرفته إياها وجهله بها، أو نسيانه إياها، أو ربما نقلت له الأقوال ورويت له بلا أسماء، أو لأسباب أخرى لا نعرفها.

## ٢. أنواع التفسير اللغوي عند ابن هشام

### [١] التفسير النحوي:

يعد التفسير النحوي نوعاً أساساً من أنواع التفسير اللغوي للقرآن، وهذا راجع إلى كون النحو علماً أساساً من علوم اللغة، يقول السيوطي - رحمه الله - (ت٩١١هـ) مبيناً أهمية علم النحو في تفسير القرآن: إن المعنى يختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره<sup>(١)</sup>.

والتفسير النحوي كثير في شرح قطر الندى وهو أكثر الأنواع وروداً في الكتاب، وهذا أمر ليس بالغريب عند ابن هشام للسبب الذي ذكرناه آنفاً<sup>(٢)</sup> بأن كتاب (شرح قطر الندى وبل الصدى) هو كتاب نحوي بالدرجة الأساس كما هو معروف ومعلوم لدى أساتذة النحو وشيوخه وطلابه قديماً وحديثاً وقد وصل عدد هذه المباحث بعد الإحصاء إلى ما يقرب من (١٠٢) موضع في النحو، وهي مباحث متنوعة تدخل كلها في موضوعات علم

النحو أوردها ابن هشام في تفسير النصوص القرآنية كالإعراب والحذف والتقدير، وبيان معاني الأدوات النحوية، والمصدر وبيان نوع الفعل، وغير ذلك مما ينحصر في تفسير النصوص القرآنية الذي هو مجال هذا البحث وميدانه، وأهم مباحث التفسير النحوي عنده هي:

### ١. الإعراب:

وهو أهم مباحث التفسير النحوي المنتشرة في (شرح قطر الندى) وأكثرها من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون)<sup>(٣)</sup> أن إعراب كلمة (هؤلاء): مبتدأ وجملة (ينطقون) خبر المبتدأ وليس مفعولاً أول وثانياً، وقد ذكر ذلك عند كلامه على موضوع (التعليق) الذي يدخل في مجموعة (ظن وأخواتها)، وهو عبارة عن (إسقاط عملها لفظاً، لا محلاً)، وهو يتكلم على الفعل (علم) الذي علق عمله لفظاً لا محلاً، وذلك لاعتراض ماله صدر الكلام، وهو (ما) النافية في الآية الكريمة بسينها وبين معموليها اللذين هما (هؤلاء) وجملة (ينطقون)<sup>(٤)</sup>. ويتضح أن ابن هشام هنا يجعل (ما) النافية تميمية لا عمل لها فيكون ما بعدها مبتدأ وخبراً وهناك رأي آخر يجعل (ما) نافية حجازية عاملة، فيكون (هؤلاء) اسمها، وجملة (ينطقون) خبرها في محل نصب<sup>(٥)</sup>.

ومن مسائل الإعراب عنده ما ذكره في قوله تعالى: (خشعاً أبصارهم يخزجون)<sup>(٦)</sup> بأن إعراب كلمة (خشعاً): حال من الضمير في قوله: (ينخزجون)<sup>(٧)</sup>. ولم يذكر ابن هشام القراءة الأخرى الواردة في الآية الكريمة، وهي قراءة: (خاشعاً) بصيغة اسم الفاعل وهي قراءة سبعة متواترة وإعرابها: حال أيضاً والقراءة الأولى سبعة متواترة أيضاً<sup>(٨)</sup>. ومن مسائل الإعراب أيضاً ما ذكره في قوله سبحانه وتعالى: (وأن تصوموا خير لكم)<sup>(٩)</sup>، بأن إعراب (أن تصوموا): مبتدأ، وأن خبره قوله (خير)، وقد ذكر ذلك وهو يتكلم على شروط المبتدأ بأنه يكون اسماً صريحاً أو مؤولاً بالصريح، واستشهد للثاني بالآية الكريمة<sup>(١٠)</sup>، إذ التقدير: صومكم خير لكم.

وهناك مسائل أخرى في الإعراب كثيرة ذكرها في مواضع أخرى من كتابه<sup>(١١)</sup>.



## ١. الحذف والإضمار والتقدير:

هذا المبحث من مباحث التفسير النحوي البارزة في (شرح قدس الندى). من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (واختار موسى قومه سبعين رجلاً) <sup>(١)</sup> بأن المعنى: من قومه <sup>(٢)</sup> ويقصد بذلك أن في الآية محذوفاً وهو حرف الجر (من)، لكنه لم يذكر سبب تقدير هذا المحذوف، وهو أن الفعل (اختار) يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف الجر وقد حذف هنا وهو قوله (قومه) المفعول الثاني، والمفعول الأول هو (سبعين)، والتقدير: اختار موسى سبعين رجلاً من قومه، وهناك إعراب آخر لم يذكره ابن هشام وهو أن (قومه) مفعول به أول، و(سبعين) بدل منه، بدل بعض من كل، والضمير العائد إلى المبدل منه محذوف تقديره (منهم)، والمفعول الثاني محذوف تقديره (المختار منه) فيكون تقدير الكلام جميعاً: اختار موسى قومه سبعين رجلاً منهم المختار منه، وهذا الوجه فيه تكلف لأن فيه حذف رابط البدل وهو الهاء من (منهم) والمفعول الثاني وهو قوله (المختار منه) <sup>(٣)</sup>.

ومن مسائل الحذف والتقدير عند ما ذكره في قوله تعالى: (سورة أنزلناها) <sup>(٤)</sup> بأن في الآية محذوفاً والتقدير: هذه سورة أنزلناها <sup>(٥)</sup>. وهو يقصد بذلك أن (سورة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه). وقد ذكر المفسر أبو السعود - رحمه الله - (٩٥هـ) سبب تقدير اسم الإشارة (هذه) في الآية الذي يقتضي أن السورة قد جرى لها ذكر سابق قبل هذا الوقت، وهذا ما لم يحصل فكان سبب تقدير اسم الإشارة لكي تكون في شرف ذكرها، وعلو منزلتها أي السورة، في حكم الشيء الحاضر، والمشاهد أمام الأعين <sup>(٦)</sup>.

وهناك مواضع أخرى ذكرها في كتابه <sup>(٧)</sup>.

## ٢. التحليل والتعليل النحوي:

وهو من المباحث الأساسية للتفسير النحوي عند ابن هشام، إذ يتناول عدداً من النصوص القرآنية بالتحليل والتعليل والمناقشة الأمر الذي يدل على عقلية المستوعبة للمسائل، وفكره الواسع في تعامله مع النصوص القرآنية وهذا أحد الأسباب التي جعلته نحوياً قرآنياً مشتهراً في الآفاق العلمية والدراسات القرآنية اللغوية والنحوية، ومن يتتبع منهجه

القرآني وكتبه في النحو القرآني ومن ذلك كتابه الشهير: مغني اللبيب عن دراسته النحوية الأخرى يجد صحة ذلك وبقينه. ومن مسائله في هذا المجال ما ذكره في قوله تعالى: (قل تعالوا أتلقوا) <sup>(٨)</sup> بأن سبب جزم المضارع (أتلقوا) وقوعه جواباً للطلب وهو قوله (تعالوا) وقصد به الجزاء، إذ يقول معللاً ذلك: تقدم الطلب وهو - تعالوا - وتأخر المضارع المجرد من الفاء هو - أتلقوا - وقصد بـ الجزاء، إذ المعنى: تعالوا فإن تأتوا أتلقوا عليكم، فالتلاوة عليهم منسوبة عن مجيئهم فلذلك جزم وعلامة جزمه حذف آخره - وهو الواو - <sup>(٩)</sup>.

ومن تلك المسائل ما ذكره في قوله تعالى: (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض) <sup>(١٠)</sup>، فقد رد قول أبي علي الفارسي - رحمه الله - (٢٧٧هـ) وجماعة من النحويين حينما جعلوا (لما) ظرفاً بمعنى (حين) وهذا يقتضي كونها اسماً لا حرفاً وقد ذهب ابن هشام مذهب سيبويه - رحمه الله - (١٨٠هـ) في كونها: حرف وجود لوجود، وقال بهذا القول، فذكر سبب كونها حرفاً بهذا المعنى وليس اسماً بمعنى (حين) محلاً لذلك حتى يصل إلى اقناع السامع والقارئ برأيه وحجته بالأدلة الدامغة، إذ يقول: واختلف في هذه أي كلمة (لما) فقال سيبويه: إنها حرف وجود لوجود، وقال الفارسي وجماعة: إنها ظرف بمعنى (حين)، ورد بقوله تعالى: (فلما قضينا عليه الموت) الآية، وذلك أنها لو كانت ظرفاً لاحتاجت إلى عامل يعمل في محلها النصب، وذلك العامل إما (( قضينا )) أو (( دلهم )) إذ ليس معنا سواهما، وكون العامل (( قضينا )) مردود بأن القائلين بأنها اسم يزعمون أنها مضافة إلى ما يليها، والمضاف إليه لا يعمل بالمضاف، وكون العامل (( دلهم )) مردود بأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، وإذا بطل أن يكون لها عامل تعين أن لا موضع لها من الإعراب، وذلك يقتضي الحرفية <sup>(١١)</sup>.

وهناك مسائل أخرى في هذا الميدان ذكرها في مواضع أخرى <sup>(١٢)</sup>.

هذه أهم مباحث التفسير النحوي الواردة في شرح التلخيص، وهناك مباحث تفسيرية نحوية أخرى أوردها ابن هشام - رحمه الله - في كتابه وهي أقل من المباحث السابقة مثل نوع الفعل <sup>(١٣)</sup>.

والصدر<sup>(١)</sup>، ومعاني الأدوات<sup>(٢)</sup>، والحكم النحوي<sup>(٣)</sup>، والتأويل النحوي<sup>(٤)</sup>، والإجماع والاختلاف في النحو<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك مما لم نذكره بتوسع، واكتفينا بالإشارة إليه بصفحات الكتاب.

## [ب] التفسير الدلالي:

ذكرنا فيما سبق أن التفسير اللغوي يكون عاما، وخصوصا، وأن التفسير اللغوي الخاص هو الذي يتعلق بدلالة الألفاظ القرآنية، وتفسير غريبها، ولا يتناول القضايا اللغوية العامة<sup>(٦)</sup>، والمفردة القرآنية الغريبة هي: كل لفظة تحتاج إلى بيان وشرح وإيضاح، وهو ما ينطبق على تعريف دلالة اللفظة القرآنية أيضا، وهو موضوع كلامنا في هذا المبحث عند ابن هشام - رحمه الله -.

لقد غني ابن هشام في شرح القحطاني قليلا بالتفسير الدلالي للألفاظ القرآنية في عدد من المواضع في أثناء تناوله النصوص القرآنية ضمن مادته النحوية. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (فانفروا نيات)<sup>(٧)</sup> بأن معنى (نيات): متفرقين<sup>(٨)</sup>، أي: انفروا متفرقين، سرية بعد سرية، و(نيات) جمع (نية) وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة، وقيل: فوق الاثنين<sup>(٩)</sup>.

ومن المواضع الأخرى ما ذكره في قوله تعالى: (قل هل من شهداءكم)<sup>(١٠)</sup>، بأن معنى (هل من) أحضر. أي: أحضروا شهداءكم<sup>(١١)</sup>. وهو اسم فعل عامل، و(شهداءكم) مفعول به له<sup>(١٢)</sup>. وقد ذكر أبو السعود - رحمه الله - في تفسير هذه الآية دلالة (الشهداء) فيها، وسبب الأمر بإحضارهم بقوله: وهم. أي الشهداء - قدوتهم الذين ينصرون قسولهم، وإنما أمرُوا باستحضارهم ليلزمهم الحجة، ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم، وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم، ولذلك قيد الشهداء بالإضافة بوصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبمنصرة مذهبهم<sup>(١٣)</sup>. أي أن إحضار الشهداء سبب لقيام الحجة عليهم وظهور ضلالتهم، لأن هؤلاء الشهداء ينقطعون عن الشهادة لهم عند إحضارهم، لأنهم يشهدون لهم عن غير علم، ولا دليل، وإنما عن تقليد فحسب.

ومن تلك المواضع أيضا ما ذكره في قوله سبحانه وتعالى: (ويكأنه لا يفلح الكافرون)<sup>(١٤)</sup>، بأن معنى (وي) في الآية: أعجب، أي: أعجب لعدم فلاح الكافرين، وقد ذكر ذلك لدى كلامه على

(اسم الفعل) بأن (وي) اسم فعل مضارع بمعنى (أعجب)<sup>(١٥)</sup>. أي: يتعجب الذين تمتوا ما عند قارون من الملك والنعم الكثيرة بعد أن خسف الله به الأرض لعدم فلاح الكافرين ونجاحهم في حياتهم، وبعد مماتهم، وهم خاسرون في الدنيا والآخرة.

## [ج] التفسير الصوتي:

يعد التفسير الصوتي من أنواع التفسير اللغوي الأساسية أيضا. إذ إن علم الأصوات (phonetics) هو أحد علوم اللغة الأساسية وهو دراسة أصوات اللغة، فهو إذن فرع من علم اللغة العام، ولكنه يختلف عن الفروع الأخرى، إذ هو لا يعنى إلا باللغة المنطوقة، دون أشكال الاتصال الأخرى المنظمة كاللغة المكتوبة مثلا، والصوت الإنساني الحي هو موضوع علم الأصوات<sup>(١٦)</sup>. وهذا ما يتعلق بمفهوم التفسير الصوتي الذي يفسر القضايا الصوتية المتعلقة بالنص القرآني.

وقد تناول ابن هشام الانصاري شيئا من التفسير الصوتي في عدد من المواضع القرآنية في شرح القحطاني، تناول فيها عددا من الظواهر الصوتية من ذلك ما يتعلق بظاهرة التخفيف الصوتي التي تعد من الظواهر الأساسية في علم الصوت، وهي تستند إلى نظرية السهولة التي تناولها القدامى والمحدثون في علم الصوت بالشرح والإيضاح والدراسة، وخلاصة معناها: أن الإنسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه<sup>(١٧)</sup> وهو ما يشير إلى ظاهرة التخفيف في النطق التي أشار إليها ابن هشام - رحمه الله - ومن تلك المواضع ما ذكره في قوله تعالى: (ولم أك بغيا)<sup>(١٨)</sup> في الفعل (أك)، قال: أصله: أكون، فحذفت الضمة للجازم، والواو للساكنين، والنون للتخفيف<sup>(١٩)</sup> أي أن حذف حرف النون من الفعل (أكون) هو نوع من التخفيف في النطق، وأن وجودها يسبب نوعا من الثقل في نطق الكلمة فيحتاج المتكلم إلى مجهود عضلي أكثر في ذلك فصار بحذفها تخفيف في اللفظ القرآني ليكون سهلا على السنة الناس في قراءته وتلاوته، وهذا من إعجاز القرآن الذي أعجز البشر عن الإتيان بمثله.

ومن الظواهر الصوتية التي ذكرها ابن هشام لدى تفسيره

التصوص القرآنية: ظاهرة الإتبساع الحركي (vowel assimilation) وهي ظاهرة صوتية أساسية في علم الصوت، وهي تدخل ضمن قانون المماثلة (Assimilation) وهي قانون يعالج تأثير الاصوات المتجاورة في الكلمات والجمل، وميلها الى الاتفاق في المخارج والصفات نزوعا الى الانسجام الصوتي، واقتصادا في الجهد الذي يبذله المتكلم<sup>(١)</sup>. وهو ما ينطبق على مفهوم ظاهرة الاتباع الحركي التي اشار اليها ابن هشام - رحمه الله - من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ)<sup>(٢)</sup>، في قراءة الحسن البصري - رحمه الله - وهي قراءة شاذة<sup>(٣)</sup> فقد وصف هذه القراءة بأنها: بكسر الدال اتباعا لكسرة اللام<sup>(٤)</sup>. أي إن الدال تأثرت باللام فأخذت حركتها أي الكسرة، فكسرت، وبذلك تكون الدال قد أتبعحت حركة اللام فصار فيها اتباع حركي نتج منه هذه الصورة في اللفظ، لأن هناك تأثرا بين الدال واللام لتجاورهما، وحصل انسجام صوتي بينهما بهذا التأثير أدى الى حدوث اقتصاد في الجهد العضلي الذي يبذله المتكلم والقارئ عند القراءة والتلاوة. وهذا - كما ذكرنا آنفا يعد من أسباب الإعجاز القرآني في كتاب الله عز وجل.

### [د] التفسير البلاغي:

يعد التفسير البلاغي - أيضا - من انواع التفسير اللغوي الأساسية ولا سيما التفسير اللغوي العام<sup>(٥)</sup>، ذلك أن علم البلاغة من العلوم اللغوية الأساسية، وهو علم ضروري في تفسير القرآن الكريم.

وقد تضمن شرح القحطري عددا من المسائل البلاغية - وإن كانت يسيرة - أوردها ابن هشام في أثناء تفسير النصصوص القرآنية تكاد تكون كلها داخلة في مسائل علم المعاني ومن موضوعاته الأساسية. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...) <sup>(٦)</sup> بلسان معنى الفعلين (تؤمنون)، و(تجاهدون) في الآية: آمنوا، وجاهدوا، وقد علل ذلك بأن كل واحد منهما (ليس جوابا للاستفهام، لأن غفران الذنوب لا يتسبب عن نفس الدلالة، بل عن الإيمان

والجهاد)<sup>(٧)</sup>. ويفهم من كلامه - رحمه الله - أن كلا من الفعلين (تؤمنون)، و(تجاهدون) خبر خرج عن مقتضى الظاهر، أي الى معنى الأمر، وهو من الأغراض التي يخرج اليها الخبر، وهذا - كما هو معلوم - موضوع أساس من موضوعات علم المعاني الذي هو أحد العلوم البلاغية الثلاثة، ويلاحظ أن ابن هشام - رحمه الله - لم يذكر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه التي تبدل على كلامه، وتدعمه، وهي قراءة الأمر: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا) وهي قراءة شاذة<sup>(٨)</sup>، ولم يعلل - رحمه الله - مجي، صيغة الخبر التي بمعنى الأمر، بل لم يصرح بذلك مطلقا، وإنما اكتفى بقوله: لكونه في معنى آمنوا وجاهدوا دون أي زيادة، ففي كلامه تلميح وإشارة دون نص وتصريح على ذلك، وهناك تعليل وفائدة مهمة لمجي، صيغة الخبر في الآية دون الأمر، وهو أن كلا من الفعلين ((دلالة على التجارة المنجية وتعليم لها والمتعارف في التعليم هو الأمر والنهي، وفائدة العدول الإشعار بوجوب الامتثال وكأنهم امتثلوا فهو خبر عن إيمان وجهاد موجودين، ونظيره قبول الداعي غفر الله لك جعلت المغفرة لقسوة الرجاء كانت ووجدت<sup>(٩)</sup> أي أن الفعلين (تؤمنون)، و(تجاهدون) اللذين بمعنى (آمنوا)، و(جاهدوا) هما يدلان على التجارة المنجية في الآية لأن أسلوب الأمر والنهي من أساليب الدلالة على الشيء ومن أساليب التعريف والتعليم بالشيء، فخرج كل منهما الى هذا المعنى، وسبب بقاء كل منهما بصيغة المضارع تحقق وجود (الإيمان) و(الجهاد) من المؤمنين، فإنهم بذلك استجابوا لأمر الله بالإيمان والجهاد، وامتثلوا له، وهذا المعنى لا يحصل ولا يتحقق إلا بصيغة المضارع دون الأمر، وهذا ما لم يذكره ابن هشام رحمه الله.

ومن المسائل البلاغية التي ذكرها ابن هشام من غير أن يصرح بها، وإنما اكتفى بالتلميح والإشارة إليها فحسب ما ذكره في قوله تعالى: (اسْمَعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)<sup>(١٠)</sup> بأن المعنى: وأبصر بهم، فحذف بهم لدلالة الأولى عليه<sup>(١١)</sup> ويلمح من كلامه بأنه أشار الى مسألة بلاغية مهمة من مسائل علم المعاني وهي مسألة الحذف الذي هو نوع من الإيجاز، وهو من نوع إيجاز الحذف، والمحذوف قوله (بهم) وعلل ذلك بدلالة (بهم) الأولى عليه فحذف من الثاني

وهي قوله (أبصر). وهذا نوع من الإيجاز البلاغي في أساليب الكلام وتعبيراته، وهو هنا في كتاب الله - عز وجل - ذي الكلام البليغ المعجز الذي لا يعلوه أي كلام بليغ، أو أي أسلوب عال في البلاغة والفصاحة والإيجاز.

ويلاحظ أن ابن هشام لم يفسر هذا الحذف تفسيراً كاملاً، ولم يبين حقيقته، وهو ما ذكره العلماء ولا سيما النحاة منهم بأنه من أساليب التعجب وصيغته الأساسية، وإن قوله (بهم) فاعل زيدت عليه الباء ولكون هذا الفاعل شبيهاً في اللفظ بالفضلة في الكلام العربي وشبيهاً بما لا يكون أساساً وعمدة في الكلام وقد جاز حذفه للدلالة عليه كما في هذه الآية<sup>(١٣)</sup>.

### [هـ] التفسير الصرقي:

التفسير الصرقي هو أيضاً من أنواع التفسير اللغوي الأساسية، ذلك أن علم الصرف من العلوم اللغوية الأساسية في تفسير القرآن الكريم.

والتفسير الصرقي قليل جداً في شرح القطر، ذلك أن ابن هشام - رحمه الله - ذكر إشارات يسيرة في هذا المجال. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ)<sup>(١٤)</sup> بأن الفعل (يغفون) وزنه الصرقي: يَفْعَلْنَ، لأن الواو أصلية، وهي واو الفعل (عفا - يعضو) وأن الفعل مبني على السكون لاتصاله بـ (النون)، وأن النون ضمير يعرب فاعلاً<sup>(١٥)</sup>.

ومن مسائل الصرف ما ذكره في قوله تعالى: (فَمَنْ اضْطُرَّ)<sup>(١٦)</sup> بأنه إذا ابتدئ بالفعل (اضطرَّ) ضمنت الهمزة والهاء<sup>(١٧)</sup> أي: اضطرَّ. ويفهم من كلامه أن همزة الفعل (اضطرَّ) تكون همزة وصل تارة، وقطع تارة أخرى، فإذا جاءت في أثناء الكلام كانت همزة وصل أما إذا ابتدئ بها كانت همزة قطع والدليل على ذلك ضمها في أول الكلام.

### [و] التفسير بالرأي [التفسير غير النقلي]:

التفسير بالرأي ليس من أنواع التفسير اللغوي بالمعنى الدقيق والأصولي له، ولكن له علاقة وثيقة به، إن لم يكن أساساً، وأصلاً له، ذلك أن التفسير بالرأي ((يعتمد على الفهم الدقيق والمركز لعاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ، وفهم دلالتها<sup>(١٨)</sup>، وقد ذكر الزركشي

- رحمه الله - (ت ٧٩٤هـ) أن التفسير بالرأي هو: ((ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها واستعمالها حسب السياق))<sup>(١٩)</sup> فقد اتضح من هذا أن التفسير بالرأي أساسه لغة العرب غالباً، لذلك يمكن دراسته ضمن أنواع التفسير اللغوي.

والتفسير بالرأي هو: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج المفسر<sup>(٢٠)</sup>.

وقد تضمن شرح القطر عدداً من مباحث التفسير بالرأي ذكرها ابن هشام - رحمه الله - في أثناء تفسيره النصوص القرآنية من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (لَنْ نَنْزِلَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)<sup>(٢١)</sup>، وقوله تعالى: (وَزَلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ)<sup>(٢٢)</sup>، فقد قال في الآية الأولى: فإن رجوع موسى (ع) مستقبل إلى الأمرين جميعاً<sup>(٢٣)</sup>، وقال في الآية الثانية: لأن قول الرسول وإن كان ماضياً بالنسبة إلى زمن الإخبار إلا أنه مستقبل بالنسبة إلى زلزالهم<sup>(٢٤)</sup> وقد ذكر هذين القولين وهو يتكلم على شرط نصب الفعل المضارع بعد (حتى)، وهو كون الفعل مستقبلاً بالنسبة إلى ما قبلها، والاستقبال يكون في حالتين، الأولى: بالنسبة إلى زمن التكلم كما في الآية الأولى<sup>(٢٥)</sup> لأن رجوع موسى كما قال ابن هشام مستقبل بالنسبة إلى عكوفهم وبقائهم على عبادة العجل، وبالنسبة إلى زمن التكلم، فإن رجوع موسى (ع) كان بعد أن قالوا ذلك القول، لا قبله. والثانية: لا بالنسبة إلى زمن التكلم كما في الآية الثانية<sup>(٢٦)</sup>، لأن قول الرسول مستقبل بالنسبة إلى زلزالهم وهو ماضٍ بالنسبة إلى الإخبار بالآية، ونزولها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإخباره الناس بنزولها وقصها عليهم، ولا علاقة لزمن التكلم بذلك.

ومن أمثلة التفسير بالرأي أيضاً عند ابن هشام - رحمه الله - ما ذكره في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ بَعَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ)<sup>(٢٧)</sup> فقد رد في هذه الآية قول من جعل (لن) للدعاء محتجاً بهذه الآية بأن المعنى: فاجعلني لا أكون، وهذا من أساليب

الدعاء على قوله، وقد علل ابن هشام عدم كونها للدعاء بقوله: ((لإمكان حملها على النفي المحض، ويكون ذلك معاهدة منه لله سبحانه وتعالى ألا يظهر مجرماً جزاء لتلك النعمة التي أنعم بها عليه<sup>(١٠٠)</sup>، ويقصد بذلك أن (لن) معناها النفي المحض الذي لا يشاركه معنى آخر، فليس فيها أي معنى آخر كاللعاء مثلاً فلا تكون دعاء في الآية وإنما نفي المظاهرة للمجرمين فحسب.

ولدى رجوعنا إلى كتابه (مغني اللبيب) نرى أنه يخالف كلامه الذي قاله هنا، فقد ذهب هناك إلى أنها تكون للدعاء، وذكر قولاً بصيغة التضعيف (قيل) بأنها لا تكون للدعاء في الآية السابقة<sup>(١٠١)</sup>، وعلته في ذلك: لأن فعل الدعاء لا يسند إلى المتكلم بل إلى المخاطب أو الغائب، نحو يارب لا عذبت فلاناً، ونحو لا عذب الله عهراً<sup>(١٠٢)</sup> وواضح أن فعل الدعاء في الآية مسند إلى المتكلم فلا تكون للدعاء، لكن ابن هشام لم يذكر علة كون (لن) للدعاء في الآية (مغني اللبيب) وإنما اكتفى بأنها تكون للدعاء فقط، وذكر قول من لم يجعلها كذلك في الآية وعلته في ذلك، وهذا الاختلاف في رأي ابن هشام في (لن) يشير إلى احتمال عدوله من رأي إلى رأي آخر مخالف له، وإذا عرفنا أنه ذكر في كتابه الآخر (أوضح المسالك) الرأي نفسه الذي ذكره في شرح القحط<sup>(١٠٣)</sup> يرجح لنا ثبوته على هذا الرأي، أي كون (لن) لا تفيد الدعاء والله أعلم.

اتضح مما سبق شيء من مباحث التفسير بالرأي عنده، وهناك مواضع أخرى في هذا المجال ذكرها في شرح القحط أيضاً<sup>(١٠٤)</sup>.

### ٢. مباحث منفردة تتعلق بالتفسير اللغوي:

ذكر ابن هشام - رحمه الله - عدداً من المباحث المتفرقة التي لها علاقة وثيقة بالتفسير اللغوي للقرآن وهي وإن كانت قليلة قياساً بالأنواع السابغة تشكل محاور أساسية في هذا الاتجاه من التفسير، ويمكن أن نجعلها بالنقاط الآتية:

١- قد يذكر ابن هشام شاهداً لغويًا لقضية ذكرها عند تفسير النص القرآني من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم)<sup>(١٠٥)</sup> بأن الفعل (تطهر) قرئ بالرفع باتفاق القراء، وأنه لو قرئ بالجزم على معنى الجزاء لم يمتنع في القياس، واستشهد لقراءة الجزم بقوله تعالى: (فهب لي من لدنك

ولياً \* يرضني)<sup>(١٠٦)</sup>، فقد قرئ برفع الفعل (يرث) وجرمه وهما قراءتان سبعيتان<sup>(١٠٧)</sup>.

ب- قد يذكر لغة من لغات العرب عند تفسيره النص القرآني من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (أفلم ييأس الذين آمنوا)<sup>(١٠٨)</sup> بأن معنى (ييأس) فيما قاله المفسرون: يعلم، أي: أفلم يعلم، وذكر أنها لغة التخع، وهو وزن<sup>(١٠٩)</sup>.

ج- قد ينقد ابن هشام عدداً من العلماء الذين يذكرونهم عند تفسيره النص القرآني. من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: (أفلم ييأس الذين آمنوا)<sup>(١١٠)</sup> بأن القراء (ت٢٠٧هـ). رحمه الله. أنكر كون الفعل (ييأس) بمعنى (يعلم) وذكر بـ أن رأي القراء ضعيف<sup>(١١١)</sup>.

د- قد يذكر موضوع القرينة عند تفسيره النص القرآني. من ذلك ذكره القرينة اللفظية في قوله تعالى: (لولا أنتم لكنا مؤمنين)<sup>(١١٢)</sup> بأن في الآية محذوفاً دل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: (لنحن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم)<sup>(١١٣)</sup> إذ التقدير، لولا أنتم صدقناكم عن الهدى لكنا مؤمنين<sup>(١١٤)</sup>.

هـ- قد يبين أثر اللغة في علوم الشريعة، وهو جانب مهم من جوانب التفسير اللغوي للقرآن، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا)<sup>(١١٥)</sup> في بيان أثر اللغة والنحو في مسائل العقيدة فقد بين أن الواو في الآية تفيد مطلق الجمع من غير ترتيب، وأنها لو كانت تفيد الترتيب لكان اعترافاً من منكري البعث. وهم الكافرون. بالحياة بعد الموت<sup>(١١٦)</sup> ولكن عقيدتهم هي إنكار البعث وقد أتد ذلك وقواد الدلالة اللغوية والنحوية للواو متمثلة بعدم افادتها الترتيب.

و- قد يذكر ابن هشام - رحمه الله - موضوعات تفسيرية وشرعية متنوعة وموضوعات علوم القرآن عند تفسيره النصوص القرآنية، وهي وإن كانت لا تتعلق بالتفسير اللغوي تعلقاً مباشراً تشكل موضوعات أساسية في علم التفسير من ذلك الوقف القرآني<sup>(١١٧)</sup>، وأصول القراءات القرآنية<sup>(١١٨)</sup>، ومشكل القرآن<sup>(١١٩)</sup>، وقضايا فقهية متنوعة<sup>(١٢٠)</sup>، وغير ذلك.

## الخاتمة

ت	المبحث	العدد
١	مصادره	٢٠
٢	التفسير النحوي	١٠٣
٣	التفسير الدلالي	٧
٤	التفسير الصوتي	٥
٥	التفسير البلاغي	٥
٦	التفسير الصرفي	٤
٧	التفسير بالرأي	١١
٨	مباحث متفرقة	٢١
٩	المجموع الكلي	١٧٦

جدول احصائي يبين عدد ماضع  
التفسير اللغوي في شرح القحط

بعد هذه الدراسة في شرح القحط اتضح ما للمؤلف وكتابته من منزلة في علم التفسير اللغوي الذي بلغت مواضعه ما يقرب من (١٧٦) موضع متمثلاً بعدد من الأنواع كالتفسير النحوي، والدلالي، والصوتي، والبلاغي، والصرفي، واتضح أن للمؤلف مصادر في هذا الميدان كأهل المعاني، والنحاة، وعدد من المفسرين المشهورين، ومصادر أخرى لم يصرح بأسمائها للسبب الذي ذكرناه في البحث. وقد حوى الكتاب ايضاً مباحث متفرقة لها علاقة بالتفسير اللغوي كالتفسير بالرأي، والشاهد اللغوي، والنقد التفسيري والقرينة اللفظية، وبيان أثر اللغة في علوم الشريعة ولاسيما العقيدة، زد على ذلك مواضيع قرآنية أخرى على ورودها بقلّة في شرح القحط ويكون ابن هشام - رحمه الله - بذلك من العلماء الذين لهم علم بهذا الميدان من علم التفسير في جميع مؤلفاته وليس شرح القحط فحسب الأمر الذي جعلنا نقف عند آرائه القيمة في هذا الميدان لننتعرف ما لعلمائنا الأسلاف من علم بالقرآن الكريم، وخدمة عظيمة يستحقون عليها الثواب والأجر يوم القيامة، رحم الله ابن هشام واسكنه فسيح الجنات آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

## الهوامش

في أصول التفسير ١٠٢، والمواصفات في أصول الأحكام للشاطبي (ت ٧٩٠هـ) ٢٨، ٥٧/٢ وينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية للدكتور عبد القادر السعدي ٨٢، ٨٢، وما بعدها وأصول التفسير وقواعده لخالد عبد الرحمن العك: ١٢٧، ودراسات في أصول تفسير القرآن للدكتور محسن عبد الحميد: ٧، وما بعدها، والتفسير اللغوي في (محاسن التأويل) لجمال الدين القاسمي، رسالة دكتوراه للدكتور ماهر جاسم حسن الأومري، بإشراف الاستاذ الدكتور محيي الدين توفيق ابراهيم، جامعة الموصل، كلية الآداب (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م) ص: ٥ وما بعدها. (٨) موسوعة الموصل الحضارية ٢١/٢٦، والمواصفات: ١/١٢٠، والانتفاخ في علوم القرآن للسيوطي ١/١٢٠، وما بعدها، والتفسير والمفسرون الذهبي ١/٧٨، وما بعدها، والضابط اللغوي في التفسير للدكتور محسن عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ص: ٢٦٢، بغداد، العدد ٦٠، ١٩٧٥م، والأزهري مفسراً في كتابه تهذيب اللغة، ص: ٢٥١ وما بعدها. رسالة ماجستير للدكتور ماهر

(١) ينظر ترجمة ابن هشام في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي) ١٠/٢٢٦، و(بغية الوعاة للسيوطي) ٦٨/٢، ٦٩، و(شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي) ١٩٢/٦، ١٩١م (معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة): ١٦٢/٦، ١٦٤، وغيرها من كتب التراجم. (٢) شرح قحط الندي وبل الصدي: ١٢. (٣) م. ن. (المقدمة): ٤. (٤) ينظر مثلاً كتاب (أصول التفسير وقواعده) للشيخ عبد الرحمن العك، ص: ١٥٩، ٢٠٥، ٢١٧. (٥) وهو ما سمت به الدكتورة عائشة عبد الرحمن كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم). (٦) من ذلك ما سمي به الدكتور مصطفى مسلم كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي). (٧) تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل آي القرآن) ١/٢٤ ومقدمة

- (٤٢) شرح قطر الندى وبل الصدى: ٢٤٥، ٢٤٤.
- (٤٤) حاشية الجمل على تفسير الجلائين المسماة بـ (الفتوحات الإلهية) لسليمان الجمل: ١٢٥/٢.
- (٤٥) سورة القمر: ٧.
- (٤٦) شرح قطر الندى: ٢٣١.
- (٤٧) كتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهرى: ٤٧١، ٤٧٠.
- (٤٨) سورة البقرة: ١٨٤.
- (٤٩) شرح قطر الندى: ١٦٠.
- (٥٠) ينظر مثلاً: ٥٢، ٧٥، ١١١، ١٨٥، ٢٥٨، ٣٢٨، ٤٤٠، ٤٤٩، وغيرها.
- (٥١) سورة الأعراف: ١٥٥.
- (٥٢) شرح قطر الندى: ٣٧٩.
- (٥٣) حاشية الجمل: ١٩٥/٢.
- (٥٤) سورة النور: ١.
- (٥٥) شرح قطر الندى: ١٧٢.
- (٥٦) تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): ١٥٥/٦.
- (٥٧) ينظر مثلاً: ٨٩، ٩٢، ١٥٠، ١٩٤، ٢٥٩، ٣٧٧، وغيرها.
- (٥٨) سورة الأنعام: ١٥١. (٥٩) شرح قطر الندى: ١٠٩.
- (٦٠) سورة سبأ: ١٤. (٦١) شرح قطر الندى: ٥٥.
- (٦٢) ينظر مثلاً: ١٠٩، ١٧٢، ١٨٥، ٢٢٦، ٣١٦، ٣١٩، وغيرها.
- (٦٣) ينظر مثلاً: ٤٦ في أربعة مواضع.
- (٦٤) ينظر مثلاً: ٥٢، ١٧٩، ٣١٢ في موضعين.
- (٦٥) ينظر مثلاً: ٥٥، ٩٤، ١١٥، ٢٤٥.
- (٦٦) ينظر مثلاً: ١٩٢، ٢٥٧، ٣١٤.
- (٦٧) ينظر مثلاً: ٢٥١ في موضعين، ٢٦٤، ٤٤٩.
- (٦٨) ينظر مثلاً: ٨٩، ٢٧٠. (٦٩) ينظر: بداية هذا البحث.
- (٧٠) سورة النساء: ٧١. (٧١) شرح قطر الندى: ٣٢٩.
- (٧٢) حاشية الجمل: ٣٩٩/١. (٧٣) سورة الأنعام: ١٥٠.
- (٧٤) شرح قطر الندى: ٤٠. (٧٥) حاشية الجمل: ١٠٦/٢.
- (٧٦) إرشاد العقل السليم: ١٩٧/٢، وحاشية الجمل: ١٠٦/٢.
- (٧٧) سورة القصص: ٨٢.
- (٧٨) شرح قطر الندى: ٢٦١، وينظر مواضع أخرى للتفسير الدلالي مثلاً ص: ٤٠، ١٦٢، ١٦٥.
- (٧٩) علم اللغة للدكتور حاتم صالح الضامن: ٤٧.
- (٨٠) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم انيس: ٢٢٥، ٢٢٤. وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم قدوري الحمد: ٣٩٠، ٣٩٢.
- (٨١) سورة مريم: ٢٠. (٨٢) شرح قطر الندى: ١٩٢.

- جاسم حسن الأومري، بإشراف الاستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، جامعة الموصل، كلية الآداب (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل، ص: ٦.
- (٩) المرحان في علوم القرآن: ١٩٠/٢، ١٩١، والضابط اللغوي في التفسير: ٢٤٢، وما بعدها.
- (١٠) مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسهر: ٩٠.
- (١١) الاتقان: ١٢٠/١، وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٨.
- (١٢) التفسير والمفسرون: ٢٧/١، وتطور تفسير القرآن: ٢٢، ٢٥.
- (١٣) التفسير والمفسرون: ١٠٦/١، وتطور تفسير القرآن: ٢٧، وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٩.
- (١٤) التفسير والمفسرون: ١٠٦/١، وما بعدها وتطور تفسير القرآن: ٤٥، والتفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٩.
- (١٥) التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ١٠.
- (١٦) التفاسير اللغوية والنحوية للقرآن الكريم للدكتور محيي هلال السرحان، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء (٢٠٤)، المجلد (٢٢)، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص: ٥٥٢، ٥٥٤، وما بعدها وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ١٠، ١١، ١٢.
- (١٧) التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ١٠، ١١، ١٢، ١٣.
- (١٨) سورة آل عمران: ٩٧.
- (١٩) شرح قطر الندى: ٤٤٠، وينظر موضع آخر: ص ٢٦٢.
- (٢٠) ينظر مثلاً ص: ٨٨. (٢١) ينظر مثلاً ص: ٢٠٧.
- (٢٢) سورة البقرة: ٢٥.
- (٢٣) شرح قطر الندى: ٢٦٤، ولم أجد هذا الكلام في (الكتاب) لسيبويه، ولعل ابن هشام نقله من مكان آخر.
- (٢٤) ينظر مثلاً ص: ٨٠. (٢٥) ينظر مثلاً ص: ٢٩٤، ٤٢١.
- (٢٦) سورة الزخرف: ٧٧.
- (٢٧) وهي قراءة شاذة: ينظر: مختصر في سواند القراءات: ١٣٦.
- (٢٨) شرح قطر الندى: ٢٩٧، وينظر موضع آخر مثلاً ص: ١١٥.
- (٢٩) ينظر: الكشف: ٤٩٦/٢. (٣٠) ينظر مثلاً ص: ١٧٠، ٢٩٧.
- (٣١) ينظر مثلاً ص: ٢٩٧. (٣٢) ينظر مثلاً ص: ٨٦.
- (٣٣) ينظر مثلاً ص: ٢١٤. (٣٤) ينظر مثلاً ص: ٢٩٧، ٤١٥.
- (٣٥) ينظر مثلاً ص: ٤١٢. (٣٦) ينظر مثلاً ص: ٤٢٠، ٤٤٠.
- (٣٧) ينظر مثلاً ص: ٢٩٨. (٣٨) سورة الرعد: ٢١.
- (٣٩) شرح قطر الندى: ٨٦، وينظر ص: ٤١٢.
- (٤٠) الاتقان في علوم القرآن: ١٨٠/٢.
- (٤١) ينظر: ص من هذا المبحث.
- (٤٢) سورة الانبياء: ٦٥.

(٨٢) في البحث الصوتي عند العرب للدكتور خليل العتبية: ٧٠.

(٨٤) سورة الفاتحة: ٢.

(٨٥) وهي قراءة روية أيضاً، ينظر: مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه: ١.

(٨٦) شرح قطر الندى: ٤٠٦. وينظر: مواضع أخرى للتفسير الصوتي عنده مثلاً: ٤٦، في موضعين، ١٩٢.

(٨٧) ينظر: ص ٥ من هذا البحث. (٨٨) سورة الصف: ١٠، ١١، ١٢.

(٨٩) شرح قطر الندى: ١١١. (٩٠) مختصر في شواذ القراءات: ١٥٦.

(٩١) حاشية الجمل: ٢٢٨/٤. (٩٢) سورة مريم: ٢٨.

(٩٣) شرح قطر الندى: ٢٥٥، وينظر مواضع أخرى للتفسير البلاغي مثلاً ص: ١٧٢، في موضعين، ٢٦٠، ٢٥٥.

(٩٤) حاشية الجمل: ١٦٣/٣، وينظر: مغني اللبيب لابن هشام: ٨٩١/٢.

(٩٥) سورة البقرة: ٢٢٧. (٩٦) شرح قطر الندى: ٤٥.

(٩٧) سورة البقرة: ١٧٢. (٩٨) شرح قطر الندى: ٢٦٥.

(٩٩) أصول التفسير وقواعده: ١٦٧.

(١٠٠) البرهان في علوم القرآن: ١٨٨/٢، ١٨٩.

(١٠١) التفسير والفسر والذهبي: ٢٥٦/١، وينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل: ٨٠.

(١٠٢) سورة طه: ٩١. (١٠٣) سورة البقرة: ٢١٤.

(١٠٤) شرح قطر الندى: ٩٢. (١٠٥) م. ن. ٩٣.

(١٠٦) م. ن. ٩٣، وينظر: حاشية الجمل: ١٧/١.

(١٠٧) م. ن. ٩٣، وينظر: مغني اللبيب: ١٧٠/١.

(١٠٨) سورة القصص: ١٧.

(١٠٩) شرح قطر الندى: ٨٠. وينظر: حاشية الجمل: ٢٤١/٢، ٢٤٢.

(١١٠) أي الآية: ١٧ من سورة القصص.

(١١١) مغني اللبيب: ٣٧٤/١، ٣٧٥.

(١١٢) أوضح المسالك في الفية ابن مالك: ١٦٢/٢.

(١١٣) ينظر مثلاً: ٩٥، ١٠٩، ١١١، في موضعين، ١١٣، ١١٥، ١٥٧، ٢٧٢، وغيرها.

(١١٤) سورة التوبة: ١٠٣.

(١١٥) سورة مريم: ٥٦، وينظر: شرح قطر الندى: ١١٢، وينظر مواضع أخرى مثلاً ص: ٨٧، ٨٨، ١٥٠.

(١١٦) قراءة الجزم لأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، وقراءة الرفع لياقبي السبيعة، ينظر: كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: ١٢٠.

(١١٧) سورة الرعد: ٢١. (١١٨) شرح قطر الندى: ٨٦.

(١١٩) سورة الرعد: ٢١.

(١٢٠) شرح قطر الندى: ٨٨، وينظر مواضع أخرى مثلاً ص: ٨٠، ٢١٤، ٤٤٠، في موضعين، وغيرها. وينظر: معاني القرآن للقراء: ٦٤/٢.

(١٢١) سورة سبأ: ٢١. (١٢٢) سورة سبأ: ٢٢.

(١٢٣) شرح قطر الندى: ١٧٤، وينظر مثلاً ص: ٤٢٨، في ثلاثة مواضع، وغيرها.

(١٢٤) سورة الحجاثية: ٢٤.

(١٢٥) شرح قطر الندى: ٤٢٨، وينظر مواضع أخرى مثلاً ص: ٢٣٠، ٢٣٩، ٤٢٤.

(١٢٦) ينظر مثلاً ص: ١١٢، في موضعين.

(١٢٧) ينظر مثلاً ص: ٢٤٤، في موضعين.

(١٢٨) ينظر مثلاً ص: ٢٦٩.

(١٢٩) ينظر مثلاً ص: ٤٢٤.

## المصادر والمراجع

أولاً: الرسائل الجامعية

١. الأزهرى مفسراً في كتابه (تهذيب اللغة) رسالة ماجستير للدكتور ماهر جاسم حسن الأومري، كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف: الاستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٢. التفسير اللغوي في (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي، رسالة دكتوراه ماهر جاسم حسن الأومري، بإشراف الاستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

ثانياً: الكتب المطبوعة:

١. الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (ت ٩١١هـ) جلال الدين عبد الرحمن

بن أبي بكر، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان (١٩٧٢م).

٢. أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية: الدكتور عبد القادر السعدي، الطبعة الأولى، مطبعة الخلود، بغداد، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٣. الأصوات اللغوية: الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة (١٩٧٥م) مكتبة الأنجلو المصرية.

٤. أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار الفائز، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٥. أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك: الانصاري (ت ٧٦٦هـ) ليو محمد عبد



الله جمال الدين بن يوسف بن هشام، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة (١٩٦٦م).

٦. البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت ٧٩٤هـ) محمد بن عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (ت ٩١١هـ) جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م).

٨. تطور تفسير القرآن، قراءة جديدة: الدكتور محسن عبد الحميد، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة، (د. ت.).

٩. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: العمادي (ت ٩٥١هـ) أبو السعود محمد بن محمد، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

١٠. التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (د. ت.).

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (ت ٢١٠هـ) أبو جعفر بن جرير، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

١٢. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: الدكتور غانم قسودوري الحمد، الطبعة الأولى، مطبعة الخلود، بغداد، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

١٣. دراسات في أصول تفسير القرآن: الدكتور محسن عبد الحميد، مطبعة الوطن العربي، بغداد، (١٩٧٠ - ١٩٧٩م).

١٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: الحنبلي (ت ١٠٨٦هـ) أبو الفلاح عبد الحجي بن العماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د. ت.).

١٥. شرح فحلر الندي وبل الصدي: الأنصاري (ت ٧٦١هـ) أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، دار الفكر، (د. ت.).

١٦. علم اللغة، الدكتور حسام صالح الضامن، مطبعة التعليم العالي بالموصل.

١٧. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (حاشية النجمل)، العجيلي (ت ١٢٠٤هـ) سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالنجمل، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت.).

١٨. في البحث الصوتي عند العرب: الدكتور خليل إبراهيم العطية، الموسوعة الصغيرة (١٣٤)، دار الجاحظ للنشر، جمهورية العراق، بغداد، ١٩٨٣.

١٩. كتاب التيسير في القراءات السبع، الداني (ت ٤٤٤هـ) أبو عمرو عثمان

بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢٠. كتاب معاني القراءات: الأزهرى (ت ٢٧٠هـ) أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق: الشيخ أحمد فريد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، أبو القاسم محمود بن عمر، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٢٢. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، دار الهجرة، (د. ت.).

٢٣. مذاهب التفسير الاسلامي: جنتس حولد تسهر، ترجمة وتحقيق: الدكتور عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية، (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، القاهرة.

٢٤. معاني القرآن: الفراء (ت ٢٠٧هـ) أبو زكريا يحيى بن زياد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م).

٢٥. معجم المؤلفين (تراجم محنضي الكتب العربية) تأليف: عمر رضا كحالة، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت.).

٢٦. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: الأنصاري (ت ٧٦١هـ) جمال الدين ابن هشام، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعة السادسة، بيروت، (١٩٨٥م).

٢٧. مقدمة في أصول التفسير: الحارثي (ت ٧٢٨هـ) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، تحقيق: محمود محمد منصور، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة التراث الاسلامي، (د. ت.).

٢٨. الموافقات في أصول الاحكام: الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت.).

٢٩. موسوعة الموصل الحضارية: جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

٣٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: الاتاكي (ت ٨٧٤هـ) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، (د. ت.).

ثالثاً: البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات:

١. التفاسير اللغوية والنحوية للقرآن الكريم: الدكتور محيي هلال السر حان، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء (٢٠٤)، المجلد (٢٢)، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٢. الضابط اللغوي في التفسير: الدكتور محسن عبد الحميد، مجلة كلية الدراسات الاسلامية، بغداد، العدد (٦)، (١٩٧٥م).

**تحقیق: شاگر العاشور**

(۴۷۴)

**واخلت بهما (ع).**

(۲۶۵)

أراك بسـمعت بـخوص النخلة الكثرا

(۲۶۲)

(575)

ق \_\_\_\_\_ د حبري الأمر علي ذا

(٢٦٦)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨٤ وأحسن ما سمعت ٤٦-٤٥ ومن غاب عنه المطرب ١٢٠ وبتيمة الذهر ٢٢١/٤ ونثر النظم ١٥٥ ومعاهد التنصيص ٢١٩/٢ والمخطوط (١٢٧٢٩-٥ق).

(من الكامل)

١- عندي، فديتك، سادة أحرار

وقلوبهم، شوقا إليك، حراز

٢- وشرابنا شرب العلوم، وبيننا

خزة الحديث، ونق لنا الأنشعار

٢ فامتن علينا بالبدار، فإتما

أعمار أوقبات السُرور قصار

(٢٦٧)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨٤.

(من الوافر)

١- فديتك، ليس ما أوليت بكرا

ولا شكري لما أوليت بكرا

٢- كلانسا صائغ، فتصوع برا

تحليني به، واصوع شكرا

(٢٦٨)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨٤-٢٩ وتحسين القبيح ٨٩.

(من الطويل)

١- وزارة بست وزرها قاصم الظهر

ومنتها منذ القدادة الى الظهر

٢- فلا تخطبتها، إنها ضرة الثهي

وبغيتها روح البسعولة في المهر

(٢٦٩)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩.

(من مخلص البسيط)

١- وشادن وجهه نهـاز

وخدة الغض جلنـاز

٢- قلت لـ: قد جرحـت قلبي

فقـال: جرح الهوى جـبـاز

(٢٧٠)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩.

(من الطويل)

١- أسأت إلى نفسي، وطامنت من قدري

فحكمت غنى أخلاقك القر في فقري

٢- فما العقل إلا خاتم، أنت قصـة

وعفوك نقش الفـن، فاختم به عنري

(٢٧١)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩٤.

(من البسيط)

١- عزلت سمعي، وشمي، والمذاق معا

والحسن عن كل لهو، ماعدا بصري

٢- ومن تجافى عن اللذات قاطبة

من غير عجز، فلا تعدلة في التظـر

(٢٧٢)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩ وأحسن ما سمعت ١٢٢ وبتيمة الذهر

٢٢٩/٤ ومعاهد التنصيص ١٨٦/٢.

(من الخفيف)

١- دمع دموعي يسيل سـيلا بدارا

وضلوعي يضلـين سـيلا بدارا

٢- قد أعاد الأسى نهاري ليلا

مذ أعاد المشـيب ليلى نهـارا





٢- (وإن ذكر الطاءات والسنين عنده

تلقى طواسين التلاوة بالكفر)

(٢٨٦)

التخريج:

هي ب (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢ .

(من الطويل)

١- أقسول لمن لاح الشيب بفوده

والفيتة عن غيه ليس يقصّر

٢- عذرتك إن اضللت رشذك خاطئاً

وليل الشباب الوحنف داج، فمعذّر

٣- فهل لك في سن الكهولة عاذر

إذا زغت عن قصد، وليك مقصّر

(٢٨٧)

التخريج:

الأسطاز في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢ .

٢- لي بكر بن عبد العزيز النيلي في يتيمة النهر ٤/٢١١ .

وهي من غير عزو في الأنيس في غرر التجنيس (مجلة المجمع

العلمي العراقي م ٢٢/ج ١ ص ٤٤٩).

(من الرجز)

١- من وجهه يطلع نجم المشـ

٢- ياقـ ورة ينثمر شهداء، فاشـ

٣- يامن نضا باللحـ

٤- إذا وجدت الخـ عبـ

(٢٨٨)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢ .

(من الكامل)

١- قالوا: مشيبك قد تبسم ضاحكاً

وهو النهار أناك بـ

٢- فاستوضح القصد اليمين، ولا ترغ

عنه، فإنك في ضياء نهار

٢- فأجبتهم، والحق بـ

لا تستـ

٤- إن النهار، وإن أضاء، فإنما

يهدى الضياء إلى ذوي الأـ

(٢٨٩)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢٤ .

(من الطويل)

١- إذا جئذ الرحمن عندك نعمة

فجئذ لها شكرأ، ليونسها الشكر

٢- واحسن قراها تستقر، فإنها

نواز، ومن أضدادها الجحد والكفر

٣- إذا ما أحلت نعمة دار غريبة

وأوحشها الكفران، أنسها الذكر

(٢٩٠)

التخريج:

هي جميعاً في (ع) والنز الفريد ٥/٢٧١ .

والأبيات (٢٠١) فقط في الأصل و (ج) والمطبوع ٢٢٤ والتذكرة

السعدية ١/٤٢٠ .

(من البسيط)

١- يا من تبخج بالندى وزخرفها

كن من صنوف لياليها على حنر

٢- ولا يغرتك عيش إن صفا وعفا

قالـ مرة من غرر الأيام في غرر

٣- إن الرمان كما جربت خلقتة

منقسم الأمر بـ

٤- (كم قد أخاز قوى حيل، فغادرة

لـ

(٢٩١)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٢٤ .

(من السريع)

(قال ابن أبي البقل في هجاء أبي الفتح): \*

١- لو كان هذا الأمر عن سائس

مير بـ ..... بين العدل والجور

٢- لكثرة عن فلك أحرق

يسوسنا بـ ..... الحوت والثور

فقال (أبو الفتح) يرد عليه:

(٢٩٢)

التخريج:

هي في (ج) وفي (ع) والمطبوع ٢٣٤.

(من السريع)

١- ابن أبي البقل عدول عن الـ...

..... عدل، إلى الباطل والجور

٢- ولو غدا العقل تصيحاً لـ

وصاتة عن وصمة الخور

٣- لصير الفعل لرب الوري

ومير بـ ..... دفع الأفلاك والدور

٤- لكثرة ثور، فمن ذاك ما

يجعله للحـ ..... ثور والثور

(٢٩٣)

التخريج:

هي جميعاً في (ع).

والأبيات عدا (٤) في الأصل و(ج) والمطبوع ٢٣٤-٢٤٤.

(من الطويل)

١- أحب من الإخوان كل مهنت

ظريف السجايا، طيب العرق والتشر

٢- إذا جنته لاحظت من شمس نفسه

على وجهه نوراً، يلقب بالبشـ

٣- ترى جوداً يزجي الرجااء لجود

ويبـ ..... في الورد، رفها من العشر

٤- وما هو إلا أحمد بن محمد

فلا زال يبقى للمعالي إلى العشر

٥- على أن ما عندته من صفاته

وحق الليالي العشر، لم يقف بالعشر

(٢٩٤)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٣٤.

(من السريع)

١- أشهد بأن الله ذو قدرة

تحيط بـ ..... الأصغر والأكبر

٢- ولا تصفة أنه جوهـ

فأنة من أنكر المنكر

٣- من أبدع الجوهـ عن قدرة

فأنة أغلى من الجوهـ

(٢٩٥)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٤ ومعاهد التنصيص ٢٢٠/٢-٢٢١.

(من الكامل)

١- إن كنت تطلب رتبة الأحرار

فاعمد لحلم راجح، ووقـ

٢- وحذار من سفه نيتك وصمة

٣- إن التسفه بـ ..... المروءة زار

٤- وذر السفه إذا تصدى لامرئ

متحلم، ونحاة بـ ..... الأضرار

٥- فالماء يطفئ، وهو لين مسة

عذب مذاقـ ..... تة، لهيب النار

(٢٩٦)

التخريج:

الشطران في (ج) والمطبوع ٣٤.

وقد أخلت بهما (ع)

١

٢

(من الرجز)

١- بنس شعار الزجل الشعارة





٢- إن الحوادث تنقل الأحرار عن

أوطانهم، والطير عن أوكارها  
(٢٠٢)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٦ ویتیمه الذهر ٢١٠/٤ وزهر الأدب ١٢٥  
ومعاهد التنصيص ٢١٧/٢ .

(من البسيط)

١ ما إن سمعت بنوار لـة ثمر

في الوقت يمتع سمنع المرء، والبصرا

٢. حتى أتاني كتاب منك، مبيتسم

عن كل لفظ ومعنى أشبه الثريا

٢- فكان لفظك في الآله زهرا

وكان معنالك في أثنائه ثمر

٤- تسابقا، فأصابا القصد في طلق

لله من شعر قسداً سسابق الرثرا

(٢٠٤)

التخريج:

هما في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٦ ویتیمه الذهر ٢٢٢/٤ والتمثيل  
والحاضرة ٢٢٩ وزهر الأدب ٢٩٨ وبهجة المجالس ٢٢٤/١  
والكشكول ١٥٦/٢ .

(من البسيط)

١- لنن تنقلت من دار إلى دار

وصرت، بعد ثواء، زهن أسفار

٢- فالخر حر، عزيز النفس حيث ثوى

والشمس، في كل برج، ذات أنوار

(٢٠٥)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٦ ٢٧ .

(من الوافر)

١- قصدك أركب البيد القفارا

فما أظعنني خبيرا قفارا

٢- ولم تمتع لنقع صدائي ماء

ولم تقسذخ لرسم قراي نارا

٢- ولكني أولي اللوم نفسي

ولست بقابل منها اعتذارا

٤- لإذا يمتنت دار امري، لم

يخط لنفسه، في المجد، دارا

٥- فيا قذمي قدمت على خسار

وتسقى بي المذلة والصغارا

٦- ويا قذمي جنيت علي كسرا

فظيعة، ولا أرى منه انجبارا

٧- فمن يقتله ذو نفي، فبائي

أرى قذمي أراق دمي جهارا

(٢٠٦)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٢٧٤ .

(من الكامل)

١- لنا توليت الأمور، وأظلمت

في ناظري موارد ومصادري

٢- ويئت من كنت أرجو فضلة

وأعداء عنوان صحتف ذخائري

٢- وعلمت أي قد أضعت صناعي

ووضعتها في غير خر شراكر

٤- وافى وفاؤك، وهو أنس ناضر

فأجاري من صرف دهر جانر

٥- فلا شكرتك شكر روض ناضر

سمنع الغمام لـة بسغيث باكر

(٢٠٧)

التخريج:

هما في (ج) والمطبوع ٢٧٤ .

وأخلت بهما (ع) .

وله، ويقال إنها لابن حاجب الثعمان :

(من الرمل)

١- من عنيري من عنول في قمر

قمر قامرني، حتى قمر

٢- قمر لم يبق مني حبة

وهو، غير مقلوب قمر

(٢٠٨)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والطبوع ٣٧.

والرابع فقط في يتيمة النهر ٢١٦/٤ والتمثيل والحاضر ١٩١٥.

(من الكامل)

١- يا من أراه يمترى بمنوذتي

ما منصف فيما تحس يمترى

٢- إن كنت قد أبلغت عني سينا

فالتنب فيه للكذب المفتري

٣- أو خيلوا لك أن عهدى أبر

فالخر لا يرضى بعهد أبر

٤- طبعي كطبع المشتري ما فيه من

شر، فهل من مشتر للمشتري

(٢٠٩)

التخريج:

هما في (ج) و(ع) والطبوع ٣٧ و يتيمة النهر ٢١٧/٤ وحماسة

الظرفاء ٢١٦/٢.

(من البسيط)

١- يا من أعاد رميم الملك منشورا

وضعهم بالزاي أمرا، كان منشورا

٢- أنت الوزير، وإن لم تؤت منشورا

والأمر، بعدك، إن لم تؤتمن شوري

(٢١٠)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والطبوع وزهر الآداب ٥٠٥.

(من الهزج)

١- أبسا العباس لا تحسب يأتي

لستني من حلى الأشعار عار

٢- فلي طبع كسلسال معين

زلال، من ذرى الأحجار جار جار

٣- إذا ما أكتب الأدوار زندا

فلي زندا على الأدوار وار

(٢١١)

التخريج:

هما في (ج) و(ع) والطبوع ٢٨.

وهما لأبي الفضل الميكالي في يتيمة النهر ٢٧٧/٤ والمتشابه ٢٩.

(من السريع)

١- لنا مقن سميع صوتة

تكثر في التيه أبى ازيرة

٢- طلبت لحناء فأبى طبعه

ورمت ضربا، فأبى زيرة

(٢١٢)

التخريج:

هي في (ج) و(ع) والطبوع ٢٨٤.

والبيتان (٢-١) فقط في يتيمة النهر ٢٢٦/٤.

(من البسيط)

١- قل للذي غرأ عر، وساعده

فيما يحاوله نقص وإمرار

٢- لا تفتخر بغنى أمطيت كاهله

فإن أصلك يسافخاز، فخاز

٢- هذا، ولكن من الغدار يأنفة

يكون، وهو مع الإقبال، إبدال

(٢١٣)

التخريج:

هما في (ج) و(ع) والطبوع ٢٨٤ والمتشابه ٢٩ والتمثيل والحاضرة

(من مخرج البسيط)

التخريج:

١. وزارة الحضرة الكبير

خطية، بل هي الكبـير

٢. فلا تردّها، ولا تردّها

فإنّها محنة كبـير

(٢١٤)

التخريج:

هما في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨.

(من الكامل)

١. لو أنني أفنيت عمري كله

في وصف شوقي، منطبا، مستحضرا

٢. لغدوت فيه مضطرا، لا مضطرا

ورجعت، عنة، معذرا، لا معذرا

(٢١٥)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٨-٢٩.

(من الطويل)

١. لا ليت شعري كيف أصبح طائري

بسفر سنيح الفأل، عندك، مزجورا

٢. ولم صار غيري مؤنسا في نديكم

ونخيت عنكم، مكند القلب، منسجورا

٣. ومن ذا الذي قد ناب عني عندكم

فأبدع منحوتا، وأغرب متجورا

٤. فهل كان ذنبي غير أنني تسارك

من الشرب حجرا في الشريعة محجورا

٥. إلى الله لشكو أنني لتقيتي

تحاشيت محجورا، فأصبحت مهجورا

٦. سألزم همي في التبيذ، وهمتي

فقل لغدولي، أعذلا في، أو حجورا

٧. وأقتي سبلوا، ثم أعلم أنني

وإن صرت مهجورا، لقد صرت مأجورا

التخريج:

هما في (ج) والمطبوع ٢٩.

وقد أخلت بهما (ع).

(من الطويل)

١. وليل كأصداغ الحبيب قطعة

بسور كخديه، وجام عقار

٢. وأنجمة تبدو كأعشار عسجد

تضمنها في الجو جامع قسار

(٢١٧)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٢٩ ويقيمة الدهر ٢٢٥/٤ ومعاهد

التنصيص ٢٠٨/٢ والكشكول ١٢٨/٢.

(من السريع)

١. قلت لطرف الطبع لما جرى

ولم يقطع أمري، ولا زجري

٢. مالك لاتجري، وأنت الذي

تحيي مدى الغايات إذ تجري

٢. فقال لي: دعني، ولا تؤذني

حتى متى أجري بلا أجر

(٢١٩)

التخريج:

هما في (ج) والطبوع ٢٩ ٤٠ .

وقد اخلت بهما (ع) .

(من الكامل)

١- إن كنت تأنس بالحبيب وقربه

فاصبر على حكم الرقيب وداره

٢- إن الرقيب إذا صبرت لحكمه

بؤاك في مثوى الحبيب، وداره

(٢٢٠)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والطبوع ٤٠ و المنتظم ٧/٧٣ .

والأبيات (٢٠١) فقط في يتيمة النهر ٤/٣٢٤ .

(من البسيط)

١- لقاء أكثر من يلفاك أوزار

فلا تبال، اصندوا عنك أوزاروا

٢- لهم لديك، إذا جاءوك أوطار

فإن قضوها تنحوا عنك، أوطاروا

٢- أخلافهم، فتجنبهن، أو عاز

وقربهن مائماً للقلب، أو عاز

٤- أوضار أفعالهم تعدي معاشرهم

فلا يروك، فقصداً من راوا ضاروا

(٢٢١)

التخريج:

هما في المنتظم ٧/٧٣ .

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والطبوع .

(من مجزوء الكامل)

١- (كهم منخب قد صافني

فقريته صفحاً وغفراً)

٢- (كهم حاسد صابرة

فقستلته بـ الصبر صبرا)

(٢٢٢)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والطبوع،

ولم نجد لها تخريجاً .

(من المتقارب)

١- فطرت على الخير، فاخترته

وكل على ما عليه فطر

٢- (فمن وثني كان شكري لـ

على وذه مثـ لـ روض فطر)

٢- (ومكنته من صنم الفؤاد

وضمخته بـ الشاء العطر)

٤- (إذا ما وقفت على دوحة

يمر جناها، فبـ اذن، وطن)

(٢٢٣)

التخريج:

هما في يتيمة النهر ٤/٢٢١ .

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والطبوع .

(من البسيط)

١- (ولا اصافح أنسا بعد فرقتكم

حتى نصافح كف اللامس القمرا)

٢- (ولا امل، مدى الأيام، أنسكم

حتى يمل نسيم الروضة السخرا)

(٢٢٤)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والطبوع،

ولم نجد لها تخريجا

(من الكامل)

١ (لا يعظمن عليك أن عصابة

نالوا من الدنيا النصيب الأوفر)

٢ (وارضن الثقى خطأ، وعقلك ثروة

والذين عرأ، والقناعة مفخرا)

٣ (واعلم بأنك في الثرىا بالحجى

والجاهل الأمي من تحت الثرى)

٤ (وارث الجهول، وإن غدا في ماله

وعديده الأثريين في أعلى الثرى)

٥ (لو كان يعلم ذو الجهالة أنه

في أي هاوية هوى، لتفطرا)

(٢٢٥)

التخريج:

البيتان (٤-٢) فقط في يتيمة النهر ٢١٥/٤ والتمثيل والحاضرة ١٩٠  
وزهر الآداب ٢٩٧.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من المتقارب)

١ (أخلاي أعقلكم من عثر

فليس لنا قدرة بالقنن)

٢ (ذهينا على غرة، والحروب

سجال، وضوء الليالي كمن)

٣ (لئن كسفونا بلا علم

وفازت قداخهم بالظفر)

٤ (فقد يكسف المرء من دونه

كما يكسف الشمس جرم القمر)

(٢٢٦)

التخريج:

أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من الطويل)

١ (ولما رأيت الشعر ينقاد مصعبا

لغيري، ويلقسانني بخدلة، صعر)

٢ (هتفت بشيطاني، فقال يجيبني:

حنانيك، لأقوى على مدحة البقر)

(٢٢٧)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١ (نصيبك من دنياك لذة ساعة

فلا تنسها، خوف القضاء المخدر)

٢ (فإن كان ما نخشاه أمرا مقنرا

فلا بد من إتيان أمر مقدر)

٣ (وإن لم يقدر ما تخاف وتنتقي

فهل عاشق يرضى بسعير مكدر)

(٢٢٨)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الكامل)

١ (يا خاطبا بكر البلاغة، طالبا

أن يستقيم لطبعه تدبيرها)

٢ (الفاظنا هي للمعاني كسوة

وعلى المعاني فليكن تقصيرها)

٣ (لشريفهن شريفها، وطويلهن

من طويلها، وقصيرهن قصيرها)

(٢٢٩)

التخريج:

هما له في مخطوطة روح الروح (ق ٢٢٨).

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الهزج)

١ (رأيت الناس قد حالوا

: فأضحى لي ليلهم فـ

٢- فإن زرتهم يوماً

فرز عشراً تجد بشـ

(٢٢٠)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجاً.

(من الطويل)

١ (لقد صنع الله الكريم لخلقه

بتبصير علم الغيب سراً مختراً)

٢- فلو علم الإنسان علم حياته

تنفس في عز طفى، وتجسراً)

٢- فلم يرع مخلوقاً، ولم يخش خالفاً

ولم يندم معروفاً، ولم ينقص منكراً)

٤- (كما لو درى أن الوفاة قريبة

لأصبح كراً يائساً، وتحيراً)

٥- (فلم يسع في حرب وتسل، ولم يكن

ليطلب علماً، أو يشـ

٦- (فسبحان من أخفى عن الخلق علمه

ودار، كما شاء، الأمور، ودبراً)

(٢٢١)

التخريج:

اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجاً.

(من مجزوء الكامل)

١ (حب الكبار من الكبا

ر، والصغار من الصغار)

٢- (فاختر لنا دون الجزو

ر منهما فوق العشـ

(٢٢٢)

التخريج:

هما في ثمار القلوب ٢٢٢.

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الخفيف)

١- (قلت لي: قد خفيت، قلت: كبر

صار يخفى من بعد أن كان يسراً)

٢- (أنا خفاف كليلة القدر في النا

ر، وعال كليلة القدر قـ

(٢٢٣)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجاً.

(من المتقارب)

١- (يقولون لي لو خطبت الوزارة

فإن الوزارة صنوا الإمارة)

٢- (قلت لهم: ساء ما اخترتم

وذو الجهل كيف يجيد اختياره)

٢- (إذا بيعت ديني بدينيا سواي

فقد خسرت صفقتي في التجارة)

(٢٢٤)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجاً.

(من المتقارب)

١- (فديتك لا تحتقر خدمتي

فأنت تجل عن الإحتقارـ

٢- (ولا تعدلني على لثني

كسوتك من وشيك الاستعان)

٢- (فقد يفرس الرء عرساً، فيهاـ

سدي لة ذلك الغرس حلوا الثمان)

٤ (وكم قد أغاض على البحر غيم

وما الغيم إلا بخار البحر

(٢٣٥)

التخريج:

هما في تاريخ دمشق ٥١٠/١٢.

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(من مجزوء الكامل)

١. (ما أجهل الإنسان بالـ

سـدنيا، وأعجب أمره)

٢. (أضحى يشين قصـره

والسوت يهدم عمـره)

(٢٣٦)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الهزج)

١. (كن على التحقيق خـرا

واعـبدل سرا وجهـرا)

٢. (وانو خيرا، واجتنب، ما اسـ

طعت، أن تنوي شـرا)

٢. (من نوى للناس خيرا

عظمه بـالخير طرا)

(٢٣٧)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الخفيف)

١. (لا يقرنك الرمان بيسر

وسرور، ولا نزعك بغسـره)

٢. (إن مر الرمان يكشف عسر الـ

مرء في لحظة، ويمحق يسره

٢. (وسواء إذا انقضى في نسيم

يوم كسرى، ويوم صاحب كسره)

(٢٣٨)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من السريع)

١. (أما أبو نصر فتذل إذا

بلوت، أو فتشيت أخبـاره)

٢. (زاد على أسلافه في الدنى

سـتود من نهب، ومن غازه)

٢. (كذب الفارة إذ زاد في

تنجيسة البئر على الفارة)

(٢٣٩)

التخريج:

أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١. (أحب من الإخوان كل أخ بر

نصيح لمن أخاه في السر والجهـر)

٢. (يطاوعني في الخير، أنقاد نحوه

وينثني عناني إن جهجت إلى الشـر)

٢. (ويزعني ذمامي ما حييت، وإن أمت

رعى عهد ودي، منذ أزمته الدهـر)

٤. (فأقسم لسو بليت يميني بمثله

لقاسمته مالي، وشاطرته عـمري)

(٢٤٠)

التخريج:

هما من غير عزو في الأنيس في غرر التجنيس ٤٢٩.

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١ (أجرني من دهر أساء جواره

ولست ترى كالدهر سوء جوار)

٢ (فرسك جار منذ عرفتك، إنه

إذا جاز دهر، كان عونك لي جاري)

(٢٤١)

التخريج:

هما في يتيمة الدهر ٢٢٢/٤ والتمثيل والحاضرة ١٢٧ والمجموع الخطي (١٢٧٠٧/١٢ق).

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١ (إذا خيوان كان طعمة ضده

توقاه، كالقار الذي يتقي الهرا)

٢ (ولاشك أن المرة طعمة دهره

فما بالله، يا ويخ، أمن الدهرا)

(٢٤٢)

التخريج:

هي في التمثيل والحاضرة ١٦٢-١٦٣.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من السريع)

١ (لنا صديق خير أحواله

إنعانة للخير والشر)

٢ (ينجر في كل جريز، فلا

تراف، يوماً، غير متجن)

٢ (كأنه باب المضاف الذي

ليس يواتيه سسوى الجر)

(٢٤٣)

التخريج:

الأشطار في يتيمة الدهر ٢٢٢/٤.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الرجز)

١ (لذا من رشه رضاب الحور)

٢ (ومس من رضاع درة السور)

٢ (والب سارم الزلال للمخمور)

٤ (رشه الشفاء من فم الشكور)

(٢٤٤)

التخريج:

أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

ولم نجد لهما تخريجاً.

(من الخفيف)

١ (زورة فردة إذا ضعف المر...

ء، وطال الطريق، تعدل عشر)

٢ (فأصرفوا عتي اللام لضعفي

واعذروني إن صار وردي عشر)

(٢٤٥)

التخريج:

هي في التذكرة السعدية ٢٩٦/١-٢٩٧.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الهزج)

١ (إذا أحببت أن تحيا

منصون الجاه والقدر)

٢ (وان تأمن شر النا

س من مكر، ومن غير)

٢ (فلا تحرم على مال

ولا تطمح إلى صندر)

٤ (وأكثر قول: لا أدري

وإن كنت أمت امرء يدري)

(٢٤٦)

التخريج:

البيتان (٢٠١) فقط في يتيمة الدهر ٢٢٢/٤.

وقد أخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(من الطويل)

١ (أحرك بالتذكير قوماً، لعله

يفتح من أسماعهم شدة الوقر)







(٢٥٨)

التخريج:

أُخِلَ بهما الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لهما تخريجا.

(من الخفيف)

١- (قُلْ لِمَنْ جَاوَزَ الْكَارَمَ جَارًا

إِتَّقِ الْجَوْرَ، إِنَّ أَخَوَ الْجَوْرِ جَارًا)

٢- (وَأَنْفَ جَارًا يَكُونُ صَخْرًا، وَلَا تَبْ

صُرْ فِيهِ تَحَلًّا وَانْفَجَارًا)

(٢٥٩)

التخريج:

أُخِلَ بِهِ الْأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ تَخْرِيجًا.

(من الوافر)

١- (صَفَائِحُ لَوْجِهِ الْخَدَامُ فَاعْلَمْ

صَحَائِفُ غَيْرِ مُشْكَلَةِ السُّطُورِ)

(٣٦٠)

التخريج:

أُخِلَ بِهِمَا الْأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَعَجَزَ الْبَيْتُ الثَّانِي وَحَدَّ لَهُ فِي التَّمَثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ ٢٤٨٥.

(من الكامل)

١- (وَمُفَنِّدُ رَأْيِي، وَقَدْ أَنْشَدْتُهُ

قَوْلًا، رَأَيْتُ فِيهِ جِدًّا مُعْتَرِ)

٢- (فَمُنْحَتَةٌ مَتَى جَوَابًا مُنْفَجِمًا

سَخَفَ الزَّمَانَ، فَإِنْ سَخَفًا فَاعْتَرِ)

(٣٦١)

التخريج:

أُخِلَ بِهِمَا الْأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لَهُمَا تَخْرِيجًا.

(من الكامل)

١- (مَدَحُوا السُّكُوتَ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَنْ تَرَى

مَنْ ذَا الْوَرَى إِنْ قَالَ قَوْلًا أَهْجَرًا)

٢- (إِنَّ السُّكُوتَ هُوَ السُّقُوطُ، وَإِنْ يَكُنْ

حَسْبُ السَّلَامَةِ فِي ذِرَاةٍ أَوْفَرًا)

(٣٦٢)

التخريج:

أُخِلَ بِهَا الْأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ،  
وَلَمْ نَجِدْ لَهَا تَخْرِيجًا.

(من السريع)

١- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا، وَارْبِعُوا

فَكُلَّكُمْ بِسُوءِ الْجَهْلِ مَغْمُورًا)

٢- (يَلْتَقِطُ الْأَنْفَاسُ أَيْامَهُ

وَهُوَ بِسُوءِ جَذَلَانٍ مَسْرُورًا)

٢- (كَأَنَّمَا يَنْقُصُ مِنْ عُمْرِهِ

وَقَدْ زِيدَ فِيهِ، فَهُوَ مَغْمُورًا)

سِس (٣٦٣)

التخريج:

الْأَبْيَاتُ (٢-١) فَقَطَّ فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٥٨٥.

وَقَدْ أُخِلَ بِهَا الْأَصْلُ وَ (ج) وَالْمَطْبُوعُ.

(من المتقارب)

١- (عَلِيٌّ بِهَا لَا كِنَارَ الْخَلِيلِ

فَسِرْ ذَا الْمَدَامِ يَزِيدُ الْفَتُورَا)

٢- (وَلَكِنْ كِنَارُ الشَّبَابِ، الَّتِي

تَحْسِييُ النَّفُوسَ، وَتَحْسِي السُّرُورَا)

٢- (إِذَا شَرِبَ الرَّءْ مِنْهَا ثَلَاثًا

رَأَى النَّاسَ، مِنْ فَوْقِ خَدْيِهِ، نُورَا)

٤- (يَطُوفُ بِهَا شَادِنٌ لَا تَسْرَا

ذَا، كَالْغُورِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نُفُورَا)

٥- (يَقُولُ لَخَاتِلِهِ وَالْحَبِّ لَا

عِشَّةً حِينَ يَسْقِيهِ، مَقَالًا بُشُورَا)

٦ (لَنَا الْعَبْدُ، لَسْتُ لَهَا تَنْعَمَانِ

عَلِيٍّ جَحْسُودًا، كَنُودًا، كَفُورَا)

٧- (إِنْ سَمْتَمَانِي سَقِيَا عَدَلَتْ

وَإِنْ سَمْتَمَانِي فَجَسُورًا، فَجَسُورَا)



٢ ( فلا من وعدد مطبل ولا في ورده عسـ )  
٢- ( تلقائي فحيتاني بوجه قشره بشر )  
( ٢٦٩ )

٢ ( يرى القذى من ذنوبي ولا يـ )  
ولا يـ ( يرى جزل عذري )

( ٢٧٢ )

التخريج:

هي في يتيمة الدهر ٢٢٨/٤.

وقد اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من البسيط)

١- (إذا اتخنت أخا فاسر خلاقة

فإن ذا الحزم والتدبير من سيرا)

٢- (ولا تعول على شخص له غم

وصورة ذات حسن تبهز الصورا)

٢- (فكم فتى راق منه منظر حسن

فكان بـ ..... احلته ضللا لما ظهرا)

٤ (اعدته لصروف الدهر منخرا

فكان في السبك والتمحيص منخرا)

( ٢٧٢ )

التخريج:

اخل بها الاصل و (ج) والمطبوع.

ولم نجد لها تخريجا.

(من الوافر)

١ (فديتك من تصاريض الأمور

ولا أخالك ربي من سـ سـ سـ رور)

٢- (كتبت، وقد سغلت بأنس قوم

هم صبح العلى، تلخ الصدور)

٢- (ونحن ندير كأسا من علوم

رفيع القدر من كل الخمور)

٤- (وننظم بالفرائد كل عقد

يجل عن العقود على النحور)

٥- (فرايك في الوقوف على كتابي

ونظم فريد أنسي بسـ الحضور)

التخريج:  
اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لها تخريجا.

(من الكامل)

١ (يا من إذا أجنى سوا علقما

يبسيانه، أجنى المسامع سكر)

٢ (قد طال صبحي من لسانك سيدي

فأنز علي الوصل حستى أسكر)

( ٢٧٠ )

التخريج:

اخل بها الاصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١ (أتاني كتاب منك ظاهرة عذر

وبـ احلته أنى تأملتة بسـ)

٢- (كتاب لو أن السحر يغني غناء

ويبقى كما يبقى، لقلت: هو السحر)

٢- (فقرت به عيني، وبنت به يدي

وغازلة قسلي، وعانقه الصدر)

٤ (وخز لما تبداه شكري ساجدا

ومثل الذي أوليت يعبد هذه الشكر)

( ٢٧١ )

التخريج:

اخل بهما الاصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من المجت)

١ (لي صاحب ليس يدري

ما قنر غسيري، وقدري)

(٢٧٢)

التخريج :

هي في يتيمة النهر ٢١٩/٤ وزهر الآداب ١٣٦ .  
والبيتان (٢١) وحلما، من غير عزو، في تحفة الوزراء ٢٥ .  
وقد أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من الخفيف)

١ (جمع الله في الأمير أبي نص

ســـــــــــــــــر خصالاً، تعلق بها الأقدار)

٢ (راحة نبرة، وصندراً فضاء

وذكاة تـــــــــــــــــدو له الأســـــــــــــــــراز)

٢ (خطه روضة، والفاضة الأز

هاز يضحـــــــــــــــــكن، والمعاني ثمار)

(٢٧٥)

التخريج :

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لهما تخريجا.

(من البسيط)

١- (لاتدخر ممكنا من شكر عارفة

لعــــــــــــــــوز، فتضاهــــــــــــــــي فعمل من كثر)

٢- (واشكر، وإن كنت مهبور القوى، خصيرا

فالأرض، وهي جماد، تشـــــــــــــــــكر المطرا)

(٢٧٦)

التخريج :

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لها تخريجا.

(من البسيط)

١- (يا لهف نفسي على عمر مضى هنرا

لم أقــــــــــــــــض منه، ومن لثاته وطرا)

٢- (إذا تذكرت من قيامه ذرا

ســــــــــــــــاحت دموعي على أمرائها ذرا)

٢- (وما عجزت، ولكن صندني قلنر

حستم على حكمه أن يعجز القليرا)

(٢٧٧)

التخريج :

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لهما تخريجا:

(من المنسرح)

١- (ما حيلتي، والرمان منقرذ

دونني بفســـــــــــــــــخ الذي أدبره)

٢- (فدابة حك ما أقدمه

نغم، وتقــــــــــــــــسس ديم ما أخزذ)

(٢٧٨)

التخريج :

أخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لهما تخريجا.

(من السريع)

١- (رب فتى في الشجد من غفلة

أصبــــــــــــــــح من دنياه في غور)

٢- (من ها هنا جاز جميع الوري

وقال من قد قال بالجور)

(٢٧٩)

التخريج :

أخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،  
ولم نجد لها تخريجا.

(من الطويل)

١- (أرى الظلم إما أن يكون بقوة

وبــــــــــــــــطش، وإما بـــــــــــــــــالمكيدة والمكر)

٢- (وأدهى بها ظلم المكائد، لأنه

يفوق سهم الظلم من حــــــــــــــــسســــــــــــــــيت لا تدري)

٢- (فكن خذراً من كل خبيث مكائد

يكيدك في ســــــــــــــــر، ويلقــــــــــــــــسك بالبشــــــــــــــــر)

(٢٨٠)

التخريج :

هي له في اللز الفريد ٢٤٧/٢ .

وقد اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع.

(من السريع)

١- (التاسن كالتبت، فمن شاكر

لأول القطر من السير)

٢- (نعم، ومنهم جند جاحد

ناسر لحق النعم الدثر)

٣- (إن عام في الأنعام إحسانه

فهو على الشط من الشكر)

٤- (فاستبر احوالهم قبل أن

تودعهم شيتا من البذر)

(٢٨١)

التخريج:

اخل بها الأصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لها تخريجا.

(من السريع)

١- (رايت مضرا با على الشور

كأنة موسسى على الطور)

٢ (فقلت كالباحث عن حاله

والأمر عتي غير منسستور)

٣- (فقال، والبائن في قوله

مجتنب للأفسك والروور)

٤- (اطلب إسرائيل في أرضكم

لعلة ينفع في السصور)

(٢٨٢)

التخريج:

اخل بهما الاصل و (ج) والمطبوع،

ولم نجد لهما تخريجا.

(من المتقارب)

١- (واني فقير الى سيند

بهش الى الكرم الدائر)

٢- (إذا ما عثرت بذب اقال

وقال: لعا لك من عاثر)

(٢٨٣)

التخريج:

هما له في الإيجاز والإعجاز ٩٤ وخاص الخاص ١٤٩.

وقد اخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من مخلع البسيط)

١- (إذا ازدرى ساقط كريما

فلا يطولن ضيق صدره)

٢- (فاكثر الناس منذ كانوا

مسا قدروا الله حق قدره)

(٢٨٤)

التخريج:

هما له في يتمية الذهر ٢٢٢/٤ والتذكرة السعدية ٤١١/١ والجموع

الخطي (١٣٢٠٧-قأب)

(من الكامل)

١- (ذكر أخاك إذا تناسى واجبا

أو عن في آرائه تقصير)

٢- (والرأي يصدأ كالخسام لعارض

يطرا عليه، وصق له التذكير)

(٢٨٥)

التخريج:

هما له في يتمية الذهر ٢٢٢/٤.

واخل بهما الأصل و (ج) والمطبوع.

(من المتقارب)

١- (إذا خذل المرء من نفسه

فليس له من سسوا نصير)

٢- (وشر سلاح يحامي به

لسان طويل، وباع قصير)

(قافية الزاي)

(٢٨٦)

التخريج:

هي في (ج) و (ع) والمطبوع ٤٠.

(من البسيط)

٢- قبلها سكباجة صفـ

١- خل الأنام وما قالوا، وما لمزوا

لا يهمزتك ما غالوا، وما همزوا

٤- وشـراب، من رآه

٢- فالتاس كلهم اعداء ما جهلوا

وليس من طعنهم للمرء محـترز

راء، خدن الذوق مسـرّه

أخذتـه منـه هـرّه

٢- إنا عجزت، فلم تسعد بثروتهم

(٢٨٩)

فانظر، تجنهم، عن العلياء قد عجزوا

التخريج:

٤- من كان من عقله في ثروة وغنى

هما له في بتيمة الدهر ٢٤٧/٤ .

فليس يزري بـه، في ماله، الغور

وقد أخل بهما الأصل و(ج) والمطبوع.

(٢٨٧).

(من الوافر)

التخريج:

١- (أبو روح أدام الله عـرّه

هما في (ج) و(ع) والمطبوع ٤٠ وزهر الأدب ٢٢٤.

الد، إذا انبرى للخصم عـرّه

(من الطويل)

٢- وذلك لأنه هجر الملاهي

١- لن عجزت عن شكر برك قوتي

فصار كـسيرا، والعلم عـرّه

(٢٩٠)

فأقوى الوري عن شكر برك عاجز

التخريج:

٢- فإن ثنائي واعتقادي وطاعتي

هي له في مخطوطة روح الزوج (ق ١٩٦)،

لأفلاك ما أوليتني به مراكرز

وأخل بها الأصل و(ج) والمطبوع.

(٢٨٨)

التخريج:

(من المجتث)

١- (يا قوم إنني مرزا

هي في (ج) و(ع) والمطبوع ٤١٤٠ .

وكـسل خـر مرزا)

(من مجزوء الرمل)

٢- (خرجي كثير، ودخلي

١- نحن في الشبهة والمـتـ

نـر، فـسـلـم لا أعـرـي

عـة بالشبهة تـهـرـه

٢- (فالخرج لا يتناهي

٢- ولـديـنا رـرـة بـيـ

والدخـسل لا يتجـرـي

ضـاء من تحت إورـه

## الموا مش

والكثر، جـمار النخل.

(٢٦٥)

(٢٦٦)

تنظر بشاته جريدة المصائر.

١- في (ع) : "الناس مرتبة".

٢- في (ع) : "فقل لمن باع بالنعمان سيرته".

١- في المخطوط (١٣٧٢٩) ، "شوها إليك تحطاز".

٢- في (ج) والمطبوع: "وابتناع كاسده". وفي (ع) : "ضلت، بعث بخوم".



٢- في المخطوط أعلاه: "طرف العلوم".

٢- في من غاب عنه الطرب: "فانعم علينا بالهدى.. ساعات إلهام السرور".

(٢١٧)

١- في (ع): "لما لونيته نكرا".

(٢١٩)

١- في (ع): "وجهه بهاز".

(٢٢١)

٢- في (ج): "فلا تعذله".

(٢٢٢)

١- في اليتيمة ومعاهد التنصيص: "تسيل سيلاً". وفي (ج): "ودموعي يصلين وهما".

(٢٢٤)

٢- في (ج) والمطبوع: "فالعديل ينفيه". وقد ورد هذا البيت في (ع) كذا:

فالمك يبقى مع الكفر البهيم، ولا

يبقى على الجور من بلد ومن حضر

(٢٢٤)

١- في (ع): "لئن أبعد الدهر"، ونراها الزواية الأصوب.

٢- في (ع): "يا أعطر الناس ذكرا".

(٢٢٦)

٢- في (ع): "جري في حيث روح الزوج يجري".

٣- في (ع): "نشأت بطول".

(٢٢٧)

٢- في (ع): "غار السدى والندى".

٢- في (ج) والمطبوع: "مالم يحوه عاقل". وفي الأصل و(ج): "عقل بلا نحر".

وفي المطبوع: "أضيق من عقد".

(٢٢٨)

٢- في (ع): "سني وميعتي... شاب سني مع الشعر".

(٢٢٩)

٤- في (ع): "وأي جرم جنيت حتى مكرزة كما في البيت السابق".

(٢٨٠)

١- في (ع): "دعوني وراي... بصير بما أفري والقطع".

٢- في يتيمة الدهر والنتخلم: "إذا مر بي يوم". وفي التمثيل والحاضرة:

إذا مر بي يوم ولم اتخذ يداً. وفي اليتيمة والتمثيل: "ولم استفد علماً".

(٢٨١)

١- في المطبوع: "أبا النفس إن ناصحت".

(٢٨٢)

١- في (ع): "أنفس شي... من القنق العلم".

(٢٨٢)

\* ما بين القوسين كلمة بذينة حفظناها.

١- في الفتح الوهبي واليتيمة: "تلعن بدل تشتم".

٢- في (ع) واليتيمة: "إله الناس".

(٢٨٤)

١- في المطبوع: "إذا وليت فأمر".

(٢٨٥)

٢- في (ج): "حين يقطر بالقطر".

(٢٨٦)

١- في الأصل: "من غيه".

٢- في (ج): "عدلتك إن أضلت".

(٢٨٧)

٢- في (ع): "مهما وجدت".

(٢٨٨)

١- في (ع): "قد تبدى ضاحكا".

٢- في (ع): "فاستوضح الزشد".

٢- في (ع): "أضاء فإنها".

(٢٨٩)

١- في (ع): "ليونسها الدهر".

٢- في (ع): "فأحسن قراها".

٢- في الأصل: "أنسها السكر". وفي (ع): "أنسها الدهر".

(٢٩١)

\* ما بين الغضادتين منا. وقد ورد في الأصل و(ج) والمطبوع أن هذين

البيتين لأبي الفتح، سهواً. وابن أبي البغلة هو أبو الحسين أحمد (محمد) بن

يحيى بن أبي البغلة. استدعى من أصفهان، وكان يلي الوزارة في أيام المقتدر،

وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً من أهل المروءات، وكان شاعراً منجوداً مطبوعاً،

وله ديوان رسائل، وشعره في خمسين ورقة (الفهرست ٢٠٢، ٢١٤).

١- في (ع): "الأمر عن عالم".

٢- في (ع): "فلك دائر".

(٢٩٢)

٢- في (ج) والمطبوع: "وصانه من وصمة".

٣- في (ع): "لصير الأمر".

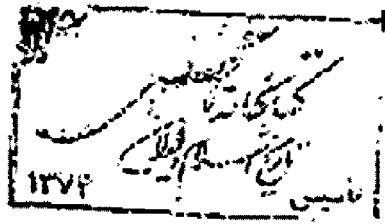
(٢٩٢)

١- في (ع) والمطبوع: "طينب الغرف".

٢- في (ع): "جووه يروي الرجا".

٤- أحمد بن محمد: هو الوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن أبي زيد، وقد

مررت ترجمته.



(٢٩٤)

(الأعلام ٤/١٣٥). وثانيهما : علي بن عبد العزيز بن إبراهيم، أبو الحسن الذي كان يكتب للطائع العباسي، ثم للقادر من بعده، والذي لقب برئيس الرؤساء، والتوفي سنة ٢٢٢هـ (الأعلام ٥/١١٤). وهذا الأخير هو الذي نرجحه للمقصود بآبن حاجب النعمان هنا، لأنه مشهور بكونه شاعراً. وقد ورد في (ج) والمطبوع ٢٧ أن القطعة لحاجب النعمان .

٢. ثمة هامش على الأصل يعلق على "مقلوب القمر" يقول: "يعني رمتي".

(٢٠٩)

١. في اليتيمة: "وضع بالبرقي ملكا كان".

وثمة بيت في حماسة الظرفاء يتوسط البيتين، ونراه دخيلاً على القطعة، وهو:

لا زال قابلك للزوار منشورا وصلى قاليك بالمنشار منشورا

٢. في اليتيمة: "أنت الأمير". وفي (ع): "والملك بعدك".

(٢١٠)

١. في (ع): "لشيبي عن حلي". وفي معاهد التنصيص: "شيبي عن حلي".

٢. في معاهد التنصيص: "ولي طبع كسلسال العجاري".

(٢١١)

١. في (ع): "سمع خلقه". وفي اليتيمة والمتشابه: "سمع وجهه". وفي الأصل:

"يكثر". وفي (ع): "تكثر في القدر". وفي اليتيمة والمتشابه: "أبدع في القبح

أبازيره". والأبازير: الزينات في القول.

٢. في (ج) والمطبوع: "طلبت صوتاً". وفي (ع): "قد رام صوتاً، فأبى خلقه".

. وفي اليتيمة والمتشابه: "رام غناء فأبى صوته".

(٢١٢)

٢. في (ع) والتمثيل والحاضرة وتحسين القبيح: فإنها محنة مبررة". وفي

المتشابه: المحنة المبررة".

(٢١٤)

١. في (ع): "في وصف فضلك محنبا".

٢. في (ع): "لعلرت فيه..... ووقعت عنه معنرا".

(٢١٥)

١. في (ج): "عندك مسجورا".

٢. في (ج): "مكمد القلب مزجورا".

٤. في (ع): "وهل كان جرمي حجراً في البرية".

٥. في (ع) تحاميت محجورا".

١. في (ع): "سألزم رسمي في التبيذ".

٧. في (ع): "واسلو سلوا".

(٢١٦)

٢. في (ج) والمطبوع: "لاتنوي موأصلتي".

\* هذا البيت ساقط من (ج)، ومضاف في حاشية بخط آخر.

١. في الأصل و(ع): "يحيط".

٢. في (ع): "فإن ذا من أنكر".

(٢٩٥)

٢. في (ع): "وارث السفيه". وفي معاهد التنصيص: "إن السفيه... ونهاه بالاضرار".

(٢٩٧)

٢. في (ج) والمطبوع: "طلب الشكر".

٥. في (ع): "وبارت عناق".

(٣٠٠)

١. في (ع): "وما كنت انري".

٢. في (ع): "فما لي لا أخشى، ولا اتصنر".

٣. في (ع) والمطبوع: "إذا حدثت". وفي (ع): "فأنت يفي غيري، ولا يتغير".

(٣٠١)

٢. في (ج) والمطبوع: "بدر".

٤. في (ع): "فيه حسن... وفي الملاحسة للنفس". وفي (ج) والمطبوع: "وفي ملاحته للنفس".

(٣٠٢)

١. في روضات الجنات: "يا مغرماً بومسال عيش ناعم... ستصد عنه طائعا".

٢. في روضات الجنات: "الحوادث تزجج الأساد عن... ساحاتها، والظير".

(٣٠٣)

٢. في الأصل و(ج) والمطبوع: "مبتسماً". وفي (ع) ويتيمة النهر وزهر

الآداب ومعاهد التنصيص: "يشبه النمر".

٣. في (ع) واليتيمة وزهر الآداب ومعاهد التنصيص: "من لآله".

(٣٠٥)

١. في الأصل: "خيراً قفار". وفي (ع): "الخبز القفارا". والقفار (بالفتح)

الطعام الذي لا آدم فيه ولا دنس. (العين/قفر).

٢. في الأصل و(ج) والمطبوع: "لولي اليوم".

٤. في (ج) والمطبوع: "دار امرئ لا".

(٣٠٦)

١. في (ع): "لم تلونت الأمور".

٤. في الأصل و(ج): "قافى وقاؤك". وفي المطبوع: "فأنت وقاؤك". وفي (ع):

من ريب دهر".

٥. في (ع): "بصوت باكرك".

(٣٠٧)

\* هناك أدبيان بغداديان عرفا بهذا اللقب، وعاشا في زمن أبي الفتح. أولهما:

عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود، أبو الحسين، التوفي سنة ٢٦٥هـ

(٢١٧)

٢ في المطبوع: "تضمنته في الجو".

(٢١٨)

١ في (ع) واليتيمة ومعاهد التنصيص: "الطبع لا ونى".

٢ في المعاهد: "تجري مدى العليا". وفي الكشكول: "تحوى مدى العليا".

(٢٢٠)

١ في (ع): "لقاء أكثر من زاروك". وفي المنتظم: "أكثر من تلقاد".

٢ في (ع): "وفعلهم مائهم". وفي اليتيمة: "ووصلهم مائهم للمرأة".

(٢٢١)

١ في المنتظم: "فد ضالني.... فقيرنته".

(٢٢٢)

١ في اليتيمة: "ولا لصالح أنسي".

٢ في اليتيمة: "مدى الأيام ذكركم".

(٢٢٥)

٤ في اليتيمة: "كما تكشف الشمس جرم".

(٢٢٩)

٢ في مخلوطة روح الروح: "فأما زرتهم... فز غبا تجد".

(٢٣٠)

٤- الكر: الانقباض.

(٢٤١)

٢ في اليتيمة والتمثيل والحاضرة: "بأمن النهر".

(٢٤٢)

٢ في التمثيل والحاضرة: "ينجز في كل جبر".

(٢٤٥)

٢ في التذكرة السعدية: "وأن تسلم بين الناس... من غمر، ومن مكر".

٢ في التذكرة السعدية: "فلا تحرم على وفر... ولا تطلع".

(٢٤٨)

٢ في اليتيمة وزهر الآداب: "لا تفزعن... ما كل تدبير الروح". وفي التمثيل

والحاضرة: "ولا تفزعن تربيع الروح".

(٢٥١)

٢ لعله: أبو الفضل البيهقي، نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان

مسعود الخزنوي، وهو الذي توسط لأبي الفتح عند رئيسه أبي نصر بن

مشكان (كما ذكر ذلك في تاريخه).

(٢٥٢)

١ في اليتيمة ومعاهد التنصيص: "الظلي وشعري".

(٢٥٢)

٢ أسار: أبى. وسورة الشىء: بقية منه.

٥- كذا ورد عجز البيت في (ع) التي انفردت بالقطعة. ولم أعتد ال صوابه.

(٢٥٦)

٢- المنور: النخل الصفار.

(٢٦٢)

٢- كذا ورد عجز البيت في (ع) التي انفردت بالقسطعة. ولم أعتد ال

صوابه.

(٢٦٣)

٢ في اليتيمة: "له عمم... تبهر القمر".

٢ في اليتيمة: "منه فظاهر حسن.. وكان باطلته ضد الذي ظهر".

٤ في اليتيمة: "في السبك والتحقيق".

(٢٦٤)

١ في اليتيمة وزهر الآداب أنه قال هذه الأبيات في أبي نصر أحمد ابن علي

الميكالي.

وانظر بشأنه: يتيمة النهر ٢٠٥/٢.

٢ في اليتيمة: "راحة ثرة".

(٢٧٥)

٢- مهبور القوى: منقطتها.

(٢٨٠)

٢ في النثر الفريد: "حجر جاحد".

٢ في النثر الفريد: "بمعام أخوانه".

٤ في النثر الفريد: "فاستبر أحوالهم قبل".

(٢٨٤)

٢ في اليتيمة: "فالزلي".

(٢٨٦)

١ في (ع): "ما قالوا، وما همزوا... لا يلزم منك ما غالوا".

٢ في الأصل: "للمرء محتوز".

٢ في (ع): "فلم تظفر بشروتهم... فانظر إليهم".

٤ في الأصل و(ج) والمطبوع: "من كان في ثروة من غفلة وغنى".

(٢٨٧)

١ في زهر الآداب: "والقوى الورى". وفي المطبوع: "عجز".

٢ في الأصل و(ج) والمطبوع: "فإن ثيابي". وفي زهر الآداب: "وطاقتي.. ما

أوليتنيها".

(٢٨٨)

٢ في الأصل و(ج) والمطبوع: "حزن الذوق".

(٢٨٩)

١ أبو روح: هو ظفر بن عبد الله الهروي. (اليتيمة ٢٤٧/٤).

# عبد الرزاق الحسيني، شبة المؤرخين العراقيين

١٩٠٣م - ١٩٩٧م

فؤاد يوسف قزاني

كلية المنصور الجامعة

نشر الحسيني إضافة الى مكتبته العديدة، كثيراً من المقالات ((البلدانية والتاريخية والادبية)) في معظم المجلات العراقية، وكذلك في مجلات عربية مرموقة كالهلال، والعصور، والكتاب المصرية، والعرفان، والعروبة، والحديث السورية، إضافة الى ما كان ينشره في جريدة الاهرام التي اصبح منذ عام ١٩٢٩ مراسلاً لها في بغداد.

كانت له مراسلات تاريخية وسياسية مع كل من ملك اليمن الامام يحيى، والملك فاروق ملك مصر والملك عبد الله ملك الأردن ومع امير البحرين، ومع الملك سعود بن عبد العزيز وعمه الامير عبد الله وغيرهم وهي حصيلة تاريخية مهمة، ولعل نشرها سيلاتي ضوءاً على هذه الشخصيات السياسية العربية التي برزت في منتصف القرن العشرين. كما راسل الحسيني مجموعة كبيرة من الكتاب العرب المعروفين آنذاك، إضافة الى ذلك تراسل مع نخبة من المستشرقين والمؤرخين المشهورين في العالم أمثال جاك بيرك وهاملتون كيب، وريتر، وكركو، ودنلوب، ولويس ماسينيون، ومن الروس كراتشكوفسكي، وغفوفوف، وكوتكوف وغيرهم<sup>(٢)</sup> ولا زالت هذه الرسائل المتبادلة بينه وبين تلك الشخصيات العلمية والثقافية تشكل جانباً مضيئاً من نشاط الحسيني العلمي والتاريخي.

كان الحسيني قليل الاهتمام بمباحث الحياة متواضعا صبوراً كرس حياته ووقته للاهتمام بالبحث والتقصي والتأليف في حقل التاريخ، وبعد ان أحال نفسه على التقاعد عام ١٩٦٤م، نشط في حقل التأليف نشاطاً لامعاً.

كان الحسيني يبدأ صباحه بالاستماع الى نشرات الاخبار في الساعة السادسة ثم ينصرف الى المطالعة حتى الثامنة، بعد الضلوع،

ولد السيد عبد الرزاق الحسيني، رائد الجيل الاول من المؤرخين العراقيين في مدينة بغداد عام ١٩٠٣م، ونشأ وترعرع في بيت محب للعلم والعرفان. كان والده عطاراً معروفاً ولذلك سمي اهله بالـ عطار. وعرف عن الحسيني رزاقته وحليبهته ودمائه اخلاقه وتفاؤله، وأهم من كل ذلك اعتداده برأيه، ورغبته الشديدة في المطالعة في كتب التاريخ واهتمامه بمتابعة الوثائق التاريخية. تخرج في دار المعلمين في عام ١٩٢٢م. وبعد تخرجه بدأ ينشر مقالات بلدانية وتاريخية تحت اسم عبد الرزاق البغدادي اعتزازاً بمنشأه. عمل في بداية حياته العلمية مديراً لإدارة جريدة (المفيد) ومراسلاً لها في المدن العراقية. بعد إغلاق جريدة (المفيد)، أصدر جريدة أدبية، تاريخية، اسبوعية باسم (الفضيلة) وقد ظهر عندها الأول في الأول من أيلول عام ١٩٢٥م، ثم صارت تصدر باطراد أكثر من عامين ((وهي مدة قلما عاشتها جريدة أدبية في هاتيك الأيام)) وبعد وفاة والده انتقل الى مدينة الحلة، بعد ان ابتاع بما يملك مطبعة صغيرة، وأصدر هناك جريدة ثانية بعنوان (الفيحاء) في (٢٧) كانون الثاني ١٩٢٧م، ولم يمض عليها وقت طويل حتى سحب امتيازها وصودرت المطبعة. وبعد التجائه الى الفريق جعفر العسكري سعى الى إعادة المطبعة اليه، وأوصى بستعيينه في وظيفة عامة. فعين بوظيفة محاسب في وزارة المالية. وتنقل في وظائف مالية في الحلة، وديالى، وبغداد. وبعد ثورة ١٩٤١م على السيطرة البريطانية، فصل الحسيني من الخدمة خمس سنوات، ثم أعيد الى الوظيفة. في عام ١٩٤٩ نقل الى وظيفة في ديوان مجلس الوزراء، وكان موقعا مناسبا له لكونه محباً للتاريخ والوثائق كما انه أصبح قريباً من الاحداث الجسام.

يباشر كتابة ملاحظاته وهو يقرأ الكتاب المرشح لاعادة الطبع أو يضيف عبارات جديدة من وثيقة عثر عليها على مؤلف له يريد نشره. وبعد استراحة الظهيرة، يعود الى مكتبته العامرة بالكتب التاريخية، والوثائق عن ازمان مختلفة من تاريخ العراق المعاصر. تبليغ أكثر من عشرين الف عنوان عدا الوثائق وفيها يستأنف الكتابة أو القراءة، حتى إذا ما حلت الساعة الثامنة مساءً فضل الذهاب مبكراً الى فراشه وهو يستمع الى آخر نشرة من الاخبار بواسطة (مذياع) صغير يحمله معه. كان الحسني نادراً ما يشاهد ما يعرضه التلفاز من برامج، ولم يذهب في حياته الى السينما إلا ثلاث مرات ليشاهد أفلاماً تاريخية.

وقلما يذهب مع عائلته لزيارة الاقرباء، ما عدا بعض المناسبات الكبيرة. وفيما عدا رحلاته التي أجرى معظمها في الستينيات والسبعينيات موفداً الى بعض المؤتمرات الدولية في التاريخ والتراث، فإن سفراته الى لبنان كثيرة وخاصة مدينة صيدا التي تم فيها طبع معظم كتبه وذلك في مطبعة العرفان.

كان يحب البقاء معتكفاً في غرفته أو في مكتبته أو جالساً على الأريكة البسيطة الموجودة في ممر (طارمة) قرب باب حديقة الدار. كان لا يضجر من الكتابة والمطالعة صباح مساءً وحياته في غالب الأحيان تسير في رتابة اعتاد عليها أهله، وهو راض بها. ولكن المتعة لديه كانت تتحقق عندما يزوره الاصدقاء وهم كثر أو مريدوه من الباحثين وطلبة الدراسات العليا في التاريخ فيستقبلهم ببساطة وتواضع ويمدهم بالمعلومات والملاحظات ولا يضجر من تساؤلاتهم الكثيرة ولا من إلحاحهم.

أصيب الحسني في حادثة دعس عام ١٩٧٨م عندما كان يعبر الشارع من أمام وزارة الثقافة والاعلام في الباب الشرقي الأمر الذي أدى الى كسر خطير في ساقه، وتمت معالجته خارج العراق على نفقة الدولة، وصار يسير معتمداً على عكازة، وبعد بضع سنوات أي في عام ١٩٨٤م أصيب بشلل نصفي وأجريت له عملية، لكنها كانت بدون جدوى.

منحته جامعة بغداد شهادة الدكتوراه الفخرية في التاريخ الحديث كما حصل على وسام اتحاد المؤرخين العرب لكونه مؤرخاً متميزاً.

وأخذ الحسني يفضل تدريجياً البقاء في الدار لكنه ظل شديد الاهتمام بالباحثين الشباب وتروي ابنته في هذا الصدد: ((أنه قبل

يوم من وفاته اتصلت به هاتفياً إحدى الباحثات من طلبة الدكتوراه، فاعتذر أهله، لأن صحته كانت متردية ولما سمع الحسني أن الباحثة قادمة من مدينة البصرة لهذا الغرض. وافق على استقبالها. وظلت تحاوره مدة طويلة. شعر بعدها بالاعياء وفي اليوم التالي أسلم روحه الى الباري تعالى " وكان ذلك مساء يوم الأربعاء الموافق للرابع والعشرين من شهر كانون الأول عام ١٩٩٧. وهكذا انقضت حياة مؤرخ رائد كانت حافلة بالأعمال التاريخية المتميزة ثمرت ما يزيد عن خمسة وعشرين كتاباً وعشرات المقالات فضلاً عن خبرته ومشورته التي قدمها الى الجيل الجديد من المؤرخين الشباب الذين هم الآن اساتذة ومتخصصون مرموقون.

### أسلوبه في كتابة التاريخ والتأليف

بدأ ميل الحسني في التأليف بوقت مبكر، وهو لا يزال فتى يافعاً لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره معتمداً على إجادته للغة العربية إجادة تامة ورغبته في متابعة أحداث عصره بحس مدرك لأهمية ما يقع ويمكن القول إن فهمه للتاريخ وأسلوب معالجته للأحداث التاريخية مر بثلاث مراحل المرحلة الأولى تمتد منذ بداية العشرينيات حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م وهذه المرحلة تعد بالنسبة للحسني مرحلة التكوين والبدائية لأسلوب الحسني في كتابة تاريخ العراق المعاصر. وتميزت هذه المرحلة بالكتابات المتنوعة التي كان فيها الحسني يجرب حظه في الأدب والسياسة والتاريخ والعقائد وغيرها، واستمر يكتب ويتابع المصادر الأولية من الكتب التي تصدر في المكتبات الخاصة لدى صدقائه وعند بعض المسؤولين السياسيين.

عندما أصبح مراسلاً متجولاً لجريدة (المفيد) البغدادية سئحت له الفرصة في أن يزور معظم المدن واكتشافها ومعرفتها تقاليدها وعاداتها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب وهناك فتنته عقائد اليزيدية وطقوسهم فقد التقى بشيوخهم في الشيوخان وسنجار شمالاً كما جلب انتباهه الصابنة ومعتقداتهم، فحل في وسطهم في العمارة يستمع اليهم ويحاورهم ويقنعهم بأسلوبه المتواضع الرصين بأهمية أن يمدوه بأسرارهم وآرائهم ومعتقداتهم

وبعد كتابه الأول الذي يمثل تجربة بسيطة في الكتابة جرب كتابة رواية أدبية تناولت ثورة العرب على السيلطنة العثمانية، كشف فيها مظالم جمال باشا السقاح وشنقه المجاهدين العرب سماها

(تحت ظل المشانق) نستدل من خلالها على بداية وعي قومي لدى الحسني وامتداد نظرته التاريخية عربياً، أما كتابه الثالث فكان خلاصة لرحلاته التي زار فيها كثيراً من المدن العراقية. أما كتابه الرابع فإنه تجربة لا تستحق الذكر في الأغاني الشعبية. ثم جرب الكتابة عن الخوارج والشيعة، خلال السنة التالية ١٩٢٦م أصدر كتابين في آن واحد وسنجد أن ملاحظاته التي سجلها عن الصابئة ومحاوراته ومشاهداته عن طقوس البيزيدية قد اثمرت كتاباً صغيراً عن البيزيدية سماه (عبدة الشيطان في العراق) وهو عنوان مثير غير دقيق بل تسمية غير صحيحة للبيزيدية لذلك نجد الحسني حينما يعود إلى الدراسات الأخرى وخصوصاً الدراسات المترجمة التي بحثت عن البيزيدية، نجلده بعيد النظر في كتبه. أما كتابه الثاني عن الصابئة فكان مثيراً أيضاً، فكلا الكتابين، أحدث ضجة في الأوساط العراقية، حيث بدا أنه تعجل في أحكامه وأن أسلوبه في البحث لم يكن دقيقاً إذ كانت تعوزه النظرة الشاملة واعتراض أصحاب تلك العقيدتين على كتابيه، إلى درجة أن الصابئة مثلاً تقدموا بدعوى قضائية ضد الحسني لأنه في اعتقادهم أتى بآراء مخالفة لشريعتهم. وصعد الحسني بضعة شهور لأنه معروف بصلابته واعتداده برأيه، ولكن خشيته المحاكم جعلته يقدم لهم اعتذاراً علنياً وانتهت الضجة بسلام.<sup>(١)</sup>

واستمر الحسني يؤلف فأنجز موجزاً (لتاريخ البلدان العراقية) والجزء الأول من تاريخ الوزارات العراقية عام ١٩٢٢، وكان هذا الكتاب بداية اهتمامه بتكوين الدولة العراقية، ومعرفة ما يدور في الكواليس السياسية من خلال علاقاته الحميمة بكثير من الوزراء وعدد من رؤساء الوزراء أمثال الفريق طه الهاشمي والفريق بكر صدقي ونوري السعيد وغيرهم.

إن مرحلة النضوج في الرؤية التاريخية واهتمامه بالاطلاع على المؤلفات التاريخية المترجمة والمؤلفة آنذاك، جعلته يدرك تفسير كثير من الحقائق الجديدة في مسيرة التاريخ. وهكذا يدخل أسلوب الحسني مرحلة النضوج التاريخي بعد الحرب العالمية الثانية، تلك المرحلة التي امتازت بنوع من الاستقرار السياسي، جعلت العالم يهدأ والأوضاع المحلية أكثر ثباتاً، فبان مزيد من الحقائق عن تدخلات وتأثير الانكليز في مجريات السياسة العراقية، لاسيما أن الحسني قضى شطراً من الحرب العالمية معقلاً بعد ثورة ١٩٢١م التي قام بها الضباط الأحرار على السيطرة البريطانية، إذ تم

اعتقاله مع مجموعة من الكتاب والساسة الوطنيين والقوميين في معتقلات خاصة ((نزولاً عند رغبة الانكليز)) كما يقول الحسني ويستمر قائلاً: ((وفد أسعدنا الحظ فاستعنا بالساسة والشخصيات الوطنية التي ضمها معتقل الفاو ومعتقل العمارة، في ملاحظة فصول كتابنا...)) الذي شرع بجمع الحقائق والوثائق عنه وهو في المعتقل، وبدأ بتأليفه بين عام ١٩٢٥ - ١٩٢٧م، أظهر فيه الحسني فهماً لتاريخ العراق المعاصر في كتابه (تاريخ العراق السياسي الحديث).

ونال الكتاب جائزة المجمع العلمي العراقي بعد صدوره مباشرة في عام ١٩٢٨. وبعد حصوله على الجائزة، بدلت شهرة الحسني تتسع في العراق وبعض الاقطار العربية وخاصة في لبنان حيث كان معروفاً لدى مثقفيها، إذ أنه حتى الآن أنتج عشرة كتب معظمها طبعت في مطبعة العرفان بصيدا، وأمست كتاباته منذ ذلك الحين مرجعاً مهماً لتاريخ العراق المعاصر، وبرز رائداً للجيل الأول بعد الاستقلال من المؤرخين العراقيين.

حانت اللحظة التي كان يتمناها الحسني، بأن يعيش في خضم الأحداث السياسية، حينما تم نقله موظفاً في ديوان مجلس الوزراء مسؤولاً عن سجلاته وذلك في عام ١٩٢٩، وهناك أصبح قريباً من كثير من الوقائع التي تحدث وراء الكواليس، والوثائق التي تتجمع لديه بعد تأليف الوزارات واختيار الوزراء وعرف تأثير الوصي في العرش والانكليز في تأليف بعض رؤساء الوزارات وفي عملية التوازن السياسية والعشائرية التي كانت تجري خلف الكواليس، وأصبح في متناول يديه معظم الوثائق الرسمية. ولذلك صارت كتابات الحسني أكثر التزاماً ومسؤولية عند إيراد النصوص، إلى درجة الحرص أحياناً على روايتها كما هي دون نقد، ذلك لأن الحسني لم تكن تشغله أي عقيدة أو فكر سياسي، بل كان رجلاً وطنياً خالصاً وكان تفكيره منصباً على رواية الأحداث بحسبك وأمانة، فهو يقول بهذا الصدد: ((صدق من قال إنني جامع معلومات واعتقد أن جمع المعلومات من مختلف المظان وعرضها عرضاً سليماً صادقاً، أفضل بكثير من التصرف بهذه المعلومات تصرفاً لا يخلو من النفاق وعدم الحياد تاركاً لقارئ المعلومات أن يفهم الأمور على حقيقتها...))<sup>(٢)</sup>

كان الحسني قد أصدر في تلك المدة كتابه الموسوم (العراق قديماً وحديثاً) فكان صداه خافتاً، لأن مصادر الكتاب عن العراق القديم لا يعتد بها. لكنه في عام ١٩٢٨م أصدر كتاباً آخر (العراق في ظل المعاهدات) وأعاد تصحيح كتابه عن (ثورة العشرين) وأضاف

اليه بعض المصادر الانكليزية المترجمة لضبط انكليز خدموا في العراق وكتبوا مذكراتهم عن ثورة العشرين أمثال: برتوام توماس والعقيد ارنولد ويلسون.

اما المرحلة الثالثة في منهجية الحسني التاريخية فهي مرحلة التكامل في الرؤية التاريخية والاستدلالية التي نضجت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ واحداث تلك المدة التي امتازت بالتقلبات السياسية والاحداث العنيفة. هذه الاحداث هزت تفكير الحسني و غيرت بعض مفاهيمه. وانتهت به الى طلب الاحالة على التقاعد في عام ١٩٦٤م للمشروع بتمكلة تاريخ الوزارات العراقية والاستمرار في تصحيح كتبه الاخرى واعادة طبعها.

في الخمسينيات برز آنذاك تيار جديد بدأ بتصاعد رويداً رويداً في الدراسات التاريخية ذات المنهجية العلمية، نشأ هذا التيار من المتخصصين في التاريخ العائدين من الدراسة في الخارج الذين كانوا مبسعين من الدولة في الجامعات البريطانية والمصرية في الغالب أمثال: الدكتور زكي صالح، والدكتور مجيد خدوري في التاريخ الحديث، والدكتور عبيد العزيز الدوري، والدكتور أحمد صالح العلي في التاريخ العربي الاسلامي، والدكتور تقى الدباغ، والدكتور محمود الامين في التاريخ القديم، هذا الجيل الجديد من المؤرخين الشباب، أخذ زمام المبادرة في التأليف العلمية التاريخية في مختلف فروع التاريخ، هذا التيار كان يسير مع كتابات الحسني وعبيد العزاوي واضرابهما في خطين متوازيين، فظهرت في الستينيات كتابات تاريخية ذات اتجاهات فكرية سياسية متضاربة، بالإضافة الى بروز دراسات تاريخية علمية امتازت بالتحليل التاريخي وتلاقح النصوص والوثائق الاجنبية عن تاريخنا المعاصر، مع النصوص والوثائق العراقية والأهم من كل ذلك وجبنا دراسات نقدية للمصادر الاجنبية المتعلقة بتاريخ العراق ومناقشتها وتحليلها<sup>١١</sup> وفي هذه المرحلة شرع الحسني في اعادة كتابة مؤلفه الضخم (تاريخ الوزارات العراقية) الذي كان قد اعد له كل العدة من الوثائق والمخازن مضافاً اليها كثير من الرسائل والكلمات والملاحظات التي سجلها خلال لقاءاته بالساسة العراقيين. وهكذا انمرت جهوده في كتاب موسوعي في عشرة اجزاء بعد ان كان جزءاً في الطبعة الاولى، وثلاثة اجزاء في الطبعة الثانية، اصبح بعشرة اجزاء بطبعته الثالثة بسين الاعوام ١٩٦٥ - ١٩٦٩م. وبصدوره عد احاد المصادر الرئيسية في تاريخ العراق المعاصر حيث ضم كما هائلاً من الوثائق

الرسمية الدقيقة والوثوقية بين الاعوام ١٩٢٠ - ١٩٥٨م، كما ضم تفسيراً لكثير من الوقائع والاحداث التي كانت تجري وراء الكواليس في اختيار رؤساء الوزارات والوزراء.

إن توقف الحسني عن كتابة تاريخ الوزارات حتى عام ١٩٥٨ برغم أنه طبع سبع مرات، كما يراه الاستاذ نوري العاني؛ لاسباب عديدة في مقدمتها ذاتية، تنبع من شعوره بالانتماء الى العهد السابق، فضلاً عن شيخوخته وصعوبة حصوله على الوثائق التي تراكت بكميات كبيرة، وتشتت بين دوائر عدة بسبب توسع الادارة وتعدد المسؤوليات بحيث يصعب على شخص واحد الحصول عليها جميعاً<sup>١٢</sup> ونحن لا نتفق مع كل ما جاء في رأي العاني، وخصوصاً ما يتعلق بعبارة ((شعوره بالانتماء الى العهد السابق)) إذ نرى ان الاسباب تكمن في خشية الحسني من الدخول في آراء جدلية حيث ان العهد الجديد بعد عام ١٩٥٨ تضمن تيارات سياسية متعارضة ومعقدة قد لا يريد الخوض فيها إذ كان الحسني لا يحب ان يغلب أي تيار على تيار، ولا جهة سياسية على جهة سياسية اخرى. بالإضافة الى ان الوثائق العراقية عن حقاً ثورة ١٤ تموز، وثورة ٨ شباط شحيحة لأن بعض السجلات والوثائق الخطية فقدت وظل جزء من اسرارها في صدور الثوار.

ظل النتاج الفكري للحسني في تصاعد مستمر في السبعينيات فكتب عن (ثورة النجف) و(تسخير كربلاء) و(الجهة الوطنية) وفي بداية عام ١٩٨٠م اصدر كتاباً آخر (تاريخ الاحزاب السياسية في العراق) وفي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات بدأ يكتب بعض المقالات التي تعد تكملة لدراساته وكتاباته التاريخية للاحداث بعد عام ١٩٥٨م، ونشر معظمها في مجلة (افاق عربية)، اثمرت طبع كتابه الاخير (احداث عاصرتها) نشره عام ١٩٩٢م. أما الجزء الثاني من (احداث عاصرتها) الذي يمثل مجموعة اخرى من المقالات التي كان قد كتبها وصححها الحسني قبل وفاته، فقد استطاعت ابنته، السيدة اجلام الحسني طبعه عام ١٩٩٩م ويمثل كتابه الاخير اصدق تمثيل مرحلة النضوج المتكامل في المنهج التاريخي لدى الحسني.<sup>١٣</sup>

### ثبت بانار الحسني اطولقة [مرتبة زنباً]

١. المعلومات المدنية لطلاب المدارس العراقية: مطبعة الفلاح، ١٩٢٢م.
٢. تحت ظل المشانق، رواية، ادبية، اجتماعية، وطنية. بغداد: مطبعة الفلاح، ١٩٢٤م (كذلك طبعت في السنتين ١٩٢٥، ١٩٢٦)

٢. رحلة في العراق، أو خاطرات الحسني. بغداد: المطبعة العصرية، ١٩٢٤م.

٤. الأغاني الشعبية. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٢٩م.

٥. الخوارج في الإسلام. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٢٩م.

٦. البابيون في التاريخ. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٠م.

٧. موجز تاريخ البلدان العراقية. بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٣٠م (كذلك طبع ثانية عام ١٩٣٥م).

٨. عبدة الشيطان في العراق. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣١م.

٩. الصابئة قديما وحديثا. القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٣١م قدم له الكاتب المصري المعروف أحمد زكي باشا.

١٠. تعريف الشيعة. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٣م.

١١. تاريخ الولايات العراقية، ط ١، صيدا: مطبعة العرفان ١٩٣٢-١٩٣٣م (جزءان) ط ٢ (١٩٥٢-١٩٦١) ثلاثة أجزاء. ط ٢ (١٩٦٥-١٩٦٩) في عشرة أجزاء. ط ٤/ ١٩٧٤ ثم في السنوات (١٩٧٨، ١٩٨٠، ١٩٨٨، ١٩٩٠).

١٢. العراق في دوري الاحتلال والانتداب. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٥م.

١٣. تاريخ الصحافة العراقية، ط ١. النجف، مطبعة الغري، ١٩٣٥م وطبع هذا الجزء في عامي ١٩٥٧م، ١٩٧١م (ولم يطبع جزؤه الثاني بالرغم من إشارته إلى ذلك).

١٤. تاريخ الثورة العراقية. بغداد: (١٩٣٥م) كذلك طبع عام ١٩٣٦م ثم أعاد كتابته وأضاف إليه، وطبعه بعنوان جديد (الثورة العراقية الكبرى) بغداد (١٩٥٢م) ثم أعاد طبعه في السنوات (١٩٦٥، ١٩٧٢م، ١٩٨٠م وذلك في مطبعة دار الكتب بيروت).

١٥. أسرار الانقلاب. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٣٧م.

١٦. العراق قديما وحديثا. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٤٧م (وكذلك طبع في الأعوام ١٩٨٠، ٥٨، ٧٥م).

١٧. العراق في ظل المعاهدات. بغداد: د. ن.، ١٩٤٨م (كذلك طبع في الأعوام ٥٨، ٧٥، ١٩٨٠م).

١٨. تاريخ العراق السياسي الحديث. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٤٨م (ثلاثة أجزاء) كذلك طبع في السنوات ٥٧، ٧٥، ١٩٨٠م.

١٩. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥١م كذلك طبع في السنوات ٥٢، ٦١، ٦٤، ٦٨، ٧٥، ١٩٨٠م وهو الكتاب نفسه الذي أصدره عام ١٩٣١م مع إضافات وتصحيحات جديدة عليه.

٢٠. الصابئون في حاضرهم وماضيهم. ١٩٥٥م (وكذلك طبع في

السنوات ١٩٧٨، ٧٠، ٦٢، ٥٩م) وهو الكتاب نفسه الذي أصدره عام ١٩٣١م مع إضافات وتصحيحات جديدة.

٢١. البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥٧م (وكذلك طبع في السنوات ٦٩، ٦٢م، وكان قد طبع القسم الأول عن البابيين في عام ١٩٣٠م).

٢٢. الأسرار الخفية في حركة ١٩٤١ التحررية. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٥٨م (كذلك طبع في السنوات ٦٤، ٧١، ١٩٧٧م).

٢٣. الأصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية، (١٩٦٤م).

٢٤. ثورة النجف، بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال. (١٩٧٢م) وطبع كذلك في السنتين ٧٨، ١٩٨٠م.

٢٥. الجبهة الوطنية. بيروت ١٩٧٨م (وكذلك طبع ثانية في بيروت ١٩٨٢م).

٢٦. تسخير كربلاء. بيروت: ١٩٧٨م (أعيد طبعه عام ١٩٨٠م).

٢٧. أحداث عاصرتها. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٦م الجزء الأول. طبع الجزء الثاني بالعنوان نفسه عن دار الشؤون الثقافية العامة أيضا عام ١٩٩٩م.

### ثبت بالمصادر والمطابع

(١)، (٢) السيد عبد الرزاق الحسني وأثره الكتابية في بحر ستين سنة من حياته ١٩٢٠-١٩٨٠م (بقلمه) بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٨٠م (٣) قزنجي، فؤاد يوسف. ((شيخ المؤرخين العراقيين في ذمة الخلود)) جريدة العراق. الأربعاء ١٤ كانون الثاني ١٩٩٨ (ص ٢).

(٤) حديث خاص مع ابنة الحسني السيدة أحلام الحسني في ٢٠٠٢/٢/٣

(٥) دفتر ملاحظات مسجلة عن المرحوم عبد الرزاق الحسني بقلم ابنته (٢٠٠٢م).

(٦) الجبوري، نائلة. ((تكملة تاريخ الوزارات العراقية ١٩٥٨-١٩٦٨)) ندوة نقاشية. مجلة الحكمة، ص ٢ (شباط ١٩٩٠) ص ١٠٥.

(٧) المطيعي، حميد المؤرخ عبد الرزاق الحسني. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩م (ص ٧٠).

(٨) كمال مظهر أحمد. ((الإطار الزمني بتاريخ العراق المعاصر)) مجلة الحكمة، بيت الحكمة، العدد الخامس (ت ١/ ١٩٩٨) ص ١٦.

(٩) قزنجي، فؤاد. ((أحداث عاصرتها: مجموعة بحوث تاريخية)) جريدة العراق ١٩٩٤/١١/٨ (ص ٢).



# أخبار التراث العربي

حسن عريبي الخالدي

■ أ ■

\* نراء في تعاقب المعاني على حروف الجر (إلى) في القرآن الكريم  
دراسة لغوية محمد توفيق عبد المحسن، الانبارية مجلة العلوم  
الإقتصادية والإقتصادية (الانبار) ٥٤ (٢٠٠٤....) ٦٠.٥

■ أ ■

\* الإبداع العربي في علم الفلك - عبود قسرة، التراث العربي  
(دمشق) ٩. ع، ٢٢ (١٤٢٤). ٢٠٠٢

\* إبراهيم بن هرمة خاتمة الشعراء القدماء وبداية المحدثين  
أحمد علي دهمان، التراث العربي (دمشق) ٩٤. ٩٣٤، س ٢٤ (١٤٢٥)  
٢٠٠٤.

\* ابن الأزرق بين بدائع السلك وروضة الأعلام: دراسة وتحليل  
نقدي. بركات محمد مراد، التراث العربي (دمشق) ٩٦٤، س ٢٤  
(١٤٢٥). ٢٠٠٤

\* ابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم المتوفى سنة ٢٢٨ هـ  
سيرته ومؤلفاته مع ملحق فيه مجلس من أماليه وشرح خطبة  
عائشة أم المؤمنين في أبيها ومسألة في التعجب د: حاتم صالح  
الضامن، ط ١، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع،  
١٤٢٥-٢٠٠٤، ١٤٤ من.

\* ابن خروف والدرس النحوي في الأندلس محمد موعود، التراث  
العربي (دمشق) ٩٧٤ س ٢٤ (١٤٢٥). ٢٠٠٥

\* الأبنية الصرفية عند المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام -  
خولة محمود فيصل التكريتي جزء من متطلبات نيل درجة  
الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بإشراف الأستاذ د. جابر زيدان

مخلف، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٤٢١، ٢٠٠٠، ٢٨٨ هـ  
\* أبو بكر الرازي أبو الطب العربي عضام محمد الشنطي.

تراثيات (القاهرة) ٢٤ (١٤٢٢-٢٠٠٢) ١٢٢. ١٢٦.

\* أبو الخير الأشبيلي وكتابه عمدة الطبيب في معرفة النبات .  
سليمي محبوب، التراث العربي (دمشق) ٨٥٤ س ٢١ (١٤٢٢). ٢٠٠٢  
\* أثر أبي علي الفارسي في جهود ابن سيده النحوية نادية

حسكور. التراث العربي (دمشق) ٨٤. ٨٢٤، س ٢١ (١٤٢٢). ٢٠٠١

\* أثر استشراف التطور الدلالي في فهم النص القرآني نماذج  
جزئية وموجهات كلية - مهدي أسعد عرار، مجلة مجمع اللغة  
العربية الأردنية (عمان) ٦٨٤، س ٢٩ (١٤٢٥-٢٠٠٥) ٧٧-١٠٦.

\* أثر حروف المعاني في تعدد المعنى - عرابسي أحمد، التراث  
العربي (دمشق) ٨٩٤، س ٢٢ (١٤٢٤). ٢٠٠٢

\* أثر معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن وأعرابه للزجاج في  
الكشاف للزمخشري: دراسة نحوية - سعدون أحمد علي، جزء من

متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة  
بإشراف الاستاذ الدكتور قيس اسماعيل الأوسي، كلية التربية  
(ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢٢-٢٠٠٢، ٢٥٨ ص.

\* الاحتجاج بالقراءات في شروح ألفية ابن مالك - محمود نجيب،  
التراث العربي (دمشق) ٨٢-٨١ ع، س ٢١ (١٤٢٢) - (٢٠٠١).

\* رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٩٨٥-٩٩٠ م.  
للمقدسي محمد بن أحمد (٢٣٦-٢٧٥ هـ / ٩٤٧-٩٨٥ م) حررها وقدم  
لها: شاكر لعبي، ط ٢١ أبو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر  
والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ٥١٧ ص،  
ارتقاء الآفاق.

\* أحمد البوني وكتابه التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي  
مروان الشريف - سعد بو فلاقة، التراث العربي (دمشق) ٩٤-٩٣ ع،  
س ٢٤ (١٤٢٥) - (٢٠٠٤).

\* الأحنف العكري شاعر المكدين والمتسولين - أحمد الحسين،  
التراث العربي (دمشق) ٩٦ ع، س ٢٤ (١٤٢٥) - (٢٠٠٤).

\* أدب الخيال في رسالة الغفران - حسين جمعة، التراث العربي  
(دمشق) ع ٩، س ٢٣ (١٤٢٤) - (٢٠٠٣).

\* أدب الرحلات، هل سيختفي من الساحة؟ - عبد الهادي التازي.  
الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات.. ج ١/١ -  
٢٤.

\* الأدب العربي بين الأصالة والحداثة - مها خير بك ناصر، التراث  
العربي (دمشق) ٩٦ ع، س ٢٤ (١٤٢٥) - (٢٠٠٤).

\* الأدب في الخليج العربي دراسات ونصوص - وليد محمود  
خالص، ط ١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥ -  
٢٠٠٤، ٥٥٥ ص.

\* أديرة القدس الشريف - عبد اللطيف خطاب، التراث العربي  
(دمشق) ٨٤-٨٣ ع، س ٢١ (١٤٢٢) - (٢٠٠١).

\* إرشاد الخل لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل - عبد السلام  
بن محمد بن أحمد الحسيني العلمي (١٢٤٦-١٢٢٣ هـ / ١٨٢٠-١٩٠٥)  
انتقاه وقدم له: أحمد عبد الباسط، تراثيات (القاهرة) ٤ ع  
(١٤٢٥ - ٢٠٠٤) ١١٩، ١٣١.

\* أساسيات العلوم الفيزيائية المعاصرة في التراث العربي

دراسة تأصيلية أحمد فؤاد باشا، تراثيات (القاهرة) ٤ ع (١٤٢٥ -  
٢٠٠٤) ٢٥، ٥٤.

\* أسباب التعدد في التحليل النحوي - محمود حسن الجاسم، مجلة  
مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٦ ع، س ٢٨ (١٤٢٥ - ٢٠٠٤) ٩٢ -  
١٥٦.

\* الاستاذ سعيد الافغاني - يوسف الصيداوي، التراث العربي  
(دمشق) ٩٢ ع، س ٢٢ (١٤٢٤) - (٢٠٠٣).

\* استدراك الخلط الواقع في كتاب (العين) للزبيدي أبي بكر  
محمد بن الحسن بن عبد الله الاشبيلي الاندلسي (٢١٦-٢٧٩ هـ / ٩٢٨ -  
٩٨٩ م) تح د. عبد العلي الود غيري ود. صلاح مهدي القرطوسي،  
دمشق، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٣ م.

\* استعادة رحالة ورحلته: رحلة ابن بطالان سنة ١٠٤٩ م  
لايوانيس المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطالان  
(طبيب بغدادي نصراني ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) - شاكر لعبي، الشرق  
والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٢٥٥، ٤٥٠.

\* الاستقسام بالأزلام: عادة عربية انقرضت - اليابلكا، التراث  
العربي (دمشق) ٩٠ ع، س ٢٣ (١٤٢٤) - (٢٠٠٣).

\* الأسس النظرية للمنهج التعليمي في بلاغة ابن سنان الخفاجي  
- عبد الكريم العياري، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان)  
٦٥ ع، س ٢٧ (١٤٢٤ - ٢٠٠٢) ٤٥، ٨٨.

\* الاسلوب بين التراث البلاغي العربي والاسلوبية الحداثية -  
محمد بلدحي، التراث العربي (دمشق) ٩٥ ع، س ٢٤ (١٤٢٥) - (٢٠٠٤).

\* اسلوب الشرط بين التعقيد والتيسير (قراءة نقدية معاصرة)  
- شوقي المعري، التراث العربي "دمشق" ٩٥ ع، س ٢٤ (١٤٢٥) - (٢٠٠٤).

\* أصناف الترجمة في ديوان الإنشاء المملوكي د: سمير الدروبي  
مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٥ ع، س ٢٧ (١٤٢٤) -  
(٢٠٠٢) ١١، ٤٤.

\* أضواء على المجمع العلمي العربي بالهند أهدافه نشر الثقافة  
الإسلامية والعناية باللغة العربية - وجيه الشرجي، التراث  
العربي "دمشق" ٨٢-٨١ ع، س ٢١ (١٤٢٢) - (٢٠٠١).

\* أضواء على مؤتمر تاريخ العلوم في إربيد - سسليمي محجوب،  
التراث العربي "دمشق" ٩٠ ع، س ٢٢ (١٤٢٤) - (٢٠٠٣).

\* إعراب القرآن وعلل القراءات - لجامع العلوم نور الدين أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٨م) دراسة وتحقيق د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، ط ١، عمان، دار عمار للنشر والتوزيع، ١٤٢١، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٥٦٠ + ٥٩٢ ص.

\* أعشيا تغلب أخبارهما وما تبقى من شعرهما. تح: يوخنا مرزا الخامس. العرب "الرياض" ج ٨، ص ٨٠٧، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٤٥٢-٤٢٢. ج ٩، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٩٠، ٦٠٨. أقول هما ربعة بن يحيى التغلبي وعمرو بن الأيهم التغلبي.

\* إقتحاف الأزاهر والتقاط الجواهر - لشهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الفرناطي الاندلسي (٧٠٩ هـ - ترجيحا ٧٧٩ هـ / ١٢٧٨ م) تح ودارسة: ازمي عز العرب، ط ٢١، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٦-٢٠٠٥ م، ٤٥٥ ص يشتمل الكتاب على الافعال التي جاءت على زنة فغل ومستقبلاتها على زنتي يغلن ويفعل بخضم العين وكسرها.

\* اكتشاف رسم لآحد سيوف النبي (ص) المعروف بـ "الصمصامة" على أحد الدراهم المملوكية - غسان هلال. التراث العربي "دمشق" ٨٢٤، ٨٤، س ٢١ (١٤٢٢). ٢٠٠١.

\* الاكتفاء في القراءات السبع المشهورة - لأبي الطاهر اسماعيل بن خلف بن سعيد الانصاري السرقسطي الاندلسي المقرئ (ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٢ م) تح د. حاتم صالح الضامن. ط ١ دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ٢٨٨ ص \* الاكدي والابلوية - ترجمة: فاروق اسماعيل. التراث العربي "دمشق" ٨٥٤، س ٢١ (١٤٢٢). ٢٠٠١.

\* التقاء الساكنين بين الحقيقة والوهم - جعفر عيابنة مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٦٤، س ٢٨ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ٤٦-٩٢.

\* ألحان السواجع بين البادئ والمراجع - للصفي صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن ايبك ابن عبد الله (٦٩١-٧٦٤ هـ / ١٢٩٧-١٣٦٢ م) تح: ابراهيم صالح، ط ٢ دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ٢، ص ٤٤٠ + ٤٨٠ ص. وقد اشتمل الجزء الثاني على فهرس متقنة غاية الاتقان.

\* أما قبل عبد الستار الحلوجي. تراثيات (القاهرة) ٤٤ (١٤٢٥).

(٢٠٠٤) ١٦٨-١٦٣. تكلم صاحب المقال فيه على الاستاذ الدكتور حسين نصار بمناسبة منحه جائزة الملك فيصل العالمية في الادب والنقد سنة ١٤٢٤-٢٠٠٤.

\* كتاب الإمامة والرد على الرافضة. لأبي نعيم الاصفهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ المؤرخ (٢٢٦-٤٢٠ هـ / ٩٤٨-١٠٢٨ م) حققه وعلق عليه وخرج احاديثه: علي بن محمد ابن ناصر الفقيه، ط ١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ص ٨٢٠.

\* الامثال في كتاب سيبويه: عرض ومناقشة وتقويم - شوقي المعري. التراث العربي "دمشق" ٨٦٤-٨٧، س ٢٢ (١٤٢٢). ٢٠٠٢.

\* امرؤ القيس بن خنجر .. رحلته الى الشرق او الى الغرب - ليلي العمري. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٥٤، س ٢٧ (١٤٢٤-٢٠٠٣) ١١٩-١٧٠، ٦٦٤، س ٢٨ (١٤٢٤-٢٠٠٣) ١٥٧، ١٨٦.

\* انساب الأشراف للبلاذري مصدراً للتاريخ الاقتصادي الإسلامي تطبيق على الجزء الخامس - نجمان ياسين - التراث العربي "دمشق" ٨٥٤، س ٢١ (١٤٢٢). ٢٠٠٢.

\* الأنساب المنظومة - للأستاذ كاظم عبود الفتلاوي، ط ٢١ النجف الاشرف، مكتب المواهب للطباعة، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ١٠٢ ص.

\* انطباعات سائح مصري عن مراكش والجزائر في مطلع القرن العشرين من رحلة محمد فريد "من مصر الى مصر" - قاسم وهب. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٦١، ٧٤.

\* الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الأفاضة المدنية - للمؤيد بالله عز الدين أبي القاسم محمد بن اسماعيل بن صلاح الحسني الصنعاني (١٠٩٩-١١٨٢، ١٦٨٨-١٧٦٨ م) دراسة وتحقيق: علي عبده علي عسيري، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الاسلامية، جامعة القاهرة (مصر) ٢٠٠٢ م، ٥٢٦ ص.

\* أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية - محمد بن عبد الهادي الشيباني. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات ج ١/ ٥١٥-٥٥٢.

\* أهمية مدونات الفرنسي ديوي بوصفها مصدراً لتاريخ المملكة العربية السعودية السعودية خلال المدة من ١٩١٩-١٩٢٩. علي محمد الزبيدي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية. بحوث ندوة ج ٢

### ■ أ ■

١. البحر الزخار المعروف بمسند البزار - أحمد ابن عمرو بن عبد الخالق المكي البزار الحافظ المحدث (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) تح: محفوظ الرحمن زين الله، ط ١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ١٢٠٦ ج.

٢. البرنس في باريس رحلة الى فرنسا وسويسرا ١٩١٣. محمد المقداد الورتقاني (ت ١٣٧١هـ - ١٩٥١م) حررها وقدم لها: سعيد الفاضلي، ط ١، أبو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٤م، ٢٩٥ ص، ارتياد الآفاق.

٣. البرهان عما (كذا) في ديوان علي بن الجهم من وهم ونقصان عبد الرزاق حويزي. العرب "الرياض" ج ٧، ٨، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٢٩ ٥٥٢ (ق ٦) ج ٩-١٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٧٨-٦٥٩ (ق ٧) وبه انتهى المقال.

٤. بكاء القيروان في الشعر المغربي القديم. سعد بو فلاقة. التراث العربي "دمشق" ٨٢-٨٤، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

٥. بلدة ضرماء وبدا الدولة السعودية الثانية. إبراهيم بن عيسى العيسى. العرب "الرياض" ج ٩-١٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٧٩-٦٨٨.

٦. بناء القصيدة مصطلحا نقديا في (منهاج البلغاء) - نزهة جعفر حسن وزيد فاسم ثابت مجلة اللغة العربية وآدابها "الكوفة" ٢٤ (٢٠٠٢-٢٠٠٤) ٤٩-٦١.

٧. بهاء الدين بن شداد وكتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الايوبي) أحمد فوزي الهيب، التراث العربي "دمشق" ٩٤-٩٢، ص ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

٨. بيروت برلين مشاهدات في أوروبا وألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠-١٩٤٢، كامل مروة. حررها وقدم لها كريم مروة، ط ١، أبو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٥م، ٢٨١ ص، ارتياد الآفاق.

### ■ ب ■

٩. تاريخ خزائن الكتب قراءة في كتاب أحمد شوقي بنين - فيحصل الحفيان، تراثيات (القاهرة) ٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١٢٥-١٢٩.

١٠. تأملات في كتاب "الخطاريات" لابن جني - فوزي الشايب. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٢ ع ٢٦ (١٤٢٢-٢٠٠٢) ٩٦٥١-٩٦٤٠ ع ٦٤ ص ٢٧ (١٤٢٤-٢٠٠٢) ٩٧-١٤٤.

١١. تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الرحوب من الاسواء لمرخي بن علي الطرسوسي تح: كلود كاهن. عرض: واصف باقي. التراث العربي "دمشق" ٨٤-٨٢، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

١٢. التجربة الروحية للغزالي. محمد عرب. التراث العربي "دمشق" ٩٧، ص ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٥).

١٣. التجديد العروضي الغنائي في شعر الموشحات الأندلسية - محمود فاخوري. التراث العربي "دمشق" ٨٥، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠٢).

١٤. التحامق في الشعر المملوكي. محمد عبد القادر شقر. التراث العربي "دمشق" ٨٤-٨٢، ص ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

١٥. رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة الى اوربا واسية لأبي حامد محمد بن عبد الرحيم الغرناطي المازني (١٠٨٠-١١٧٠م). حررها وقدم لها: فاسم وهب، ط ١، أبو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٢م، ١٩٠ ص، ارتياد الآفاق.

١٦. تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن. للأهمل الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني العلوي الهاشمي (٧٨٩-٨٥٥هـ/ ١٢٨٧-١٢٥١م) تح الشيخ العلامة: عبد الله بن محمد الحبشي، ط ١، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ١، ٥٨٦ ص، ٢٧٧ ص.

١٧. تحقيق بلاد ونسب بني شباية من القرن الأول حتى القرن العاشر الهجري تركي بن محلق القداح العتيبي. العرب "الرياض" ج ٧، ٨، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٤٧١-٤٥٢ ج ٩-١٠، ص ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٤٢-٦٥٨.

١٨. التخرج الاجتماعي في التراث العربي الاسلامي. عبد العزيز بن علي الغريب. التراث العربي "دمشق" ٩٤-٩٢، ص ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

١٩. تدوين علم اصول الفقه دراسة تاريخية. كريم عجيل حسين وفيس عواد كريم. الأنبارية مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية "الأنبار" ٥ (٢٠٠٤-٢٠٠٤) ٢١٢-٢٢١.

٢٠. تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ١١٨٢-١١٨٥ لابن جبير

محمد بن احمد بن جبير الكنانى الاندلسي (١١٤٥/٥٤٠هـ-١٢١٧) حررها وقدم لها: علي بن احمد كنعان، ط ١، ابو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٨، ٢٧٤ ص، ارتياد الافاق.

\* التراث العراقي المنهوب - د: حسين نصار - تراثيات "القاهرة"، ٢٤ (٢٠٠٣-١٤٢٢) ١٤. ٩

\* التراث والتقنيات الحديثة للمعلومات - المهدي بن محمد السعيد. التراث العربي "دمشق" ع ٩٠، س ٢٢ (١٤٢٤) - ٢٠٠٢

\* التراث الوطني المخطوط - عبد القادر شرشار. التراث العربي "دمشق" ع ٨٢، س ٢١ (١٤٢٢) - ٢٠٠١

\* تراثنا في مكتبات البحث العالمية، دراسة ببليوجرافية رقمية مجترة لفخر الدين الرازي - سعد محمد الهجرسي. تراثيات (القاهرة) ع ٢٤ (٢٠٠٣-١٤٢٢) ٢٩-٩٦

\* الترسل الفني في العصر العباسي الاول، سهل بن هارون مترسلا - قحطان صالح الفلاح. التراث العربي "دمشق" ع ٨٩، س ٢٢ (١٤٢٤) - ٢٠٠٢

\* التزييف في نسبة الكتب جذوة المقتبس مخطوط منسوب الى الامام السهيلي محمود علي مكي. تراثيات "القاهرة" ع ٢٤ (١٤٢٢) - ٢٠٠٢ ١٥، ٢٨

\* تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد - لشمس الدين ابي التناء محمود بن عبد الرحمن بن احمد الأصفهاني الشافعي (٦٧٤-٧٤٩هـ/١٢٧٥-١٢٤٩م) تج: خالد حماد حمود العدواني رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الاسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ... ٢٠٠٢م، ٥٦٨ ص.

\* تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي - الاستاذ عمار عبودي محمد حسين نصار، ط ١، بغداد، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، طبع مطابع دار الشؤون ... وزارة الثقافة، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ٢٢٤ ص. سلسلة رسائل جامعية.

\* تقديم رحلة عبد الباسط بن خليل من خلال مؤلفه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم انطلاقا من الدراسة التي نشرها رديبر برونشفيك بعنوان (مذكرتي في رحلة غير منشورة

الى افريقيا الشمالية في القرن الخامس عشر الميلادي - عبد الباسط بن خليل واودرن) بوداود عبيد. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٢٩٢-٢٠٠

\* تكامل الشكل النقدي في كتاب العمدة - علي خذري. التراث العربي "دمشق" ع ٩٦، س ٢٤ (١٤٢٥) - ٢٠٠٤

\* تكريم الدكتور حسين نصار اسلوب يحتذى - ماهر شفيق فريد. تراثيات "القاهرة" ع ٤٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١٦٩-١٧٢

\* التكملة والذيل والصلة للحسن بن محمد الصغاني (٥٧٧-٦٥٠هـ/١١٨١-١٢٥٢م) حققه محمد ابو الفضل ابراهيم راجعه د. محمد مهدي علام، ط ١، القاهرة، منشورات مجمع اللغة العربية، طبع مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٩٨-١٩٧٩، ج ٦، ٥٥٠ ص. تنبيهات وتصحيحات في شواهد الشعرية - محمد جواد النوري. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ع ٦٨، س ٢٩ (١٤٢٥-٢٠٠٥) ١٢٧-٢٠٦

\* التنازع او الإعمال في النحو العربي قراءة معاصرة - شوقي المعري. التراث العربي "دمشق" ع ٨٩، س ٢٢ (١٤٢٤) - ٢٠٠٢

\* التهذيب لما تفرد به كل واحد من القراء السبعة - للداني (ابن الصيرفي) عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الاندلسي المقرئ (٢٧١-٤٤٤هـ/٩٨١-١٠٥٥م) تج د. حاتم صالح الضامن، ط ١، دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ٢١٥ ص، سلسلة كتب القراءات ١.

\* التواصل الفكري والروحي بين المغرب الأقصى والشرق الإسلاميين (مصر والحجاز أسسه ومظاهره من بداية القرن السابع الى اواخر القرن الثامن الهجري - السعيد المليح. ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٥، ٧١١ ص. اصل الكتاب رسالة دكتوراه يشراف: هاشم العلوي، جامعة مولاي اسماعيل في مكناس "المغرب".

\* التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي - د. عبد اللطيف احمد الشيخ، ط ١، ابو ظبي. دبي، المجمع الثقافي. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٩٢ ص.

\* توخيف الأسطورة في الشعر الجاهلي - وهب رومية. التراث العربي "دمشق" ع ٩٤-٩٣، س ٢٤ (١٤٢٥) - ٢٠٠٤

\* تيسير البلاغة في كتب التراث - بن عيسى باطاهر . مجلة مجمع اللغة العربية الاردني "عمان" ٦٨٤، س ٢٩ (١٤٢٥-٢٠٠٥) ٢٩-٧٦.

■ ■ ■

\* ثلاث رحلات جزائرية الى باريس ١٨٥٢-١٨٧٨ و ١٩٠٢، لسليمان بن صيام واحمد ولد قادم ومحمد بن الشيخ الفنون القسنطيني. حقة لها وقدم لها: خالد زيادة، ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥ م، ١٠٤ ص. ارتياد الافاق.

■ ■ ■

\* الجائزة العربية في تحقيق التراث. من التراث العلمي الى التراث الادبي. عرض: الأرقم الزعبي. التراث العربي "دمشق" ٨٩٤، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٣).

\* الجائزة في التاريخ والتراث اللغوي عند العرب، مسعود بوبو. التراث العربي "دمشق" ٢٥٤، س ٢٦ (١٤٠٩-١٩٨٩).

\* جامع الشروح والحواشي. معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الاسلامي وبيان شروحها. العلامة الشيخ عبد الله محمد الحبشي، ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ج ٢، ١٢٤، ٧٢٥ ص-١٤٢٥ ص+ ٤٥٢ ص. ٢١٧٦ ص.

\* جذور نظرية الحفظ الدلالية في التراث اللغوي العربي احمد عزوز. التراث العربي "دمشق" ٨٥٤، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠٢).

\* الجزائر الجميلة الاكثر مرحا تحت هذه السماء الافريقية، رحلة الشاعر والرحالة الالماني الفرد كير الى الجزائر ١٩٢٠-١٩٢٥. فؤاد آل عواد. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ١٠١-١٢٢.

\* الجماهر (في معرفة الجواهر) للببروني ونثره في تاريخ العلم - مصطفى يعقوب عبد النبي. التراث العربي "دمشق" ٩٧٤، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٥).

\* جمهرة البلاغة للمعلم عبد الحميد الفراهي (ت ١٢٢٢هـ) د. احمد مطلوب. مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٧٤، س ٢٨ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١١-٢١.

\* جهود الدكتور حسين نصار في الدراسات المعجمية. وفاء كامل فايد. تراثيات "القاهرة" ٤٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ١٧٢-١٨٠.

\* الجودي الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح في القرآن الكريم والكتب المقدسة وكتب التاريخ مختار فوزي النعال. التراث العربي "دمشق" ٩٧٤، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٥).

■ ■ ■

\* الحبشة والناطق الساحلية الشرقية الأخرى من افريقيا. د. هارتمان "د. روبرت فون هارتمان" ترجمه عن الالمانية د. برهان شاوي. راجعه وقدم له: احمد عبد الرحمن السقا، ط ١، ابو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٢٧٧ ص.

\* حران المدينة المنسية - عبد الرحمن بدر الدين. التراث العربي "دمشق" ٩٠٤، س ٢٢ (١٤٢٤-٢٠٠٣).

\* الحركة الاستشراقية مراميتها وأغراضها د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط ١، بغداد، طبع مطبعة أنوار دجلة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ١٦٨ ص.

\* حركة التأليف المعجمي في مفردات القرآن - احمد حسن الخميسي. التراث العربي "دمشق" ٩٤٩، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* حركة التصحيح اللغوي في كتب لحن العامة في القرنين الخامس والسادس الهجريين - غازي مطشر حمزة البديري جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير أدب في اللغة العربية / لغة ياشرف الاستاذ الفاضل د. هاشم طه شلاش النعيمي، كلية التربية الاولى (ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢٢-٢٠٠٢، ٢٦٦ ص.

\* الحكومة النبوية - عبد المتعال سالم عاشور. تراثيات "القاهرة" ٤٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤) ٦٥-١٠٤.

\* حمد الجاسر والعرب ومكانتهما في تطورات فكر العرب المعاصر. المرحوم الاستاذ د. صالح احمد العلي (١٩١٨-٢٠٠٢) العرب

"الرياض" ج ١٠، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٦٢، ٥٦٧.

\* الخمس من قبائل العرب - محمد ظاهر وثر. التراث العربي "دمشق" ٨٢٨، س ٢١ (١٤٢٢-٢٠٠١).

\* حول شعر اللجلال العارثي - احمد العبد العزيز، العرب "الرياض" ج ٨، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٥٥٤، ٥٥٥.

\* حياة الحيوان الكبرى للدميري كمال الدين ابي البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي القاهري الشافعي (١٢١٢-٨٠٨هـ/١٢٤١

١٤٠٥م) تح: ابراهيم صالح، ط ١، دمشق، دار البشائر للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ج١، ٧٣٦ ص+ ٧٥٢ ص+ ٧٥١ ص+ ٦٢٤ ص.

## خ

\* خالد بن الوليد كشاف بما ألف عنه وبمواطن ترحمته في الموسوعات وكتب التراجم والاشارة الى الكتب التي عنيت بذكر احاديثه محمود الارناؤوط. التراث العربي "دمشق" ٨٨٤، س ٢٢ (١٤٢٢). ٢٠٠٢

\* الخصائص العمرانية والاجتماعية لمنطقة الاحساء في كتب الرحالة الغربيين، دراسة تحليلية لنشأة مدينة الهفوف وتطورها ١٧٥٠-١٩٥٠. مشاري بن عبد الله النعيم. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات... ٦٧٢ / ٢، ٧٠٦.

\* الخطأ والصواب في كتاب (نزهة الالباب في الالقاب) لابن حجر العسقلاني - فالح ذياب العتيبي. العرب "الرياض" ج ٩، ١٠، س ٤٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥) ٦٠٩، ٦٢٨.

\* خطرة الطيف رحلات في المغرب والاندلس ١٢٤٧-١٢٦٢م (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس) لابن الخطيب لسان الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (٧١٣-٧٧٦هـ/١٣١٢-١٣٧٤م) حققها وقدم لها د. احمد مختار العبادي. ط١، أبو ظبي- بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر،... ٢٠٠٢، ١٧٥ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن في سيرته وكتابه تلخيص المفتاح - ياسين الايوبي. التراث العربي "دمشق" ٩٦٤ س ٢٤ (١٤٢٥). ٢٠٠٤

\* خلاصة تاريخ الكرد وكردستان منذ اقدم العصور التاريخية حتى الآن. وضعه باللغة الكردية العلامة المفضل المرحوم محمد امين زكي (١٢٩٧-١٣٦٧/١٨٨٠-١٩٤٨) نقله الى العربية وعلق عليه محمد علي عوني تقديهم العلامة الدكتور كمال مظهر، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة،... ٢٠٠٥، ١.

٢، ٢٨٨ ص+ ٢٥٥ ص، سلسلة علم وأثر - ٤٠.

\* الخلاف النحوي في كتاب "صرف العناية" للبيتوشسي (ت ١٢١١هـ). باسم محمد حسين علي. جزء من متطلبات نيل

درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بإشراف د. ندى عبد الرحمن الشايع، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية "بغداد" ١٤٢٥، ٢٠٠٥، ٢٥٢ ص.

\* الخليج العربي في العصور القديمة دانيال تيسوتس. ترجمة: إبراهيم خوري مراجعة: احمد عبد الرحمن السقايف، ط١، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ج ٢، ٦١٧ ص+ ٦٢٢ ص- ١١٧٢ ص.

## د

\* داء العشق ودواؤه عند الانطاكي قراءة في تزيين الاسواق. عصام محمد الشنطي. العرب "الرياض" ج ٨، ٧، س ٤٠ (١٤٢٦). ٤٩٧، ٤٨٨ (٢٠٠٥م)

\* الدامغة قصيدة الحسن بن احمد الهمداني قرأها وحققها: مقبل. لثام عامر الاحمدي. التراث العربي "دمشق" ٩٥٤، س ٢٤ (١٤٢٥-٢٠٠٤).

\* دراسة تحليلية لكتاب مرتفعات جزيرة العرب لجون فليبي عبد الله بن عبد الرحمن آل عبد الجبار. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة... ج ٢ (٩٣١، ٩٧٦).

\* دراسة حصرية تحليلية لأخطاء رسم الأسماء المتصلة بالملكة العربية السعودية في القسم الجغرافي من كتاب دليل الخليج للوريمر - عبد الله بن عبد العزيز الحميدي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة... ج ٢/ ٩٧٧، ١٠٠٢.

\* دراسة في مخطوطة عمانية إيضاح نظم السلوك في حضرات ملك الملوك الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي ١١٩٢-١٢٦٢هـ. د. وليد محمود خالص الادب في الخليج العربي دراسات ونصوص، ط١، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥، ٢٠، ٥٥٥ ص، انظر ص ٤٧٧-٥٠٥.

\* درج الدرر في تفسير القرآن العظيم المنسوب الى عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م) من أول المصحف الى آخر سورة يونس، دراسة وتحقيق: طلعت صلاح الفرحان. جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة بإشراف الاستاذ المرحوم د. محمد صالح التكريتي (ت ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) كلية التربية "ابن رشد" جامعة بغداد، ١٤٢٥

٢٠٠٥، ٧٩٨ ص.

\* الدرس الصربي بسين ابن حجر العسقلاني في فتح الباري والعيني في عمدة القاري. هدى محمد صالح عبد الجبار العبيدي. جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة بإشراف الاستاذ الفاضل الدكتور هاشم طه شلاش النعيمي، كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد، ١٤٢٥، ١٨٩، ٢٠٠٥ ص.

\* دقائق الفروقي اللغوية في البيان القرآني - محمد ياس خضر النوري. رسالة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية / لغة بإشراف د. خليل بنيان الحسون، كلية التربية "ابن رشد" جامعة بغداد، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ٤٠٢ ص.

\* الدكتور حسين نصار محققاً للنصوص المعجمية عشري محمد علي الفول. تراثيات "القاهرة" ع (٢٠٠٤-١٤٢٥) ٢٢٠-٢٢٥

\* الدكتور حسين نصار والصناعة المعجمية - صلاح الدين حسنين. تراثيات "القاهرة" ع (٢٠٠٤-١٤٢٥) ١٨١، ١٩٢.

\* الدكتور حسين نصار ومنهجه في دراسة الأدب المصري عوض الغباري. تراثيات "القاهرة" ع (٢٠٠٤-١٤٢٥) ٢٢٢-٢٢١.

\* الدكتور عبد الجبار عبد الله سفير العراق العلمي. العالم الفيزيائي والمثقف الوطني - ستار نوري العبودي؟ دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ٢٠٤ ص.

\* دوافع رحلة سنوك هور خرونية وقيمتها العلمية بوصفها مصدراً من مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية - معراج نواب مرزا ومحمد محمود السرياني. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية، بحوث ندوة الرحلات ج ٢/ ٦٠٧، ٦٢٧.

\* دواوين الشعر الاندلسي بين التحقيق العلمي والنشر التجاري للدكتور جمعة شيخه ابداع النشأة وواجب التكملة - د. محمد عويد السايير. دراسات اندلسية "تونس" ع ٢٢٤ (٢٠٠٤-١٤٢٥) ٤٣-٥٠.

\* دور العرب في تقدم طب الأسنان - موفق أبو طوق. التراث العربي "دمشق" ع ٩٠ ص ٢٢ (١٤٢٤) - (٢٠٠٢).

\* ديوان ابراهيم بن الحاج النميري أبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن محمد الغرناطي الاندلسي (٧١٣-٧٧٦ هـ / ١٣١٢-١٣٧٤ م) جمع وتحقيق د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط١، أبو ظبي، الامارات

العربية المتحدة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ٢٢٧ ص.

\* ديوان ابن مطروح جمال الدين أبي الحسين يحيى بن عيسى ابن ابراهيم القوسي المصري (٥٩٢-٦٤٩ هـ / ١١٩٦-١٢٥١ م) تح د. حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، طبع مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤، ٢٥٢ ص.

\* ديوان الشيخ محمد بن احمد بن يوسف الأصبغي الأوالي بعد ١١٢٢ هـ / ١٧١١ م) دراسة وتحقيق د. وليد محمود خالص. الادب في الخليج العربي دراسات ونصوص، ط١، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٥٥٥ ص، ٢٠٥، ٢٨٢.

\* ديوان صادق القاموسي (١٢٤١-١٤٠٨ هـ / ١٩٢٢-١٩٨٨) جمعه وعلق عليه الاستاذ الفاضل محمد رضا القاموسي، ط١، بغداد منشورات المكتبة العصرية طبع دار المثنى للطباعة والنشر، ١٤٢٥-٢٠٠٤، ٥٠٢ ص. أقول اعتذر للأخوين الكريمين الفاضلين الاستاذ إياد صادق القاموسي والاستاذ محمد رضا القاموسي عما أوردته سلفاً في عدد سابق من مجلتنا "المورد" الغراء الزاهرة. مد الله في عمرهما وحفظهما لي اخوين عزيزين.

\* ديوان الكميث بن زيد الاسدي - جمع وشرح وتحقيق "؟" د: محمد نبيل طريفي، ط١، بيروت، دار صادر ٢٠٠٠ م، (فضيحة سطو على مجموع شعره صنعة د. داود سلوم "السرققات الفنية للأثار الادبية (سرققات الدكتور محمد نبيل طريفي نموذجاً) - د. داود سلوم، ط١، بغداد، طبع مطبعة الأفراح، ٢٠٠٥، ٨٦.٥ ص.

\* الديوان النفيس في ديوان باريس او تخلص الإبريز في تلخيص باريز - رفاعة رافع الطهطاوي (١٢١٦-١٢٩٠ هـ / ١٨٠١-١٨٧٢ م) حررها وقدم لها: علي احمد كنعان، ط١، أبو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٢ م، ٢٢٠ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

■ في ■

\* الذهب والعاصفة رحلة الياس الموصلي الى امريكا اول رحلة مشرقية الى العالم الجديد ١٦٨٨ ١٦٨٢. حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط١، أبو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، سلسلة ارتياد



المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦... سلسلة ارتياد الآفاق.

## ■ ■ ■

\* الراغب الاصفهاني وكتابه المحاضرات - عدنان عمر الخطيب.  
التراث العربي "دمشق ٩٦٤ س. ٢٤ (١٤٢٥). (٢٠٠٤)

\* الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية: اهدافهم وغاياتهم  
اسعد عيد الفارس. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث  
ندوة الرحلات... ج ١ / ٥٧٧-٦٠٢

\* الرحالة الغربيون ورواياتهم عن الأحساء في النصف الاول من  
القرن العشرين الميلادي / الرابع عشر الهجري. عبد الله بن محمد  
المخلوع. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات  
ج ١ / ٢٤٩-٢٩٦

\* الرحلات الى شبه الجزيرة العربية. بحوث ندوة الرحلات الى  
شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧  
رجب ١٤٢١ هـ الموافق ٢٤-٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠، ط ١، الرياض دار الملك  
عبد العزيز، ١٤٢٤... ج ٢، ٦٠٢ ص ٦٠٧، ١٠٢٠ ص بحوث  
بالانجليزية.

\* الرحلات الى شبه الجزيرة العربية في الادب الاردني. جلال  
السعيد الحفناوي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث  
ندوة ج ٢ / ٨٤٧-٨٨٩

\* الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب خلال القرن الرابع  
الهجري العاشر الميلادي - غازي مهدي جاسم الشمري. المشرق  
والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ١٢٥-١٤٨

\* رحلات في بلاد فارس ١٦٧٢ ١٦٧٧ م. السير جون شاردان.  
ترجمة. صلاح صلاح ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة،  
دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م. ٢١٠ ص،  
٢١٧ ص ٢٢٥ ص.

\* رحلات المستكشفين في القرن السادس عشر مفاهيم ثقافية في  
الفهم الاوربي العربي. ديونيوسيوس اجيوس. الرحلات الى شبه  
الجزيرة العربية بحوث ندوة... ج ٢ / ٥١٧-٥١٨ بالانجليزية.

\* رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة ٩٢١ م.

احمد بن فضلان حررها وقدم لها شاكرا لعيبي، ط ١، ابو ظبي.  
بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، ٢٠٠٢، ١٥١ ص.

\* رحلة أبي سالم العياشي الى المشرق قضايا ومواقف ورجال  
سليمان القرشي. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب  
ص ٢٠٢-٢٢٢

\* رحلة الى أعالي النيل الابيض ١٨٢٩-١٨٤٠ البكباشي سليم  
قبسطان (١٢٢٦-١٢٣٠ هـ / ١٨٢٠-١٨٢٩ م) حررها وقدم لها نوري  
الجراح، ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع  
المؤسسة العربية للدراسات العربية والنشر، ٢٠٠٢، ١٥٠ ص.  
سلسلة ارتياد الآفاق.

\* الرحلة الى القسطنطينية - المهدي عيد الرواضية. الشرق  
والغرب في مدونات الرحالة العرب. ص ٢٠١-٢١٢

\* رحلة الامير عبد القادر الجزائري الى فرنسا بوعلام بلقاسمي  
الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٤٦٧-٤٧٢

\* الرحالة الاوربية ١٩١٩ م - محمد بن الحسن الجسوي الثعالبي  
(١٢٩١-١٣٧٦ هـ / ١٨٧٤-١٩٥٦) حققها وقدم لها: سعيد الفاضلي، ط ١،  
ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ٢٥٠ ص، سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة الباي محمد الكبير الى جنوب الغرب الجزائري سنة  
١٧٨٥ / بلبروات بن عتو. الشرق والغرب في مدونات الرحالة  
العرب ص ٣١-٥٩

\* الرحلة التنويرية الى عاصمة البلاد الانجليزية ١٩٠٢ م الحسن  
بن محمد الغسال الطنجي (ت ١٢٥٨ هـ / ١٩٢٩ م) حققها وقدم لها  
د. عبد الرحيم مودن، ط ١، ابو ظبي بيروت، دار السويدي للنشر  
والتوزيع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ٨٥ ص  
سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة الحباشة من الاستانة الى اديس أبابا ١٨٩٦ م. صادق باشا  
المؤيد العظم (ت ١٢٢٩ هـ / ١٩١١ م) حررها وقدم لها: نوري الجراح،  
ط ١، ابو ظبي - بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١، ٢٠١ ص، سلسلة ارتياد الآفاق.

\* الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام

ابن ناصر الدرعي (ت ١٢٢٩هـ / ١٨٢٢م) قيمتها العلمية والتاريخية  
عبد الخالق المفضل أحمدون. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية  
بحوث ندوة الرحلات... ج ١/ ١٣٧-٢١٥

\* الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني "دراسة مقارنة".  
عبد العزيز بن صالح الهلابي. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية  
بحوث ندوة الرحلات... ج ١/ ٨١-١٢٤

\* الرحلة السفارية المغربية خلال القرن الثامن عشر محمد بو  
كبوط. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب ص ٥٦-٥٧٤  
\* الرحلة الشامية ١٩١٠- الأمير محمد علي باشا (١٨٧٥-١٩٥٥م)  
حررها وقدم لها علي احمد كنعان، ط ١، ابو ظبي. بيروت، دار  
السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر...  
٢٠٠٢م، ١٧٥ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة الشتاء والصيف - للشيخ كبريت محمد بن عبد الله  
الحسيني الحنفي (١٠١٢-١٠٧٠هـ / ١٦٠٢-١٦٦٠م) حررها وقدم لها:  
سامر محمد صالح الشتواني، ط ١، ابو ظبي. بيروت دار السويدي  
للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤،  
٢١٧ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة علي ظهر جبل من الكويت الى القصيم والرياض  
والاحساء للرحالة الدنماركي بارسلاني رونكير. سعيد بن عمر آل  
عمر. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة  
الرحلات... ج ١/ ٧٦-٤١ انظر ايضا ج ١/ ٢٥٩-٣٦٧

\* رحلة علي سعاد الى الاحساء والبحرين والمدينة المنورة عام  
١٢٢٧هـ. سهيل صابان. الرحلات الى شبه الجزيرة العربية لبحوث  
ندوة... ج ١/ ٢٢٥-٢٤٥

\* رحلة في صحراء ليبيا ١٩٢٢م. احمد حسنين باشا (.../...)  
حررها وقدم لها: علي احمد كنعان، ط ١، ابو ظبي. بيروت، دار  
السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات والنشر...  
٢٠٠٤، ٢٠٦ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلة منقصف تركي الى الجزائر في اوائل القرن العشرين -  
خليفة حماش. الشرق والغرب في مدونات الرحالة العرب.  
ص ١٢٢-١٢١

\* رحلة محمد الصغار الى فرنسا سنة ١٨٤٥م إكتشاف النص ولبعاد

السفارة - خالد بن الصغير. الشرق والغرب في مدونات الرحالة  
العرب ص ٥٠٢-٥١٢

\* رحلة مطراقي زادة لنصوح لقندي السلاحي الشهير بمطراقي  
زادة توفي بعد سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م. ترجمة: صبحي ناظم توفيق،  
تج د. عماد عبد السلام رؤوف، ط ١، ابو ظبي، الامارات العربية  
المتحدة، ١٤٢٤-٢٠٠٢، ١٩٤ ص.

\* الرحلة المعينية ١٩٢٨- ماء العينين بـ العتيق  
(ت ١٣٢٦هـ / ١٩٥٧م) حققها وقدم لها د. محمد الظريف، ط ١، ابو  
ظبي. بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٤م، ٢٩٥ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* الرحلة المكية للقاضي احمد سكير ج. عبد الهادي التازي.  
الرحلات الى شبه الجزيرة العربية بحوث ندوة الرحلات  
... ج ١/ ٢١٩-٢٤٥

\* الرحلة والجغرافية الوهمية. التمثيل الخرائطي في نصوص  
رحلة الغرب الاسلامي - علي بدر. الشرق والغرب في مدونات  
الرحالة العرب ص ٣٢٥-٢٥٤

\* رحلة الورتلاني الى مصر - عبد المجيد بوجلة. الشرق والغرب  
في مدونات الرحالة العرب ص ٢٥٢-٢٦٧

\* رحلة الوزير في فتكاك الاسير ١٦٩٠-١٦٩١ لأبي عبد الله محمد  
بن عبد الوهاب الغساني الفارسي الأندلسي الاصل (ت ١١١٩هـ-  
١٧٠٧م) حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط ١، ابو ظبي. بيروت،  
دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، ... ٢٠٠٢م، ١٨١ ص. سلسلة ارتياد الآفاق.

\* رحلتان الى سوريا ١٩٠٨-١٩٢٠ الشيخ محمد رشيد رضا صاحب  
"المنار" (١٢٨٢-١٣٥٤هـ / ١٩٢٠-١٩٢٠) حررها وقدم لها: زهير احمد  
ظاظا، ط ١، ابو ظبي. بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع -  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ... ٢٠٠٤، ٢١٢ ص. سلسلة ارتياد  
الآفاق.

\* رسائل البشري في السياحة بالمانيا وسويسرا رحلة عربي من  
برلين الى برلين ١٨٨٩م - حسن توفيق العدل الاسكندراني المصري  
(١٢٧٨ ١٣٢٢هـ / ١٨٦٢-١٩٠٤م) حررها وقدم لها: نوري الجراح، ط ١،  
ابو ظبي. بيروت، دار السويدي للنشر والتوزيع. المؤسسة العربية



WWW.ATTAWHEEL.COM

# AL-MAWRI'D

ARTERIAL JOURNAL OF CULTURE & HERITAGE

ISSN 0013-071X

WWW.ATTAWHEEL.COM

EDITOR - IN-CHIEF

DR. MOHAMMAD HUSSAIN AL-AARAJI

VOLUME 33 - NUMBER 1 - 2006

السعر: ٥٠٠ دينار

أسبوعيات